# المنظومة الفكرية الإسلامية

منهج تدريس ديني تأسيسي

عباس آل حميد

تحميل دليل المعلم

حقوق النشر © 2022 لعباس علي محمود
ISBN: 978-1-912275-39-7

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك أنظمة تخزين المعلومات واسترجاعها، دون إذن كتابي من المؤلف، باستثناء استخدام الاقتباسات الموجزة في مراجعة الكتاب.

**إخلاء المسؤولية:** يقدم الناشر والمؤلف هذا الكتاب ومحتوياته على أساس "كما هو" ولا يقدمان أي تعهدات أو ضمانات من أي نوع فيما يتعلق بهذا الكتاب أو محتوياته. الناشر والمؤلف يتنصلان من كل هذه الإقرارات والضمانات. بالإضافة إلى ذلك، لا يتحمل الناشر والمؤلف أي مسؤولية عن الأخطاء أو عدم الدقة أو السهو أو أي تناقضات أخرى واردة هنا.

**قم بأبحاثك الخاصة:** من المهم جدًا إجراء التقييمات الخاصة بك قبل اتخاذ أي قرار تجاري بناءً على ظروفك الخاصة.

يُقصد بهذا المنشور أن يكون مصدرًا للمعلومات القيمة للقارئ، ومع ذلك، لا يُقصد به أن يكون بديلًا عن مساعدة الخبراء المباشرة. إذا كان هذا المستوى من المساعدة مطلوبًا، فيجب البحث عن خدمات متخصص مختص.

لا يقدم الناشر والمؤلف أي ضمانات فيما يتعلق بمستوى النجاح الذي قد تواجهه باتباع النصائح والإستراتيجيات الواردة في هذا الكتاب وأنت توافق على أن النتائج ستختلف مع كل فرد.

ISBN: 978-1-912275-39-7

9 781912 275397

# المنظومة الفكرية الإسلامية

## منهج تدريس ديني تأسيسي

يحتوي الكتاب على 30 فيديو تعليمي

عباس آل حميد

قدّم للكتاب: د. سالم البوسعيدي

# إهداء

إلى من أرضعتني حب الله ..
من دلتني طريقه ..
من جسّدت لي معاني الثقة والإخلاص والتضحية في سبيله ..
من علمتني حب الحياة ومعناها ..
إلى المعلمة الفاضلة التي لم استوعب جميع دروسها ..
إلى القدوة التي أتمنى أن أصل إلى عمق إيمانها ويقينها وطمأنينتها وارتباطها بالله ..

إلى روح أمي خديجة ..
تقبلي بضاعتي المزجاة!

# محتوى الكتاب


تـقديم الكـتاب ..... 8
قيل عن النُسَخ الأُوَل من الكتاب ..... 13
قبل أن تبدأ القراءة ..... 18

القسم الأول
الوجهة الإستراتيجية الإسلامية ..... 22

الـدرس 1 : قصة الحياة ... خلاصـة المنظومة الفكرية الإسلامية ..... 23
الـدرس 2 : إستراتيجية الخلق ..... 37

القسم الثاني
العقيدة الإسلامية ..... 47

الـدرس 3 : كيف نهتدي إلى الحقيقة؟ ..... 49
الـدرس 4 : الله جلَّ جلاله ..... 54
الـدرس 5 : الإنسان ... خليفة الله ..... 71
الـدرس 6 : ماذا يعني القرب من الله؟ ..... 79

الـدرس 7 : القوانين والسنن الكونية ..... 90
الـدرس 8 : مسيرة الحـياة ..... 112
الـدرس 9 : الجزاء الأخروي ..... 118
الـدرس 10 : اللطف والرحمة الإلهيان ..... 126
الـدرس 11 : الشريعة الإسلامية ..... 133
الـدرس 12 : النبـــوة ..... 145
الـدرس 13 : لماذا البلاء؟ ..... 165
الـدرس 14 : لماذا الشيطان؟ ..... 169

## القسم الثالث

## الممارسات الإسلامية ..... 173

الـدرس 15 : ما هدفك في الحياة؟ ..... 174
الـدرس 16 : الواقعية في الحياة ..... 183
الـدرس 17 : السير إلى الله ..... 191
الـدرس 18 : مبادئ السير إلى الله ..... 203
الـدرس 19 : مغالطات شائعة عن السير إلى الله ..... 214
الـدرس 20 : طلب المعرفة ..... 224
الـدرس 21 : الوعي الذاتي بالنفس ..... 230
الـدرس 22 : تطوير قدراتنا ..... 244

الـدرس 23 : مودة النبي وأهل بيته (ع). . . . . 254
الـدرس 24 : التواصل الاجتماعي . . . . . 259
الـدرس 25 : الإصلاح. . . . . 267
الـدرس 26 : العطاء والإيثار . . . . . 275
الـدرس 27 : الغرور والثقة بالنفس . . . . . 282
الـدرس 28 : العبادات. . . . . 294
الـدرس 29 : قراءة القرآن الكريم . . . . . 302
الـدرس 30 : ذكر الله عز وجل كثيرًا . . . . . 312
الـدرس 31 : الدعاء. . . . . 320
الـدرس 32 : المهدي المنتظر (ع) . . . . . 330
الـدرس 33 : عاشوراء ... الملحمة الإنسانية الخالدة . . . . . 336

نبذة عن الكاتب . . . . . 344
كتب أخرى للمؤلف للتحميل المجاني . . . . . 348

# تـــقديم الكـــتاب

## بقلم الدكتور سالم البوسعيدي

قـال مـرة بورخيـس "طالمـا تخيّلـت الجنـة على هيئة مكتبة"...
نعم هكذا قال...
لكنني ما زلتُ أفكر كثيرًا... كيف يتخيّل ذلك الشاعر الأعمى المكتبة؟!
هنـا مـع هـذا الكتـاب "المنظومـة الفكريـة الإسلامية"... أنت لا تتخيّل الجنة...
بل تلامسها...تعيش عمقها...تتحسس جمالها...
تسمع أنغام موسيقاها...
هذا الكتاب جنة تقودك إلى الجنة...
جنة وأنت تقرأ وتتجوّل في سككه وحواريه...
وأنت تتذوق رحيق أفكاره وتعانق سمو معانيه...

تعيش جنةً فكرية تنتظم في منظومة متداخلة
كل حلقة منها تقود إلى أخرى...
ثم تتكامل لتجد الجنة أمامك...
ومع جنة الفكر تعيش جنة الاطمئنان...
جنة السكينة...جنة الروح...
لا ... لا هذا شيء لا يكون بالتنظير بل بالتجربة...
أعزائي
ذات مساء بهيج.. كنت على شاطئ مطرح الفاتنة...
أشاهد أسراب النوارس التائهة في سحر تلك المدينة العريقة...
كانت الشمس على وشك الغروب...

رحتُ أحث الخطى إلى سيارتي...
أبصرت "مكتبة الثقلين"...
كانت مفتوحةً ... ولجتُ إليها...
كنتُ مستعجلًا وأعلم أن المكتبة ستغلق للصلاة عما قليل...
أبصرته هناك...
على الطاولة...
شدني عنوانه "المنظومة الفكرية الإسلامية"...
ترى ما الجديد؟
ورأيت اسم المؤلّف "عباس آل حميد"..
لم يدر ببالي أن هذين الاسمين -اسم الكتاب واسم مؤلفه- سيؤثران عميقًا فيّ...
ومنذ ذلك اليوم أدمنت التطواف على الكتاب وفكر صاحبه...

أعزائي
هناك ميزة أخرى تميز الكتاب... أو قل خصيصة إن شئت...
إنه المؤلّف...
هذا القادم على صهوة دراسة غربية ممزوجة بوعي إسلامي سامٍ..

هذا الخبير الإستراتيجي -الذي تشهد له مؤلفاته ومؤسساته- جاء ليقدم نظرة إستراتيجية فكرية عميقة ...
جاء ليهديك رحيق تجاربه ومحصّلة أفكاره..
وهو الداعية الناضج والمبادر الفاعل والمخطط الواعي...
إن اقتربت منه نهلت من أخلاقه قبل معارفه...
وإن تعاملت معه وجدت المنظومة الفكرية وقد تجسّدت إنسانًا حيًّا أمامك...
هنيئًا لنا بهذه القامة التي جمعت بين الفكر والروح ...
والوعي والسعي...

أعزائي
من الكتب ما يدهش عقلك ... لكنك تشعر بعده بجفاف روحي عميق...
ومن الكتب ما يلامس روحك... لكنك تشعر بخواء فكري بائس بعده...
لكنْ لا شيء يبهج النفس مثل كتاب يغذّي العقل والروح معًا...
وذلك بحق ميزة أولى لهذا الكتاب...

أمـا الميـزة الثانيـة فهـي الولـوج إلى العمـق والمقاصد ...
نعـم المقاصـد التـي ينبغـي أن تكـون الجوهـر الذي نعتني به... لا المظهر الخدّاع...
والميـزة الثالثـة أنـه كتـاب الوحـدة الإسـلامية... فلا تشنّج ولا تعصّب...
أمـا الحضـور القرآنـي العميـق فتلـك ميـزة تفـوق ما سلف...
أضـف إلى ذلـك الإبـداع فـي الإخـراج ودقـة التنظيم وروعة التقسيم..
ثم حضور الصورة واللون...
ولـن نختـم بأسـئلة التقييـم التـي تـدور حـول الآيات القرآنية..
الكتاب حقًّا مدهش في محتواه وإخراجه ولغته...

أعزائي
لـو قـدّر لـي أن أقـدّم نصيحـة لولـي أمـر يريـد أن يقـدّم فكـرًا إسلاميًـا رصينًـا لأبنائـه فـي هـذا الزمن الصعب...
فـي زمـن الصراعـات الفكريـة والأخطبوطـات التقنية والشبكات الإعلامية...
لـو قُـدّر لـي أن أقـدّم نصيحـة لمـن يريـد أن يحصّن أبنـاءه بفكـر واعٍ و روحٍ سـامية وقيـمٍ نبيلـة... لـن أتردد في ترشيح هذا الكتاب...
وفـوق ذلـك الكتـاب كُتـب ليكـون عونًـا لذلـك فـي تقسيمه وأسئلته ومحاوره...
جدير بحق أن يكون في مكتبة كل بيت...
لـن أطيـل الوقـوف بـك على العتبـة فدونـك الجنـة فاقطف ما شئت رغدًا...

الدكتور/ سالم بن سعيد البوسعيدي

اضغط لتشاهد الفيديو
المنظومة الفكرية الإسلامية
3:17

عباس آل حميد
WWW.ALHUMAID.ORG
المنظومة
الفكرية الإسلامية
منهج تدريس ديني تأسيسي

# قيل عن النُسَخ الأُوَل من الكتاب

### الشيخ/ خالد الملا، رئيس جماعة علماء العراق

"كتاب بمستوى عالٍ جدًّا ومتميز، والذي جعله متميزًا أنه يأخذ البعد الإسلامي ومنهجه السماوي الذي أراده الله تعالى من خلال إرسال سيدنا محمد ﷺ، والذي لا يستطيع الكثير من الناس أن يروه إلا من خلال هذه الأطروحات بالغة الأهمية في زمانها ومكانها...".

### السيد/ منير الخباز

"قرأت كتاب الأخ العزيز الأستاذ البحاثة الفاضل الشيخ عباس...فوجدته كتابا رائعا أبرز من خلاله الوحدة الجوهرية بين التشيع والإسلام واظهر ثبات أصوله ودعائمه وعظمة مبادئه وقيمه، وسكب فيه البديع من الفكر والناضر الوفير من التراث المحمدي العلوي الفاطمي الحسني الحسيني فسطع الكتاب هالة من النور القرآني وانتظم عقدا جميلا من الهدي النبوي وليس ذلك عجيبا منه فهو ذو القلم الخلاب والعطاء الجزيل والفكر النضير ولله دره وعلى الله أجره".

**الدكتور/ محمد سليم العوا**

"اطلعت على الكتاب فأسعدني دقة معلوماته وإيجازه".

**الشيخ/ حيدر حب الله**

"يحاول الباحث الأستاذ/ عباس آل حميد أن يضع لنا رؤية مركّزة تطلّ على بناء وعي ديني ناضج للأجيال القادمة، فيربط لها بين مكوّنات المنظومة الدينيّة لتشكّل مفرداتُ القضايا الدينية حلقاتٍ متعاضدة في عقدِ جُمان منضود، وهذا ما نعتقد أنّه ضرورة عالية لفهم الدين بوصفه بناءً متكاملًا دون اقتطاع جزئيّاته للتعامل معها مبتورةً عن سياقاتها المنظوميّة. إنّني آمل أن يأخذ هذا الكتاب طريقه لبناء وعي ديني منظومي متكامل، ويرفع في الوقت عينه من مستويات تفكيرنا في التعامل مع القضايا الدينيّة... في عصرٍ أحوج ما تحتاج الإنسانيّة فيه إلى الإيمان والروحانيات".

### الشيخ/ بدر بن سالم بن حمدان العبريّ

"اطلعت على الكتاب فوجدته وحدويًّا يدعو إلى المشترك في الأمة وإلى صناعة الإنسان، وهذا ما نرجوه في الوقت الراهن، وهو مترابط ومنهجي. قدّم الكاتب مادّة منهجيّة معاصرة لصورة الدّين الإسلاميّ إلى النّاشئة والمتلقي يحمل بعدين: الإنسان وبناء الحضارة، منطلقا من الإنسان وفكره إلى بناء الحياة وإعمارها صلاحا وبناء، ومؤصلا للتّفعيل الإيجابيّ للإيمان بالله تعالى، وكون الإنسان خليفة له. أتفقُ مع الكاتب في جملة كتابه، واختلف في القليل منه، والخلاف في الرّأي لا يفسد الودّ بيننا".

### الشيخ/ حسن موسى الصفار

"لقد اطلعت على كتاب (المنظومة الفكرية الإسلامية) الذي أعده الأستاذ الفاضل/ عباس آل حميد وقرأته بتأمل وإمعان، فوجدته وافيًا بالغاية التي وضع من أجلها كمنهج تدريس ديني تأسيسي، وبحق إنه يمثل استجابة رائعة لحاجة الساحة الدينية لوجود مناهج تقدم الفكر الديني كمنظومة متكاملة مترابطة بلغة علمية واضحة وأسلوب عصري جذاب. ومن ميزات هذا المنهج القيّم انطلاقه في طرح الرؤى والأفكار من وحي آيات القرآن الكريم لتعزيز الثقافة القرآنية وتأكيد مرجعيتها، إلى جانب الاستشهاد بالأحاديث والروايات المعتبرة عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة الطاهرين وأقوال العلماء والمفكرين، كما أن أسئلة التقييم التي جاءت في نهاية كل موضوع قد اختيرت بعناية لتساعد الطالب في استيعاب الأفكار المطروحة، وتنمي قدرته على التحليل والمناقشة".

## الحبيب سالم المشهور

"إنَّ هـذا الكتـاب يسـدُّ فراغًـا كبيرًا فـي السـاحة التربوية، نحن بحاجة ماسّـة إلى لغـة الحـوار التـي تسـمح للشـباب أن يُحـرّر فكـره مـن الجمـود والتقليـد الأعمـى، ليدخـل فضـاء الإيمـان، حيـثُ السـكينة التـي تنـزل على النفـس، والطمأنينـة التـي تسـكن القلب، إنّ هذا الكتاب يجمع بيـن التربية العاطفية والعقلية، وهو بهذا يُشـكل منهجًا متكاملًا إن شـاء الله تعالى، يصلح للجيل الجديـد الـذي يعيـش ثـورةً معرفيةً كبـرى، بارك الله في جهـود مؤلفه وكتب الله لـه الأجـر والثـواب ونفـع بـه الإسلام والمسـلمين والبشـرية. هـذا العمل نموذج ينبغي أن يُحتذى، والله وليّ التوفيق ومنه نسأل العون والسداد".

## الشيخ/ علي الدهنين

"وجـدت المنهـج الـذي وضعـه أخونـا الشـيخ/ عبـاس آل حميـد قـد تميـز ببعـض المميـزات التـي وُفِّـق إليهـا المؤلـف، ومنهـا: الأسـلوب الأكاديمـي الذي يسـتهوي الشـريحة المخاطبة به، واللغة البسيطة السلسة المستخدمة فـي عمـوم الكتـاب، والتـدرج فـي البيـان أثناء الانتقـال من فكـرة إلى أخرى، ودعـم الفكـرة بأمثلـة مـن واقـع الحيـاة التـي يعيشـها الشـاب المتلقـي، والاستشـهاد با لآيـات القرآنيـة والروايات المعصوميـة، وتقديم ملخص على شـكل نقـاط تسـاعد المتلقي في تأكيد المطالب وترسـيخها فـي الذهن عند القراءة وسـهولة اسـتذكارها عند الحاجة، وطرح أسـئلة للتقييم في نهاية كل درس ممـا يسـهل على المتلقي الالتفـات إلى الفكرة الأساسـية التي أرادها الكاتب، إلى غير ذلك من المميزات التي تميز بها الكتاب".

### الشيخ/ عبد الكريم الحائري

"لقد أمعنت النظر في كتاب (المنظومة الفكرية الإسلامية) الذي كتبه أخونا الفاضل الأستاذ/ عباس آل حميد فاستمتعت بقراءته، ووجدته منتظمًا مرتبًا كعقد الدرر بترتيب الفكر، وقد جعله نيرًا مباركًا بالآيات والروايات، حيث استشهد بها نعم الاستشهاد، واستدل بها نعم الاستدلال، وأضاف إليها ما يحتاجه أهل العصر من أقوال الفلاسفة والمفكرين وأهل الأديان، وذلك تقوية للدليل والبرهان على ما يحبه أهل الزمان، فكان الأسلوب ممتازًا عصريًّا."

### الشيخ/ شفيق جرادي

"محاولة موفقة، فالصياغة جميلة جدًّا، وهدف المنهج واضح ومهم، وأسلوبه منسجم جدًّا مع الهدف المحدد من المنهج. أرجو الله أن يكون سبيلًا لوعي هذا الجيل المسلم بهويته وموقعه الحضاري...".

# قبل أن تبدأ القراءة

## مقدمة

صُمم هذا الكتاب بعناية فائقة ليكون مصدر إلهام وإثراء لكل من يسعى لاكتشاف المنظومة الفكرية الإسلامية. فهو يجمع بين القيمة العلمية والفائدة العملية، حيث يصلح للقراءة المباشرة من قبل المهتمين بالموضوع، كما يمكن استخدامه كجزء من منهج ديني تأسيسي، مقدمًا تجربة تعليمية غنية ومتعددة الأبعاد.

يصلح هذا المنهج لطلاب المراحل التأسيسية بما فيها المرحلتان الثانوية (ما قبل الدراسة الجامعية) والجامعية، ويهدف إلى تأسيس الطالب ليكون شخصيةً مؤمنةً واعيةً ملتزمةً ورساليةً ذات ثقافة دينية ورؤية للحياة مبنية على القرآن ومستمدة منه.

يسعى المنهج إلى عرض المنظومة الفكرية الإسلامية بشكل مترابط ومتكامل من خلال أساليب البحث، والتحليل، والمناقشة بطريقة شائقة ولغةٍ معاصرة تنسجم مع ما هو شائع في الوسط الثقافي العالمي الحالي، وذلك بهدف تمكين الطالب من فلترة ما يتلقاه من مفاهيم وثقافة معولمة -من مختلف قنوات التواصل والمعرفة التي تزخر بها بيئاتنا

الثقافيـة المعاصـرة – وتقييمهـا فـي ضـوء المنظـور الإسلامـي الإلهـي القرآنـي، كمـا تمكِّنـه مـن تأسـيس معارفـه الدينيـة مسـتقبلًا بأسـلوب العصر ولغته.

عَمَـدَ هـذا المنهـج إلى الابتعـاد عـن الخصوصيـات المذهبيـة، ولـذا فهـو لا يتنـاول الموضوعـات الفقهيـة أو التاريخيـة أو السـيرة الإسلاميـة، ولا يتطـرق لمجموعـة مـن الموضوعـات الفكريـة الإسلاميـة التـي تخـرج عـن إطـار أهـداف هـذا المنهج.

صُمِّـم هـذا المنهـج ليـدَّرس بشـكل مسـتقل أو ضمـن المنهـج التدريسـي الدينـي العـام الـذي تعتمـده الجهـات المختلفـة التـي تديـر عمليـات التدريس الديني في المناطق المختلفة.

## الأهداف المعرفية

- تمكين الطالب من فهم الفكر الإسلامي بوصفه منظومة متكاملة مترابطة يستند بعضها إلى بعض بأسلوب ولغة تتوافق مع الثقافة العالمية السائدة، بما يمكن الطالب من إدراك تميز المنظومة الفكرية الإسلامية وسموها عن المدارس والتوجهات الأخرى الرائجة في الوسط الثقافي المعاصر.
- تأصيل الثقافة القرآنية لدى الطالب بحيث تتشكل ثقافته مستندة إلى الاستدلال القرآني.
- تطوير قدرات الطالب على البحث، والتحليل والمناقشة ليستطيع مواجهة الانحرافات الفكرية المختلفة ويضطلع بالدعوة إلى سبيل الله بالتي هي أحسن.

## الأهداف السلوكية

- ربط الطالب بالله على مستوى حركاته وممارساته اليومية، ووضعه في طريق السير إلى الله، وتكوين المفاهيم والتصورات الذهنية اللازمة لديه لتمكينه من الاستفادة من الممارسة اليومية الاعتيادية في السير إلى الله -جلَّ جلاله- بشكل إيجابي وبنَّاء.

- غرس الدافعية الذاتية لدى الطالب نحو الإيجابية في الحياة والإصلاح والدعوة إلى الله والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله.

## محتويات المنهج

يشتمل المنهج على 33 درسًا مترابطًا صُمم ليمنح الطالب فكرة جيدة ومترابطة عن المنظومة الفكرية الإسلامية ككل، وهذه الدروس مصنفة إلى الأقسام الرئيسة الثلاثة المشكِّلة للمنظومة الفكرية الإسلامية، وهي: الوجهة الإستراتيجية الإسلامية، والعقيدة الإسلامية، والممارسات الإسلامية.

# القسم الأول

## الوجهة الإستراتيجية الإسلامية

الرجوع لصفحة المحتويات

# 1

# قصة الحياة ... خلاصـة المنظومة الفكرية الإسلامية

﴿وَمَـا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا إِلَّا لَعِـبٌ وَلَهْـوٌ وَلَلـدَّارُ الْآخِـرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (الأنعام، 32)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
الله
خلاصة المنظومة الفكرية الإسلامية
6:18

ما قصة الحياة؟ من نحن؟ من أين أتَيْنَا؟ وإلى أين نحن ماضون؟ وهل يمكننا التحكم بحياتنا ومصيرنا؟ كيف؟

تتلخص قصة الحياة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. (البقرة، 156)، وهو ما تتمحور حوله المنظومة الفكرية الإسلامية (ف. قرآن).

فلأن الله سبحانه وتعالى محض الفيض والكرم، ولأن وجود الكائنات يقتضي سعادتها، فقد مَنَّ الله عليها بأن أوجدها حسب إمكاناتها وقابلياتها وفق قانون العلية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. (القمر، 49).

وزاد الله سبحانه وتعالى في نعمته وتفضله علينا فجعل الكون -بكل موجوداته- في حركة مستمرة نحو مزيد من تطور الوجود النوعي للقرب من الله والرجوع إليه أروع بمليارات المرات مما نشاهده من تحول دودة القز إلى فراشة. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. (المؤمنون، 115).

هـذه الحركة الذاتيـة نحو التطـور والتكامل والرجوع إلى الله تمتـد عبـر مراحل الحيـاة المتعاقبة - ابتداءً مـن عالـم الدنيـا وانتهـاءً بعالـم الآخـرة - وفـق قوانيـن وسـنن كونيـة لا تتخلـف أبـدًا. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُـنَّةَ الأَوَّلِيـنَ فَلَـنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾. (فاطر، 43).

والإنسـان أعظـم الموجـودات عـلى الإطـلاق؛ فهـو محـور الكـون، وقـد جعلـه الله خليفتـه لمـا يتميـز بـه مـن إرادة وإدراك وصفـات جعلتـه متفـردًا بهـذا المقـام الـذي لـم يحـظ بـه أيٌّ مـن مخلوقـات الله بمـا فيهـم الملائكـة، قـال الله تعـالى للملائكـة: ﴿فَـإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْـتُ فِيـهِ مِـن رُّوحِـي فَقَعُـوا لَـهُ سَاجِدِينَ﴾. (الحجر، 29).

وبقـدر العظمـة والقـدرة التـي يمتلكهـا المخلـوق تكـون عبوديتـه للـه، وتكـون مسـؤوليته، ولـذا حمـل الإنسـان مسـؤولية عجـزت عنهـا جميـع الكائنـات الأخـرى. ﴿إِنَّـا عَرَضْنَـا الْأَمَانَـةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَيْـنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الْإِنسـان إِنَّـهُ كَانَ ظَلُومًـا جَهُولًا﴾. (الأحزاب، 72).

ولكـن لـم يكـن الله ليلقـي بهـذه المسـؤولية الثقيلـة التـي عجـزت عـن حملهـا السـماوات والأرض عـلى الإنسـان ويتركـه سـدى مـن دون دعـم ولطـف منـه سـبحانه لتمكينـه مـن النجـاح فـي مسـؤوليته. ﴿أَيَحْسَـبُ الْإِنسـان أَن يُتْـرَكَ سُدًى﴾. (القيامة، 36).

ولـذا فقـد جعـل الله الملائكـة وجميـع الكائنـات خاضعـة للإنسـان لمسـاعدته فـي إنجـاز مسـؤوليته وتحقيـق هدفـه الأوحـد الـذي خلقـه الله لـه، ألا وهـو السـير إلى الله تعـالى والتقـرب إليـه. ﴿وَسَـخَّرَ لَكُـم مَّـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الْأَرْضِ جَمِيعًـا مِّنْـهُ ۚ إِنَّ فِـي ذَٰلِـكَ لَآيَـاتٍ لِّقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ﴾. (الجاثية، 13).

فالتقـرب إليـه سـبحانه وتعـالى يعنـى تكاملنـا وتطورنـا فـي وجودنـا واكتمـال إدراكنـا التـام لعبوديتنـا للـه سـبحانه وحبـه؛ لأن الله كمـال مطلـق لا متنـاه، فهـو ذات الوجـود جـلَّ جلالـه. ﴿وَالسَّـابِقُونَ السَّـابِقُونَ * أُولَٰئِـكَ الْمُقَرَّبُـونَ﴾. (الواقعة 10-11).

وبالرغم من أن الكون كله خلق لإعانة الإنسان للقرب إليه سبحانه، إلا أن الإنسان هو وحده من يحدد مسيرته إلى الله، وما إذا كان سيقترب إليه سبحانه أم سيبتعد عنه، وذلك من خلال الكدح والعمل في هذه الدنيا باستخدام إرادته، وبالاستفادة من حكمته وقدراته الأخرى التي وهبها له الله تعالى. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات 37-41).

وما سعادتنا أو شقاؤنا في الدنيا والآخرة سوى نتيجة وانعكاس طبيعي تكويني لقربنا إليه سبحانه أو بعدنا عنه وفق القوانين والسنن الكونية التي خلقها الله. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ* فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (الزلزلة 6-8).

ولخطورة هذا الشقاء الذي قد يصيب الإنسان جراء ابتعاده عن الله وشدته، فقد مَنَّ الله على البشرية جمعاء بالهداية، فبلطفه سبحانه بعث الرسل والأئمة والهداة بالكتب والشرائع السماوية لهداية البشرية إلى الله (فكان أعظم الرسل وآخرهم نبينا محمد ﷺ، وأعظم الكتب القرآن الكريم، وأعظم الشرائع الإسلام). ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (الجمعة، 2).

كما أن الإنسان لا يعيش بمعزل عن الكون والبشر، وإنما هو كائن اجتماعي يعيش في معمعة الحياة فيؤثر فيها ويتأثر بها، ولا يمكنه التطور إلا من خلال الكدح فيها وشحذ طاقاته في خوض معتركها ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6).

وحيث إن حبنا موجَّه لجميع الكائنات لا سيما الإنسان، فإن التفاني في العطاء من أنبل الصفات التي تقربنا إلى الله، فقد عدَّ الإسلام مسؤولية مساعدة الإنسان في التحرر من جميع أنواع الظلم والفساد وتحفيزه للانطلاق نحو التطور والتكامل مسؤولية مباشرة تقع على عاتق الأمة الإسلامية جمعاء بكل فرد مسلم فيها. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (العصر 1-3).

غيـر أن الإنسـان انشـغل بحياتـه اليوميـة والتحديـات التـي يواجههـا والشـهوات التي تأسـره تصرفـه -فـي العـادة- عـن هـذه المسـؤولية وعـن هـذه العقيـدة. ﴿أَلْهَاكُـمُ التَّكَاثُـرُ * حَتَّـى زُرْتُـمُ الْمَقَابِرَ﴾. (التكاثر 1-2).

مـن هنـا لـم تكتـفِ المنظومـة الإسـلامية مـن الإنسـان بالإيمـان بهـذه الكلمـات الطيبـة مـن العقيـدة، ولـم تكتـف بمـا وضعـه الله تكوينًـا مـن لطـف إلهـي لهدايـة البشـر، وإنمـا شـرع الله -سـبحانه- منظومـة محكمـة مـن الممارسـات التـي تغـرس فـي الإنسـان تلقائيًّـا المسـؤولية تجـاه نفسـه وتجـاه الكـون، وترسـخها فـي أعماقـه لتجعـل نظرتـه للكـون وحركتـه فيـه بنّـاءةً إيجابيـةً. مـن هـذه الممارسـات: منظومـة العبـادات، والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، ومـودة الرسـول ﷺ وأهـل بيتـه (ع)، وغيرهـا. قـال تعـالى: ﴿إِلَيْـهِ يَصْعَـدُ الْكَلِـمُ الطَّيِّـبُ وَالْعَمَـلُ الصَّالِـحُ يَرْفَعُـهُ﴾ (فاطـر، 10)، وقـال تعـالى: ﴿اتْـلُ مَـا أُوحِـيَ إِلَيْـكَ مِـنَ الْكِتَـابِ وَأَقِـمِ الـصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الـصَّلَاةَ تَنْهَـىٰ عَـنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَـرِ ۗ وَلَذِكْـرُ اللَّـهِ أَكْبَـرُ ۗ وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ مَـا تَصْنَعُونَ﴾. (العنكبوت، 45).

# المنظومة الفكرية الإسلامية

## العقيدة الإسلامية

تنبثق العقيدة الإسلامية من وتتمحور حول عقيدة التوحيد الخالصة لله جل جلاله.

## الرؤية الإسلامية

الرؤية الإسلامية للحياة في المنظومة الفكرية الإسلامية تنبثق من عمق العقيدة الإسلامية، وتنعكس بشكل مباشر في الممارسات الإسلامية.

## الممارسات الإسلامية

تتمحور منظومة الممارسات الإسلامية حول مبدأ العبودية المطلقة لله جل جلاله، وتهدف لغرس مفاهيم ومبادئ وقيم العقيدة الإسلامية الطيبة في الإنسان وترسيخها في أعماقه تلقائيًا، لتجعل عمليًا نظرته للكون وحركته فيه منطلقة منها.

قراءة
## اختيارية

# مـاذا قيـل في الإسلام من غير المسلمين؟

**السير/ جورج برنارد شو، الكاتب المسرحي الأيرلندي ومؤسس LONDON SCHOOL OF ECONOMICS الوحيد الذي جمع بين جائزتي أوسكار ونوبل للآداب، كتاب "THE GENUINE ISLAM":**

"كنـت دائمًـا أنظـر لديانـة محمـد بن عبـد الله بتقدير عـالٍ بسـبب حيويتـه الرائعة، إنـه الديـن الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرات اللازمة للمرحلة المتغيرة مـن الوجـود الذي قد يكون أمـرًا جذابًا لجميع الأعمار، لقـد درسـت شـخصية هـذا الرجـل الرائع، وفـي رأيي فإنه ليس فقط بعيدًا كل البعد عن معاداة المسـيح، بل يجب أن يُسَمَّى بمنقذ البشرية".

**كريستيان سنوك هورجرونج (مستشرق هولندي)، كتاب WHERE CHRISTIAN AND MOHAMMEDAN MEET:**

"لقد تأسست عصبة الأمم على يد نبي الإسلام الذي وضع مبادئ الوحدة العالمية والأخوة الإنسانية على أسس كلية لينير الطريق بمشعله لبقية الأمم، الحقيقة أنه ليس هناك أمة أخرى بالعالم تستطيع أن تفعل ما فعله الإسلام تجاه تحقيق فكرة عصبة الأمم، ولم يتردد العالم يومًا في أن يرفع لمقام الألوهية أولئك الأفراد الذين بذلوا حياتهم ورسالتهم بشكل أسطوري، وتاريخيًّا فإنه لا أحد من هذه الرموز الأسطورية نجح في تحقيق جزء مما حققه محمد، وكل كفاحه كان في سبيل تحقيق هدف وحيد وهو توحيد البشرية لعبادة إله واحد بقيم أخلاقية راقية، لم يَدَّعِ محمد أو أتباعه يومًا أنه ابن الله أو أنه تجسيد لله أو أنه إنسان مؤلَّه، وإنما كان دائمًا -وما يزال إلى اليوم- رسولًا اختاره الله ليس إلا".

**الدكتور/ آرثر برثراند (عالم طب ومؤلف فرنسي)، كتاب ARAB CONTRIBUTION TO PROGRESS OF MEDICAL SCIENCE:**

"طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، "اطلبوا العلم ولو في الصين"، "العلماء ورثة الأنبياء"، هذه الكلمات العميقة من المصلح الأعظم تظهر المفارقة الواضحة في كلام من يبحث ويُجهد نفسه ليُحَمِّل مسؤولية التخلف العلمي للمسلمين على معاني القرآن، ليقرءوا ويتأملوا في هذا الكتاب العظيم ليروا أن النبي دعا -دون انقطاع- قومه إلى التأمل والتدبر في المعجزات الرائعة والظواهر الغامضة في الخلق، وقد يظن الشاك وغير المصدق أن أهمية هذا الكتاب تكمن في عدم إهمال القدرات العقلية والأخلاقية لشعب كامل، لكن الحقيقة أن من يتابع تاريخهم يجد أنهم -كما فصَّلْنا في هذه الدراسة- صانعو حضارة لا تزال مدهشة إلى هذا اليوم".

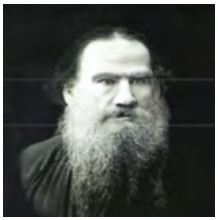

**الكونت/ ليف نيكولايافيتش تولستوي (من عمالقة الروائيين الروس):**

"أنا من المعجبين كثيرًا بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد ليحمل رسالته الأخيرة التي أوصلها بروحه وقلبه وعقله، لقد اختاره ليكون خاتم الأنبياء، ولذلك ليس هناك نبي بعده. إن اعترافه بالأنبياء الآخرين الذين أرسلهم الله قبله لتشييد البناء الاجتماعي العالمي الذي أُرْسِل محمد لاستكماله لهو دليل أكيد على أنه أتى بالإسلام لاستكمال البناء الاجتماعي للإنسانية كلها في كل مكان، لم يحظَ نبيٌّ باحترام أعدائه له مثل النبي محمد، ولهذا السبب اعتنق الكثير منهم الإسلام لاحقًا. إنه لمن المثير للدهشة أن الذين ناصبوه العداء علموا يقينًا أنه جدير بالتصديق وأنه يدعوهم إلى الحق، بل إنهم احترموه في قرارة أنفسهم، لكنهم أخفوا ذلك الاحترام لئلا يتهمهم الآخرون بترك معتقداتهم".

**إدوارد مونتت (مؤرخ فرنسي)، كتاب CHRISTIAN PROPAGANDA :AGAINST MUSLIMS**

"الإسلام بالأساس دين عقلاني بما للكلمة من معنى من الناحية الاشتقاقية والتاريخية، حيث إن تعاليم النبي الواردة في القرآن أرست مكانتها كنقطة بدء أساسية، وإن عقيدة التوحيد في الإله أُعلن عنها بعظمة وجلال ونقاء ثابت وقناعة مؤكدة يندر أن توجد خارج إطار الإسلام. إن عقيدة دقيقة جدًّا وخالية من التعقيدات الغائية وقابلة للفهم من قبل الشخص الاعتيادي قد يتوقع منها أن تملك -وهي بالفعل كذلك- قوة عجيبة للنجاح في طريقها إلى وعي الناس".

**سوامي فيفي كاناندا، (المفكر والفيلسوف والباحث الهندي الشهير)، كتاب COMPLETE WORKS OF SWAMI VIVEKANANDA:**

"قد ينال الهندوس الفضل في الوصول إليها بشكل مبكر عن بقية الشعوب؛ حيث إنهم أقدم من العبرانيين والعرب، ومع ذلك فإن الأدفايتيزم العملية التي تنظر إلى البشرية كروح واحدة لم تتطور بين الهندوس، وفي المقابل فإن تجربتي أنه إن كان هناك أي دين ممن قام بمقاربة هذا المبدأ بشكل متكافئ وبشكل ملحوظ فإنه الإسلام وحده، ولذلك فإنني مقتنع بشدة أنه من دون مساعدة الإسلام العملي فإن نظريات فيدانتيزم مهما كانت دقيقة ورائعة فإنها تظل بلا قيمة تمامًا لجموع البشرية. لقد أتى الإسلام كرسالة للمجتمعات، الرسالة الأولى كانت لتحقيق المساواة بين البشر، هناك دين واحد فقط وهو المحبة، ليست هناك أسئلة عن العرق أو اللون أو أي أمر آخر، التحق به، هذه الصفة العملية تستمر معك طوال اليوم، إن الرسالة العظمى كانت بسيطة جدًّا، آمِنْ برب واحد، خالق السماوات والأرض، وكل شيء خلق من العدم بيديه، لا تسأل أية أسئلة عن ذلك".

**القاضي/ بيير كرايبيتس (الفقيه الأمريكي الشهير)، كتاب THINGS MUHAMMAD DID FOR WOMEN:**

"محمد كان -على الأرجح- أعظم بطل عرفه العالم في مسألة حقوق المرأة. إن مشاركة محمد البارزة في قضية المرأة تكمن في حقوق الملكية التي منحها لزوجات أصحابه، إن الوضع القانوني للزوجة -إن جاز استخدام المصطلح التقني- لهو نفس الوضع القانوني للزوج. إن الزوجة المسلمة في قيامها على ممتلكاتها حرة مثل الطيور، فالقانون يسمح لها بأن تتصرف بأصولها المالية كيفما تشاء دون الرجوع إلى زوجها، وفي هذه الأمور فإنه لا يملك سيطرة عليها أكثر من أي شخص غريب عنها. وباللغة القانونية فإن الزوجة لا تأخذ اسم

زوجها، فالفتاة المسلمة التي قد يكون اسمها منذ الولادة عائشة بنت عمر قد تتزوج عشر مرات، لكن استقلالها الفردي لا يضيع في كل تلك الزيجات، إنها ليست مثل القمر الذي يشع من خلال انعكاس الضوء من سطحه، وإنما هي نجم يشع بذاته، ولها اسم خاص بها، وشخصية قانونية خاصة بها".

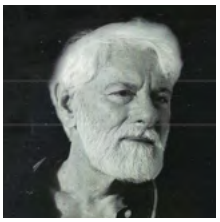

**وري أفنيري (صحفي وأحد أشهر ناشطي اليسار في فلسطين المحتلة)، كتاب ANTI-SEMITISM: A PRACTICAL MANUAL:**

"إسبانيا المسلمة كانت جنة لليهود، ولم تكن هناك أية محرقة لليهود في العالم الإسلامي، حتى المذابح المدّبرة فكانت نادرة جدًّا، لقد شدَّد محمد على أن يُعامَل أهل الكتاب (اليهود والنصارى) بتسامح وفقًا لشروط تعتبر أكثر حرية مقارنة بتلك التي توجد في أوربا المعاصرة. لم يفرض المسلمون دينهم قط بالقوة على اليهود والنصارى، كما هو واضح من حقيقة أن كل اليهود تقريبًا الذين طُرِدُوا من إسبانيا الكاثوليكية استقروا في البلدان المسلمة وازدهروا هناك، وبعد قرون من حكم المسلمين ظلَّ الإغريق والصرب مسيحيين".

**المصدر:**

(Mercy To The World: Muhammed (PBUHF), Br. Asifuddin Muhammed, 2012, Published by: Islamic Academy For Comparative Religion) - https://archive.org/details/ProphetMUHAMMMPeaceBeUponHim/page/n3?q=history+of+Islam+may+be+entirely+derived

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 1

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية التالية مع الفقرات المناسبة لها من الدرس في نقاط:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 30)

2. ﴿لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (التحريم، 7)

3. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. (فاطر، 10)

4. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. (القمر، 49)

5. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

6. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾. (فاطر، 43)

7. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران، 104)

8. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الجاثية، 13)

9. ﴿يَاأَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6)

## الدرس في نقاط:

- الله سبحانه وتعالى محض الفيض والكرم، ولأن وجود الكائنات يقتضي سعادتها، فقد مَنَّ الله عليها بأن أوجدها حسب إمكاناتها وقابلياتها وقدراتها وفق قانون العلية.
- الإنسان بإرادته وحكمته وصفاته الأخرى -من خلال الكدح والعمل في هذه الدنيا وفق الشريعة الإسلامية- هو الذي يحدد مسيرته إلى الله، وما إذا كان سيقترب إليه سبحانه، أم سيبتعد عنه عزَّ وجلَّ.
- جميع الكائنات خاضعة للإنسان لمساعدته في السير إلى الله سبحانه.
- ما إحساسنا بالسعادة والشقاء والجزاء الأخروي سوى نتيجة وانعكاس طبيعي للقرب إليه سبحانه أو البعد عنه وفق القوانين والسنن الكونية التي خلقها الله.
- شَرَعَ الله سبحانه وتعالى منظومة محكمة من الممارسات التي تغرس في الإنسان تلقائيًّا هذه المسؤولية تجاه نفسه وتجاه الكون وترسخها في أعماقه لتجعل نظرته للكون وحركته فيه بنّاءةً إيجابيةً.
- الإنسان أعظم الكائنات والمخلوقات على الإطلاق؛ فهو محور الكون، وقد جعله الله خليفته.
- حركة تطور الإنسان تتم عبر مراحل الحياة المختلفة ابتداء من الدنيا وانتهاء بعالم الآخرة وفق قوانين وسنن كونية لا تتخلف أبدًا (السير إلى الله).
- لخطورة هذا الشقاء الذي قد يصيب الإنسان جراء ابتعاده عن الله وشدته بمخالفته فطرته وعقله، فقد لطف الله به فبعث الرسل والأنبياء والهداة (وأعظمهم نبينا محمد ﷺ)، وأرسل معهم الكتب السماوية (وأعظمها وآخرها القرآن الكريم)، وأنزل الشرائع السماوية.
- عدَّ الإسلام مسؤولية مساعدة الإنسان في التحرر من جميع أنواع الظلم والفساد وتحفيزه للانطلاق نحو التطور والتكامل مسؤولية مباشرة تقع على عاتق الأمة الإسلامية جمعاء بكل فرد مسلم فيها.

# 2

# إستراتيجية الخلق

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان 38-39).

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
إستراتيجية الخلق - الرؤية والرسالة
5:50

ينبثق الفهم الإسلامي لإستراتيجية الخلق من عمق العقيدة الإسلامية، التي تتمحور حول عقيدة التوحيد الخالصة لله، وتنعكس بشكل مباشر في جميع الممارسات الإسلامية، وبعبارة أخرى: هي الرابط بين العقيدة الإسلامية، وتجسيد هذه العقيدة في شكل ممارسات عملية يومية، وهي ما نطلق عليه الممارسات الإسلامية.

## الرؤية الإستراتيجية

لم يخلق الله السماوات والأرض وما بينهما عبثًا وباطلًا ولهوًا. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص 27)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ( الأنبياء 16-17)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان 38-39).

لم يخلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا لغرضٍ ورؤيةٍ عظيمةٍ حددها في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون، 115). فالرجوع إلى الله والقرب منه هي الرؤية الإستراتيجية والغرض الأساس من خلق الكون كله. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة، 156)، وهي الرؤية الإستراتيجية الإسلامية والغرض الذي تسعى الرسالة الإسلامية لتحقيقه.

## الرسالة الإستراتيجية

ولكن: كيف يكون ذلك؟ وما الآلية التي تحققه؟ أو بعبارة حديثة: ما الرسالة الإستراتيجية من خلق الكون والحياة؟

يجيبنا الله عز وجل على ذلك بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك، 2)، فالله خلق الكون في نظام من الأضداد من الموت والحياة ومن النقص

والزيادة، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام، 1) والشر والخير، فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء، 35) لتخلق زخمًا وحركةً في الحياة تدفع الإنسان بشكل تلقائي من خلال حركته وكدحه فيها نحو التكامل والتطور والقرب منه سبحانه وتعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق، 6) لنكون النسخ الفُضلَى من أنفسنا. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، وليخرجنا ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة، 257).

وتتمحور هذه الرسالة حول مساعدة الإنسان على التطور والتكامل، وتحرير الإنسان من كل أنواع الظلم والفساد، جهلًا كان أم فقرًا أم مرضًا نفسيًّا أم جسديًّا أم عبودية للبشر أو الكائنات الأخرى. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة، 257).

ويتضمن تطور البشر ورقيهم معرفةً وإرادةً وحكمةً وقدرةً وخلقًا وعاطفةً وارتباطًا بالله تعالى وعلى صعيد جميع الصفات الوجودية الأخرى بهدف تقريبهم من الله عزَّ وجلَّ وتحقيق أقصى قدر ممكن من السعادة لهم في هذه الدنيا وفي العوالم الأخرى التي تليها.

يذكـر السـيد محمـد باقـر الصـدر (عالـم ديـن وفيلسـوف معاصـر) فـي كتابـه "خلافـة الإنسـان وشـهادة الأنبيـاء": "أن اللّه تعـالى أنـاب الجماعـة البشـرية فـي الحكـم وقيـادة الكـون وإعمـاره اجتماعيًّـا وطبيعيًّـا، وعلى هـذا الأسـاس تقـوم نظريـة حكـم النـاس لأنفسـهم وشـرعية ممارسـة الجماعـة البشـرية حكـم نفسـها بوصفهـا خليفـة عـن اللّه، وعمليـة الاسـتخلاف الربانـي للجماعـة على الأرض -بهـذا المفهـوم الواسـع- تعنـي إقامـة العلاقـات الاجتماعيـة على أسـاس العبوديـة المخلصـة للـه وتحريـر الإنسـان مـن عبوديـة الأسـماء التـي تمثـل ألـوان الاسـتغلال والجهـل والطاغـوت. يقـول تعـالى: ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلائِكَـةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة، 30).

إن إدراك المسـلمين لهـذه الرسـالة الإسـلامية مَكَّنهـم مـن قيـادة تطـور البشـرية والحضـارة الإنسـانية فـي العصـور الوسـطى أو مـا يُعـرف بالعصـور المظلمـة فـي الغـرب. ﴿كُنْتُـمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. (آل عمران، 110).

# المبادئ والقيم الإسلامية

عمل الإسلام من خلال منظومته القيمية وشبكته الثقافية على غرس منظومة من المبادئ والقيم في المجتمع الإسلامي ووجدان الفرد المسلم، من أهمها:

- **العبودية لله وحده:** وهذا الأساس والمنطلق لكل أبنية الفكر والحضارة والسلوك البشري في الحياة. يقول تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (يوسف، 40)

- **الإنسانية:** الإسلام رسالة عالمية تتصف بالرحمة والود والسلام والخير للبشرية جمعاء، ولا تحرم أحدًا من خيرها، ولا تحيف على أحد. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء، 107) كما أن الناس متساوون كلهم، ومعيار الأفضلية بينهم هو التقوى. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات، 13)

- **الأخلاق والآداب الاجتماعية:** فرسالة الإسلام رسالة أخلاقية، واهتمامه ببناء الجانب الأخلاقي مرتبط بمنهجه التربوي العام في إعداد الشخصية المستقيمة وبناء المجتمع الفاضل. فقد قال الرسول الأعظم ﷺ: "الدين المعاملة"، وقال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

- **الواقعية:** فقد راعى التشريع الإسلامي الجانب التكويني في الإنسان، وجعل القوانين والتكاليف كلها قائمة على هذا الأساس، فعلى سبيل المثال تسقط الكثير من الأحكام بالعُسْر والحرج. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (البقرة، 286)

- **احترام العقل:** رسالة الإسلام تقوم على أساس العقل والإقناع بالحجة والدليل، لذا كان حوار القرآن مستمرًّا ومفتوحًا مع العقل، ودعوته متواصلة لحث الإنسان على التفكير والتأمل في نفسه وعالمه والرسالة التي خوطب بها. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. (سبأ، 46)

- **الاهتمام بالقصد "النية":** عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى". لقد أَوْلَى الإسلام القصد أهمية كبرى وجعله روح الفعل وأساس تقويمه، لذا فهو يُولي كل اهتمامه بتربية مقاصد الخير وتوجيه الإنسان نحوها.

- **حرية العقيدة:** يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة، 256). إن العقل يدفعنا إلى النظر في الخلق والتفكير فيه وصولًا إلى الخالق تبارك وتعالى، ويدعونا إلى النظر في صحة ادعاءات النبوة والمعجزات. ولذا ليس من الصحيح اتباع الآخرين دون قناعة العقل وإيمانه المستقل.

- **الاعتراف بجميع الأديان السماوية:** نؤمن بأن جميع الأنبياء والمرسلين -على الإجمال- على حق، كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم، أما إنكار نبوتهم أو سبهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة.

# إستراتيجية الخلق في الفكر الإسلامي

## الرؤية الإستراتيجية

الرجوع إلى الله والقرب منه.

## الرسالة الإستراتيجية

خلق الكون في نظام من الأضداد لتخلق زخمًا وحركةً في الحياة تدفع الإنسان بشكل تلقائي من خلال حركته وكدحه فيها نحو التكامل والتطور والقرب منه سبحانه وتعالى.

## المبادئ والقيم الإسلامية

العبودية لله وحده، الإنسانية، الأخلاق والآداب الاجتماعية، الواقعية، احترام العقل، الاهتمام بالقصد "النية"، حرية العقيدة، الاعتراف بجميع الأديان السماوية.

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 2

**اختـر المفهـوم الأكثـر انسـجامًا مـع الآيـة الشريفة في كل سؤال خلال نصف دقيقة:**

1. ﴿يَاأَيُّهَـا الإنسـان إِنَّـكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّـكَ كَدْحًـا فَمُلَاقِيهِ﴾
   - ☐ الإنسان محور هذا الكون.
   - ☐ الإنسـان فـي حركـة مسـتمرة نحـو الكمـال والقرب إلى الله سبحانه.
   - ☐ مبدأ الإنسانية.
   - ☐ الرؤية الإسلامية للحياة.

2. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.
   - ☐ رسالة الإسلام رسالة أخلاقية.
   - ☐ هدف الحياة نشر الرحمة بين الناس.
   - ☐ الإسلام رسالة عالمية تتصف بالرحمة.
   - ☐ الاعتراف بجميع الأديان السماوية.

3. ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
   - ☐ الله هو خالق الموت والعدم.
   - ☐ الطريقة التي بها نرجع لله عز وجل.
   - ☐ الإسلام رسالة كونية تشمل الكون كله.
   - ☐ الحيـاة الحقيقيـة هـي نصيـب مـن يعمـل الأحسن في هذه الدنيا.

4. ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.
   - ☐ استخلاف الله للإنسان.
   - ☐ الإنسان محور هذا الكون.
   - ☐ مبدأ حرية العقيدة.
   - ☐ الرؤية الإسلامية للحياة.

5. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
   - ☐ استخلاف الله للإنسان.
   - ☐ مبدأ الواقعية.
   - ☐ مبدأ العبودية لله.
   - ☐ الرؤية الإسلامية للحياة.

6. ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.
- ☐ هدف الحياة هو التكامل.
- ☐ مبدأ الاهتمام بالقصد "النية".
- ☐ الاعتراف بجميع الأديان السماوية.
- ☐ مبدأ حرية العقيدة.

7. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾.
- ☐ تتمحور رسالتنا حول مساعدة الإنسان.
- ☐ الإسلام رسالة عالمية.
- ☐ الهدف من خلق الحياة.
- ☐ مبدأ العبودية لله.

8. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.
- ☐ مبدأ واقعية التكليف الشرعي.
- ☐ رسالة تقوم على أساس العقل.
- ☐ مبدأ حرية العقيدة.
- ☐ تحقيق أقصى قدر من السعادة للإنسان.

9. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.
- ☐ الإنسان محور هذا الكون.
- ☐ الرؤية الإسلامية للحياة.
- ☐ الرسالة الإسلامية.
- ☐ مبدأ العبودية.

10. ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناسِ﴾.
- ☐ الإسلام رسالة عالمية.
- ☐ تتمحور رسالتنا حول مساعدة الإنسان.
- ☐ مبدأ الإنسانية.
- ☐ رسالة الإسلام رسالة أخلاقية.

11. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
- ☐ تتمحور رسالتنا حول مساعدة الإنسان.
- ☐ الإنسان محور هذا الكون.
- ☐ مبدأ الإنسانية.
- ☐ هدف الحياة هو التكامل.

# القسم الثاني

## العقيدة الإسلامية

الرجوع لصفحة المحتويات

# العقيـــــــدة الإسلامـــــية

# 3

# كيف نهتدي إلى الحقيقة؟

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج، 46)

الرجوع لصفحة المحتويات

## مقدمة

يستطيع صاحب أي مدرسة أو توجه فكري أن يحدد له رسالة إيجابية بناءة في الحياة، وهذا أمر جميل في حد ذاته، ولكن: هل تنبع رسالته هذه من معتقداته وإيمانه؟ أم أن رسالته مجرد كلمات من دون عمق عقائدي تستند إليه؟ أم هي على خلاف المعتقدات والمفاهيم التي يؤمن بها ويتبناها فيعيش الإنسان مضطربًا متخبطًا في حياته ومشاعره وسلوكياته؟ هذه العقيدة الإسلامية التي تتأسس عليها الرؤية الإسلامية للحياة هي ما سنتناوله في هذا القسم.

تتناول العقيدة الإسلامية مصدر الوجود والحياة في الكون وعلاقة الإنسان به، وبالتالي هدف الإنسان في الحياة والقوانين التي تحكم حركته ومسيرة الحياة من حوله، وكيفية تحقيق هدفه وفق هذه القوانين، والدعم الذي نحصل عليه من الله لمساعدتنا في تحقيق هذا الهدف، والثواب التكويني الذي نحصل عليه جراء تحقيقنا له، والعقاب التكويني الذي ينتج عن تخلفنا عن تحقيقه، وأثر ذلك كله في تحقيق "رؤيتنا ورسالتنا في الحياة".

# كيف نهتدي إلى الحقيقة؟

إن السعي إلى "معرفة الحقيقة" والتعبد به هو الركن الأساس "للمنظومة الفكرية الإسلامية، من هنا تأتي أهمية العقل وطلب الحكمة والمعرفة في الإسلام، بل إن أول كلمة نزلت في القرآن: ﴿اقرأ﴾. (العلق، 1)

يعلمنا الله في كتابه الحكيم أن مهمة الأنبياء تعليم الناس وتزكيتهم: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

يفرق الإسلام بين دائرتين من الحقائق من حيث قدرة العقل الإنساني على الاهتداء إليها:

الدائرة الأولى: **معرفة العقيدة على نحو مجمل:** وتقع في متناول قدرة العقل البشري، ولذا فقد جعل الله مسؤولية إدراك هذه الحقائق على العقل، ومنحه ما يلزمه من صلاحيات لذلك، وقَبِلَ ما يتوصل إليه من نتائج، وما إرسال الرسل وإظهار الآيات إلا تحفيزًا للعقل على التفكير، ولذا نلاحظ حث الإسلام بشدة على التفكر والتأمل الذي يظهر بوضوح في عشرات الآيات القرآنية الدالة على ذلك. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾. (سبأ، 46) وعن الإمام علي (ع): "التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين".

الدائرة الثانية: **مسائل الغيب وتفاصيل المعاد والأحكام الشرعية:** ولا تقع في متناول قدرة العقل البشري؛ لأنها مرتبطة بمعرفة الغيب والعوالم الأخرى التي يقع إدراكها خارج قدرة الإنسان بغير الإخبار الإلهي (الوحي)، لأنها ببساطة خارجة عن إدراكنا الإنساني وحدوده، فعلى سبيل المثال: تهدف الأحكام الشرعية إلى تطوير الإنسان وبيئته بأفضل وجه ممكن ليحيا أفضل حياة فردية واجتماعية في الدنيا والآخرة.

وعليه فلو أردنا معرفة الأحكام الشرعية المناسبة بعقولنا أو اهتدينا إلى الحكمة منها فإن ذلك لا يتطلب عقلًا جبارًا فحسب، وإنما يتطلب كذلك معرفة واضحة بتفاصيل عالم الآخرة والقوانين التي يخضع لها وأثرها في وجودنا وسعادتنا أو شقائنا هناك، وهو أمر محال.

من هنا فقد جعل الله مسؤولية معرفة الحقائق في هذه الدائرة الثانية على الوحي (الرسالات السماوية). ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. (الإسراء، 15)، وفي هذه الدائرة الثانية لا بد أن نرجع كذلك إلى العقل لنعلم بصحة صدور الوحي وبمقاصده، فلابد أن نهتدي بعقولنا -بدرجة مطمئنة- إلى أن محمدًا ﷺ نبي الله، وأن القرآن كتاب الله، وأن ما ورد عن النبي محمد ﷺ من أحاديث شريفة صدرت منه، أو أنه أجاز لنا التعبد بها، وأن ما نفهمه من هذه النصوص الشرعية المعبرة عن الوحي (القرآن، والسنة) هو ما تعنيه فعلًا هذه النصوص إما عقلًا أو بقواعد نعلم أن الرسول ﷺ أجاز لنا فهم النصوص على أساسها.

أما ربط الإيمان بالأمور الخارقة للعادة بدلًا من العقل فهو أمر شديد الخطورة؛ لأنه يفتح الباب واسعًا أمام المشعوذين لاختراق مجتمعاتنا وقيادتها نحو الضلال. وبالرغم من أن اليد الإلهية على مر التاريخ تتدخل بالمعجزات لنصرة مسيرة الإنسان إلى الله، لكن يبقى هذا شأنه -سبحانه وتعالى- يقدِّره متى ما شاء هو، وليس متى ما شئنا أو اعتقدنا نحن.

لقد اتخذ الله العقل وسيلة لإثبات الحق ومعرفة أولياء الله والهداة إليه، بينما يأبى الكفار إلا أن يربطوا معرفة الحق بالمعجزات، وهذا ما يرفضه الله رغم قدرته المطلقة التامة عليه. لاحظ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء 90-94).

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 3

**حـدِّد مـا إذا كانـت معرفـة كل بنـد مـن البنـود التاليـة بمقـدور العقـل البشـري الاهتـداء إليهـا مـن عدمـه على مسـتوى القطـع واليقيـن خلال 10 ثوانٍ لكل بند:**

- ☐ حرمة الغيبة.
- ☐ وجود الله.
- ☐ حرمة سماع الأغاني.
- ☐ حفظ القرآن من التحريف.
- ☐ وجود الميزان والصراط يوم القيامة.
- ☐ وجوب الصلاة.
- ☐ عقيدة التوحيد.
- ☐ كيفية الصلاة.
- ☐ حرمة الربا.
- ☐ كون الله مطلق غير محدود.
- ☐ وجود المعاد.
- ☐ حرمة أكل لحم الخنزير.
- ☐ قبح عقاب الجاهل القاصر.
- ☐ وجوب لبس الحجاب للمرأة.
- ☐ العدل الإلهي.

﴿اللَّـهُ نُـورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
(النور 35)

# 4
# اللّه
# جلَّ جلاله

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
الله -جل جلاله- ذات الوجود
8:08

تتمحور العقيدة الإسلامية حول التوحيد الخالص لله جلَّ جلاله. ووفق الرؤية الإسلامية للحياة فإن المبدأ والمعاد لله. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (البقرة، 156)، فالله عز وجل مصدر الوجود والحياة، وحيث إنه كذلك فهو ذات الوجود بإطلاقه اللامتناهي (الله جلّ جلاله).

وبيان ذلك أن أي موجود إذا اتصف بصفة فإننا نتساءل عن مصدر هذه الصفة وكيف اكتسبها، إلا إذا كانت الصفة ذاتية فيه أو كان هو ذات الصفة، فإذا وجدت كتابك مبتلًّا فإنك ستتساءل عن مصدر البلل، لكنك لن تتساءل أبدًا عن مصدر الماء؛ لأن البلل صفة ذاتية فيه.

وهكذا فإن صفة الوجود لجميع الموجودات والكائنات ليست صفة ذاتية فيها، فالكائنات لم تكن قبل وجودها، وعليه نتساءل عن مصدر وجودها، وهذا السؤال يقودنا إلى مصدر صفة الوجود، وهو ذات الوجود نفسه سبحانه (الله).

فالله إذًا ليس موجودًا مثل بقية الكائنات، وإنما هو ذات الوجود، ولذا يصدر منه الوجود على جميع الموجودات، كما يصدر البلل من الماء، وكما يصدر النور من الشمس. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر، 15).

بعبارة أخرى: كل مخلوق في الكون يتكون من شقين؛ هما: الهوية، والوجود، فعلى سبيل المثال: الجانب الأول فيك هو هويتك بوصفك "إنسانًا"، والجانب الثاني وجودك. الجانب الأول اعتباري؛ إذ ليس له وجود مستقل في الخارج، وإنما هو منتزع ومتصور من قيود الموجود وحدوده، حيث إن هوية أي موجود ليست سوى صفات ذلك الموجود وقيوده وحدوده التي هي نفس وجوده، فوجودنا ليس سوى ما نملكه من صفات؛ فملامح وجهك -مثلًا- هي وجهك نفسه، وهي ليست سوى حدود وجهك وصفاته، وليست شيئًا مختلفًا عنه، كما أن الجسم ما هو إلا نفس امتداده وحجمه وكتلته.

هكذا الحال مع كل الموجودات فيما عدا الله جلَّ جلاله، حيث هو الوجود فحسب، فهويته هي نفس وجوده سبحانه وتعالى.

فالله هو الوجود، ولأن خلاف الوجود هو العدم، لذلك لا يوجد شيء يمكن أن يحد وجود الله، لأن العدم غير موجود، ولهذا سبحانه وتعالى غير محدود على الإطلاق.

ولأن الله هو ذات الوجود، وحيث إنه لا شيء غير الوجود إلا العدم، والعدم غير موجود كما قلنا، فبالتالي فالله وجود واحد، وبسيط (غير مركب)، ومطلق لا يخالطه شيء "صرف الوجود".

ولذا فالله غير قابل للتصور فضلًا عن الرؤية، إذ إنه ليس له حدود أو قيود أو نواقص في وجوده ليُتَصَوَّر من خلال هذه الحدود والقيود، وإلا لو أمكن -جدلًا- تصوره لأصبح موجودًا مثلنا، وأصبح بحاجة أن يفاض عليه الوجود ممن هو ذات الوجود. قال الإمام علي (ع): "الْحَمْدُ لِلَّهِ... الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُود".

وهذا يوضح لنا اتصاف الله بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عن جميع النواقص والعيوب، وأن صفاته عين ذاته، وذاته عين صفاته، فقدرته هي حكمته وسمعه وبصره وكل صفاته، وهي ذات وجوده البسيط الواحد. قال الإمام علي (ع): "وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ".

ويستحيل كذلك أن يكون هناك إله آخر؛ فوجود إله آخر يقتضي أن يكون -الإله الآخر- غير الله، وما من شيء غير الله (الذي هو ذات الوجود) سوى العدم.

كما أنه لو كان هناك إله آخر لكان كل إله محدودًا بالإله الآخر، فيمكن تصوره من خلال حدوده، مما يعني أنه موجود مثل سائر الكائنات، وليس ذات الوجود (الله جلَّ جلاله).

أما الكائنات والموجودات فهي لا تحدُّ الله جلَّ جلاله، وإلا لكان وجوده عزَّ وجلَّ محدودًا بمخلوقاته.

إن آيات القرآن والأحاديث الشريفة مستفيضة في التأكيد على أن الله لا يخلو منه مكان ولا يحده مكان؛ لأننا وإن كنا موجودين بشكل حقيقي إلا أننا نبقى مجرد تجلٍّ للوجود الإلهي، يشبه ذلك حقيقة أن النور والحرارة إنما هما تجليان للشمس، فهما غير الشمس، وفي الوقت نفسه وجودهما ليس بإزاء وجود الشمس. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة، 115).

لتتضح الصورة بشكل أفضل فكِّرْ في العلاقة بيننا وبين أفكارنا. ارسم في رأسك صورة لمنظر جميل، هذه الصورة الذهنية أنت من أوجدها، وجودها حقيقي، ولكنها في الوقت نفسه انعكاس لك ومن تجليات تفكيرك.

الآن، انظر كم هو ضعيف وجود هذه الصورة في مقابل وجودك. إنها تحت تصرفك تمامًا، ويمكنك أن تفعل بها ما تريد، وأن تتحكم فيها كيفما تشاء، لأنك تملكها بكل ما للكلمة من معنى.

هكذا العلاقة بيننا وبين الله، بل أقرب من ذلك، فنحن موجودات حقيقية، لكننا في الوقت نفسه لسنا سوى تجلٍّ لله ومظهر لوجوده سبحانه، وهو بذلك -جلَّ جلاله- يمتلكنا بالكامل من كل حيثية من وجودنا. قال الإمام علي (ع) عن الله عزَّ وجل: "داخل في الأشياء، لا كشيء داخل في شيء، وخارج من الأشياء لا كشيء خارجٍ من شيء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره". (نهج البلاغة).

## قراءة
## اختيارية

# حـوار في اللـه - مقطـع من رواية "رحلة كادح"

خرجنـا معًـا مـن صـلاة يـوم الجمعـة، كان ذلـك اليـوم مـن أشـد أيـام الصيـف حـرارةً... مشـينا عـدة دقائـق قبـل أن نصـل إلى سـيارة خالـي الفارهـة، كنـت صامتًـا طـوال الطريـق أرتـب أسئلتي وشكوكي التي كنت متهيِّبًا من طرحها.

جلسـت فـي السـيارة.. كان مقعدهـا مصنوعًـا مـن الجلـد، وهـذا مـا جعله -بالرغـم من فخامة السـيارة- شـديد الامتصـاص للحـرارة، فوجئـت بهـذه الحرارة الشديدة للمقعد فصدرت مني آهة عفوية.

- خالي.. المقعد نار.

* أنـا آسـف، نسـيت أن أضـع الغطـاء الواقـي من الشمس.

■ لا مشكلة، أنا متعوِّد...

* قل لي: لقد تقبلت بسهولة كون المقعد "نارًا"، لماذا؟

■ طبيعي، لأن الجو حار جدًّا!

* حسنًا، افترض أننا في الشتاء، هل كنت ستستغرب إذا كان المقعد حارًّا جدًّا؟

■ طبعًا، لا يمكن أن يكون المقعد حارًّا في الشتاء.

* لماذا؟

■ لأنه ما من سبب لأن يكون حارًّا، ما الذي ترمي إليه خالي؟

* اصبر معي قليلًا، والآن قل لي: هل تستغرب من كون النار حارةً حتى في الشتاء؟

■ طبعًا لا، سأستغرب إذا صار العكس.

* إذًا: ما الفرق بين المقعد والنار بالنسبة للحرارة؟ لماذا تستغرب إذا كان المقعد حارًّا في الشتاء ولا تستغرب من كون النار حارة في الشتاء؟

■ النار نار، ولا يمكن مطلقًا -بأي حال من الأحوال- أن تكون غير حارة، بينما حرارة المقعد تعتمد على حرارة الجو.

* اسمح لي أن أعيد عبارتك. أنت تقول لي: إن الحرارة لا يمكن أن تنفصل وأن تنفك عن النار مطلقًا لأنهما شيء واحد، أو بمعنى آخر: إن صفة الحرارة ذاتية في النار، بينما في المقابل فإن الحرارة يمكن أن تنفصل وأن تنفك عن المقعد بسهولة حسب حرارة الجو، بعبارة أخرى: صفة الحرارة عَرَضية على المقعد وغير ذاتية فيه. أليس هذا ما تعنيه؟

■ نعم، يمكنك أن تقول ذلك.

كان الشارع خاليًا تقريبًا من السيارات، ربما هربًا من شدة القيظ، لذا لم نستغرق وقتًا طويلًا

لنصل إلى مطعم "كارجين" في مدينة قابوس، المطعم الذي عزمني فيه خالي، رَكَن خالي سيارته بجوار المطعم، وأرجع مقعد السيارة إلى الخلف، واتجه بكله ناحيتي.

* عظيم، لكن لاحظ أن المقعد لا بُدّ أن يكون متصفًا بالحرارة في كل حالاته بغض النظر عن درجة الحرارة، أليس كذلك؟

- صحيح، لكن مع ذلك فصفة الحرارة -على حد تعبيرك- عَرَضية عليه. هذا واضح، لكن: كيف نستطيع التمييز بين الصفة العَرَضية والصفة الذاتية؟

* أنت قلتها في البداية؛ أن تنفك وتنفصل الصفة عن الموصوف فهذا يعني أنها عَرَضية، أو قل: عارضة عليه، وإلا فهي ذاتية، ولكن هذا الانفكاك لا يشترط أن يكون في وجودنا الخارجي، وإنما حتى على مستوى الذهن والتصور، أو كما يعبر عنه الفلاسفة "في نفس الأمر والواقع". دعني اسألك: ما رأيك في صفة الطول للإنسان، أهي ذاتية أم عَرَضية؟

- المسألة واضحة، هي صفة عَرَضية، لكن عفوًا خالي: هل لهذا النقاش علاقة بموضوعنا الأصلي؟

* نحن في الموضوع نفسه، لا تستعجل، وقل لي: ما رأيك في صفة السيولة للماء؟

- صفة ذاتية.

* حسنًا، والآن: ألا تلاحظ أن الصفة إذا كانت عَرَضية فأنت تسأل عن السبب وعن المصدر بعفوية وتلقائية ولكنك لا تسأل عن السبب إذا كانت الصفة ذاتية بل تستغرب ممن يسأل عنه؟ يعني إذا كانت الورقة مبللة فأنت ستسأل كيف تبللت، ولكنك لن تسأل مطلقًا عن سبب تبلل الماء، بل إنك تعدُّ هذا السؤال غبيًّا، أليس كذلك؟

- بالتأكيد.

* أخبرني إذًا: هل صفة الوجود ذاتية فيك أم عَرَضية عليك؟ أو بعبارة أخرى: هل وجودك ناتج من ذاتك وبالتالي لا يمكن

أن ينفك عنك بأي حال من الأحوال أم أنه عارض عليك؟

- بالطبع عارض عليَّ؛ لأنني لم أكن موجودًا في البداية وسأموت في يومٍ ما!
- عرضية طبعًا؛ لأنها قد تكون موجودة وقد لا تكون، فهي وجدت بعد أن لم تكن.

* أحسنت... والآن: إذا كانت صفة الوجود عَرَضية عليها -أو بعبارة أخرى: الوجود عارض عليها وليس من ذاتها- فهذا يعني أنها مفتقرة للوجود، ويعني أيضًا أنه لا بد من مصدر غني للوجود أفاض الوجود عليها وخلقها، أليس كذلك؟

- واضح.

* هذا المصدر هو غني بالوجود وصفة الوجود ذاتية فيه لا تنفك أو تنفصل عنه، أو بعبارة أخرى: الوجود نابع من ذاته، أو بعبارة ثالثة: هو ذات الوجود، هي عبارات مختلفة، لكن المعنى واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

- خالي، الدليل واضح جدًّا على وجود الله، ولكن: هل أستطيع أن أتجرأ وأتكلم بصراحة؟

* طبعًا.

- صحيح أن هذا الدليل يثبت تمامًا أن هناك ربًّا خلقنا، ولكنه لا يثبت أنه محسن وقدير ولطيف بنا وأنه لا يخدعنا ولا يظلمنا، وأنه غير ناقص.

* بل يثبت ذلك، ألم تتفق معي أن صفة الوجود عرضية على كل الكائنات؟ لماذا تعتقد ذلك؟ هل تتذكر العامل الذي قمنا على أساسه بتحديد ما إذا كانت الصفة عرضية أم ذاتية؟

- بصراحة.. نسيت.

* دعني أنشط ذاكرتك قليلًا... هل تتذكر أننا في البداية قلنا إن الصفة إذا كانت تنفك وتنفصل عن الموصوف فهذا يعني أنها عرضية أما إذا كانت لا تنفك وتنفصل عنه فهي ذاتية؟

- صح.. وقلنا أيضًا إن هذا الانفكاك لا يشترط أن يكون في الواقع الخارجي، إنما حتى على مستوى الذهن والتصور.

* طالما تذكرت ذلك، أجبني عن سؤالي: لماذا تعتقد أن صفة الوجود عرضية على الكائنات؟

- الجواب واضح: لأن جميع الكائنات قابلة للتصور والتخيل وذلك من جهات حدودها ونقصها، أليس كذلك يا خالي؟

* عظيم، وهذا يعني أن مصدر الوجود هو شيء لا يمكن أن يتم تصوره وتخيله في نفس الأمر والواقع؛ لأنه إذا تم تصوره فهذا يعني أن الوجود عارض عليه، أليس كذلك؟

- صحيح.

* أن يكون مصدر الوجود غير قابلٍ للتصور في ذاته فهذا يعني أنه ليس له حدود أو قيود أو نواقص في وجوده، ويعني أيضًا أن يكون واحدًا، بسيطًا غير مركب من أجزاء أو صفات مطلقًا؛ لأنه لو كان مركبًا لأمكن تصوره من خلال تصور أجزائه، كما أنه لو كان محدودًا أو مقيدًا أو ناقصًا في أي ناحية أو جهة لأمكن تصوره وتعريفه من خلال حدوده ونقصه، أليس هكذا نتعرف هوية كل الكائنات من حولنا؟

- فعلًا! ياه، المسألة سهلة، لكنها معقدة في نفس الوقت.

* وهذا يثبت لنا كيف أن الله متصف بجميع الصفات الوجودية وصفات الكمال، ويثبت لنا أيضًا أنه سبحانه وتعالى منزه عن جميع النواقص والعيوب والحدود.

- المسألة واضحة. قلت ذلك وأنا مطرق أتأمل بعمق في كلام خالي.

* الآن أريدك أن تتأمل أكثر، فكِّر معي: ما الذي يمكن أن يكون بسيطًا واحدًا وغير محدود مطلقًا ويكون مصدر الوجود؟ أو بمعنى آخر: الوجود نابع من ذاته؟

- يـا إلهـي. قلتهـا بصـوت مرتفـع، ثـم أعقبـت بحمـاس بنبـرة مسـتفهم يريـد التأكـد مـن صحة ما اكتشفه:

* هـو ذات الوجـود... الآن أفهـم عندمـا قـرأت عن الله مرة أنه صرف الوجود.

- نعـم هـو ذات الوجـود.. هـو الوجـود، ولأنـه لا يوجـد هنـاك أي شـيء آخـر غيـر الوجـود إلا العـدم، والعـدم غيـر موجـود، لـذا هـو وجـود مطلـق لا يخالطـه شـيء، وهـذا مـا نطلـق عليـه صـرف الوجـود، ولهـذا هـو مطلـق؛ لأنـه لـو لـم يكـن مطلقًـا لـكان محـدودًا بالعـدم مـن بعـض جهاتـه، والعـدم غيـر موجـود، فكيـف يخالط الوجود؟

* خالي، سأُجَنُّ.

- سـأتوقف، ولكـن بقيـت هنـاك نقطـة واحـدة أريـد توضيحهـا، وهـي لأنـه صـرف الوجـود فهـو بسـيط وغيـر مركـب مـن أجـزاء، وإلا لأمكـن تصـوره كمـا قلنـا، وهـذا يعنـي أن صفاتـه عيـن ذاتـه، وذاتـه عيـن صفاتـه، فقدرتـه هـي حكمتـه وهـي سـمعه وبصـره وكل صفاتـه، وهـي ذات وجـوده البسـيط الواحد.

* يـاه، رائـع خالـي.. الآن أسـتطيع أن أفهـم معنـى خطبـة الإمـام علـيٍّ التـي كثيـرًا مـا نسـمع الخطبـاء يرددونهـا: "الحمـد للـه... الـذي لا يدركـه بُعـد الهمـم، ولا ينالـه غـوص الفطـن، الـذي ليـس لصفتـه حـد محـدود، ولا نعـت موجـود ... أول الديـن معرفتـه، وكمـال معرفتـه التصديـق بـه، وكمـال التصديـق بـه توحيـده، وكمـال توحيـده الإخـلاص لـه، وكمـال الإخـلاص لـه نفـي الصفـات عنـه، لشـهادة كل صفـة أنهـا غيـر الموصـوف، وشـهادة كل موصـوف أنـه غيـر الصفـة: فمـن وصـف الله سـبحانه فقـد قرنـه، ومـن أشـار إليه فقد حدَّهُ، ومن حدَّهُ فقد عدَّهُ".

ابتسـم خالـي ابتسـامة مشـجعة تنـمُّ عـن نـوع مـن الرضا والارتياح.

لقـد كنـت مسـتمتعًا جـدًّا بهـذا الفهم، وأحسسـت بقشـعريرة تسـري فـي أوصالـي وكأنهـا طاقـة

إلهية تدب في روحي وفي جسمي كله، لم أشعر يومًا بمثل هذه الطمأنينة، لقد كان شعورًا جميلًا، بل رائعًا كأروع ما يكون.

نزلنا من السيارة في صمت وأنا شارد أتحسس بهدوء ما أدركته من معان مقدسة ورائعة لم أتخيلها يومًا في حياتي، كنت تائهًا، وها أنا الآن متيقن كما لم أكن سابقًا، لم يشأ خالي أن يقطع عليَّ إحساسي الجميل هذا فتركني هائمًا في أفكاري، حتى إنني لم أشعر بنفسي وأنا أدخل المطعم ويستقر بي المقام في الكرسي الخشبي للطاولة المقابلة للنافورة على الجانب الأيمن منها!

- خالي: لماذا لا يعلموننا هذه البراهين الرائعة في مدرسة المسجد؟ ولماذا لا يطرحها العلماء في خطبهم ومحاضراتهم؟

* سنتحدث في هذا الموضوع لاحقًا، لكن الآن يجب أن نطلب الأكل، ماذا ستأكل؟

- لا أعرف، هذه أول مرة أذهب فيها لمطعم مثل هذا، اختر لي أنت يا خالي.

طلب خالي الأكل، وبدأنا نأكل، وأنا في تفكير عميق لم يقطعه خالي احترامًا لي، إلى أن لمعت في رأسي فجأة فكرة جميلة.

- خالي، نستطيع بهذا الفهم أن نثبت التوحيد أيضًا وبشكل قاطع، أليس كذلك؟

* صحيح، هو كذلك، هل تريد أن تجرب وتوضح فكرتك؟

- طبعًا، الأمر واضح، لو كان هناك إلهٌ آخر لكان كل إله محدودًا بالإله الآخر، وبالتالي نستطيع تخيله وتصوره من خلال حدوده، الأمر الذي يعني أن الوجود عارض عليه، صحيح خالي؟

* رائع. يبدو أنك استوعبت الفكرة.

- ولكن، ألسنا نحن نحدُّ الله؟ ففي المكان الذي أكون فيه أنا لا يمكن أن يكون فيه الله، فلا يمكن أن يوجد شيئان اثنان في مكان واحد!

* وجودنا نحن وإن كان حقيقيًّا في الواقع، إلا أنه ليس وجودًا بإزاء وجود الله، وإلا لكان وجوده عز وجل محدودًا بنا نحن المخلوقات، وبالتالي أصبح الوجود عرضيًّا عليه ولم يعد هو مصدر الوجود، أليس كذلك؟

قطبت ما بين حاجبي محاولًا التركيز والبحث عن إجابة، فالأمر يبدو معضلة؛ كيف يكون وجودنا حقيقيًّا ولكنه في الوقت نفسه ليس وجودًا إزاء وجود الله؟! ما معنى هذا الكلام؟ من جهة أخرى فعلًا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ندَّعِي أن وجود الله عز وجل محدود بنا نحن مخلوقاته. المسألة فعلًا محيرة.

* دعني أسألك: هل تعرف في الكون مكانًا خاليًا لا يوجد فيه شيء ليكون فيه الله عز وجل؟

- درسنا في الفيزياء أنه لا يوجد في الكون أي مكان خالٍ (خلاء) مطلقًا! هل يعني هذا أن الله ليس في الكون كله؟ بالطبع خطأ.

* آيات القرآن والأحاديث الشريفة مستفيضة في التأكيد على أن الله لا يخلو منه مكان ولا يحده مكان، هل تستحضر قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾؟ كيف يمكن أن يكون الله أقرب إلى الإنسان من نفسه حقيقةً وليس مجازًا؟

- فعلًا، لم أفكر في ذلك من قبل.

* لأننا وإن كنا موجودين بشكل حقيقي في الواقع إلا أننا نبقى مجرد تجلّ للوجود الإلهي، يشبه ذلك حقيقة أن النور والحرارة إنما هما تجليان للشمس، فهما غير الشمس، وفي الوقت نفسه وجودهما ليس بإزاء وجود الشمس.

- معقول، ويذكرني هذا بقول الإمام علي (ع) عن الله عز وجل: "مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة"، لكنني ما زلت لا أستطيع أن أتصور بوضوح كيف أننا تجليات لله بالرغم من أننا لسنا جزءًا من الله وأن وجودنا الخارجي حقيقي!

* ربما لأن هذا يستدعي أن ندرك كنه وجود الطرفين وحقيقتيهما معًا: نحن والله، ونحن

اتفقنا على أنه لا يمكن بأي حال إدراك ومعرفة كنه الله عزَّ وجلَّ وحقيقته، أليس كذلك؟

- هو كذلك خالي.

# # # # #

في المساء، نزلت من سيارة خالي مقابل الباب الكبير "لسور اللواتية" على شارع الكورنيش، كدت أطير من الفرحة والسعادة وأنا أحث الخطا نحو بيتنا في أزقة "سور اللواتية" الضيقة المتداخلة وكأنها مدينة البندقية بروما. كنت أحيانًا أركض من شدة لهفتي وشوقي للقاء والدتي وجدتي والتحدث معهما واللعب مع أختاي الشقيتين. نعم، مضت سنة منذ أن تركتهم وانشغلت عنهم بنفسي بالرغم من أنهم في أمسِّ الحاجة إليَّ، بل أرهقتهم بمشكلاتي وحزني الدائم، لقد كنت أنانيًّا، والآن آن الأوان لأعوضهم عن ذلك كله، ولأسدَّ بعض النقص الذي خلَّفه والدي.

دخلت البيت فسلمت عليهم بلهفة وشوق، وداعبت أختاي وكأنني رجعت من سفر طويل ومرير، وطفقت أحكي لوالدتي ما دار بيني وبين خالي من نقاش بحماس وشغف، وأنا لا أفتأ بين الفينة والأخرى أمدح خالي وطيبته وسعة معرفته. وكانت والدتي تستمع إليَّ باهتمام بالغ وعلى وجهها ابتسامة ملائكية رائعة، لقد كانت سعيدة جدًّا لسعادتي، وتحمد الله بين الحين والآخر. أما جدتي فكنت ألاحظ أن وجهها يعلو ويصعد من شدة الغيظ لما تسمعه، وكانت لا تتوقف عن الاستغفار مما تعتقد أنه تجرّؤٌ على الله والعياذ بالله.

في تلك الليلة جافاني الرقاد، فقمت أسترجع أفكاري، وكانت تدور في مخيلتي العديد من الأحاديث الشريفة والأدعية التي تدل على هذه المعاني، لكنني لم أكن أنتبه لها سابقًا. لقد كنت سعيدًا ومطمئنًّا جدًّا.. سعادة من يرجع له معشوقه بعد طول هجر وغياب، سعادة من يكتشف ويتأكد أن من يعشقه يبادله نفس مشاعره، وأنه يستحق كل مشاعر العشق والحب، بل يستحق أكثر منها بكثير.

كان الجميع من حولي يغط في نوم عميق، تسللت خلسة من فراشي، وتوضأت، وقمت أصلي الليل،

وأنا ألهج بحب الله بكل ذرة في كياني، وبكل خلجة من خلجات فؤادي، لم يكن هناك من شيء يستطيع أن يعبر عن مشاعري التي كانت تمتلكني تجاه الله، تناولت كتاب الأدعية، لكنني هذه المرة كنت أتصفحه بحثًا عن المعاني التي اكتشفتها اليوم، لم أشعر بنفسي إلا والمؤذن يؤذن لصلاة الفجر، فصليت الفجر، واستلقيت في فراشي، وادثرت، وغصت في نوم عميق.

لست أدري كم مضى عليَّ وأنا نائم، لكنني استفقت من نومي تحت إلحاح فقرة من دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة كنت أرددها: "كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟". قفزت إلى ذهني فكرة رائعة تتحدث عنها هذه الفقرة من الدعاء؛ الفكرة ببساطة: عندما تكون هناك حرارة فإننا تلقائيًّا ومن دون أدنى تفكير نعرف يقينًا أن هناك مصدرًا ذاتيًّا للحرارة حتى قبل أن نكتشف أو أن نفكر في الأشياء التي تأثرت بهذه الحرارة والتي ربما تكون أو لا تكون.

وهذا ما تقوله لنا فقرة الدعاء هذه: إن نفس الوجود -بغض النظر عن الموجودات- يدل على أن هناك مصدرًا ذاتيًّا للوجود "صرف الوجود" هو الله عز وجل، وعليه فنحن لا نحتاج إلى دليل لنثبت أن الله موجود! أستغفر الله.. كيف يمكن أن نكون بهذا الغباء بحيث نحتاج لإقامة الأدلة على مصدر الوجود "الله"؟! فيما بعد عرفت أن هذا الدليل هو ما يعرف بـ "برهان الصدّيقين".

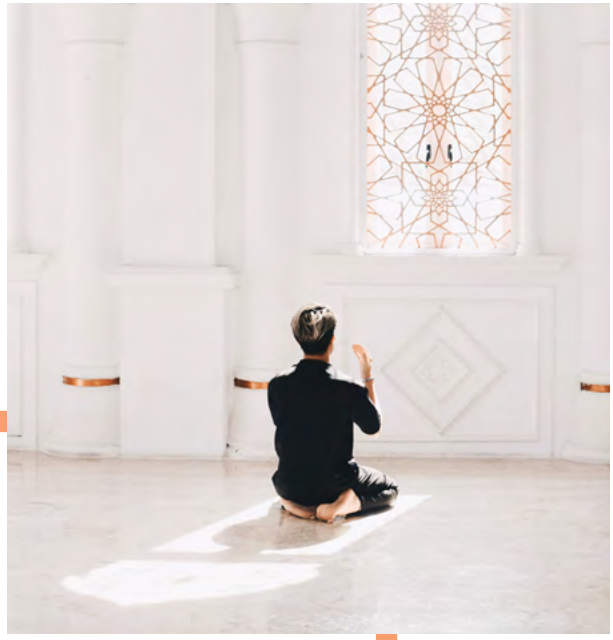

## نشاط
## مقالي (خارجي)

اكتب مقالًا (من 200 كلمة إلى 500 كلمة) عن الفرق بين: "دليل الإمكان الماهوي" و "دليل الإمكان الوجودي" في إثبات وجود الله.

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 4

1. استخرج من القرآن الكريم -خلال خمس دقائق- آية تدل على أن لله عز وجل نورًا عامًّا تستنير به السماوات والأرض فتظهر به إلى الوجود بعد أن لم تكن موجودة، فهو يفيض الوجود على الكائنات فتظهر بعد أن كانت في ظلمة العدم، مثلما يضيء النور للأشياء فتظهر بعد أن كانت مختفية في الظلام. (يمكنك الاستعانة بأدوات البحث الإلكتروني).

2. استخرج من القرآن الكريم -خلال عشر دقائق- أربع آيات تدل على أن الحياة الحقيقية - بمعنى عدم إمكانية طروء الموت عليها - (ذات الوجود) هي لله سبحانه وتعالى وحده. (يمكنك الاستعانة بأدوات البحث الإلكتروني).

# 5

# الإنسان ... خليفة اللّه

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر 28-29)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
النمو الحقيقي في منظور الإسلام أن يح
تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها
الإنسان خليفة الله
4:17

تشكل خلافة الله للإنسان في الأرض القضية والمحور الأساس للرؤية الإسلامية للحياة. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة، 30)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. (الحجر، 28-29)

إن استخلاف الإنسان في الأرض يعني عبادة الإنسان لله عزَّ وجلَّ من خلال عمارة الأرض، حيث تعني العبادة إتيان الإنسان بكل تصوراته وحركاته وسكناته وفق ما يرتضيه الله سبحانه تعالى ووفق المنهج الإسلامي.

فالأرض هي الميدان الذي يجسد فيه الإنسان العبودية لله بكل مظاهرها ويحقق الخلافة الإلهية في الأرض من خلال عمارة الإنسان له والكدح فيه سعيًا للرزق والأمان والسعادة عبر الأطر والمفاهيم والتعليمات الإسلامية، فالعبودية لله وعمارة الأرض وجهان لعملة واحدة، وهما يؤديان تكوينًا إلى تطور الإنسان ورقيِّه وسموِّه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة، 10)، وقال: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (القصص، 73)

فكما تبين لنا في درس إستراتيجية الخلق أن هناك إستراتيجية واضحة ودقيقة من خلق الكون، ولأننا شركاء في هذه الإستراتيجية ومنفذوها الرئيسون لم يخفها الله علينا، بل بيَّنها لنا بوضوح في كتابه الكريم، وأمرنا بالسعي فيها بكل ما أوتينا من قوة. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات، 50)، والتسابق إليه سبحانه. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة 10-11)، والتنافس على ذلك. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين، 26) لنحقق النجاح والفوز العظيم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين 19-21)، و ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، 72).

ولتسريع حركة الحياة من حولنا لتحقيق هذه الرسالة العظيمة خلقنا جل وعلا تكوينًا ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، وجعلنا ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ (الحجرات،

257). قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (المائدة، 48)، وفضَّل بعضنا على بعض. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام، 165)، وخلقنا ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، 4) بأبعادنا الأربعة: الجسد، والعقل، والقلب، والروح. ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر، 29) حتى يمكننا الاستفادة من كل هذا الجدل والتضاد في الحياة من حولنا وفي أنفسنا. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس، 8) للتطور والتكامل والقرب من الله عز وجل.

ولذلك أيضًا سخر لنا الكون كله ليعيننا. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية، 13)، فجعل ما على الأرض زينة لنا لتدفع للحراك في هذه الحياة نحو الله. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف، 7)، ثم أمرنا بالسعي فيها. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك، 15) لنحقق بذلك عبوديتنا لله والإذعان له سبحانه وتعالى. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، 56)، لنحقق بذلك أعلى درجات التكامل والقرب منه سبحانه، ونستحق أن نكون خلفاء الله، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة، 30).

يذكر السيد محمد باقر الصدر (عالم الدين والفيلسوف الإسلامي) في كتابه "خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء": "أن الله سبحانه وتعالى شرَّف الإنسان بالخلافة على الأرض، فكان الإنسان متميزًا عن كل عناصر الكون بأنه خليفة الله على الأرض، وبهذه الخلافة استحق أن تسجد له الملائكة، وتدين له بالطاعة كل قوى الكون المنظور وغير المنظور".

والنمو الحقيقي في منظور الإسلام أن يحقق الإنسان -الخليفة على الأرض- في ذاته تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها جميعًا في الله عز وجل الذي استخلفه واسترعاه أمر الكون، فصفات الله تعالى وأخلاقه -من العدل والعلم والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين- مؤشرات للسلوك في مجتمع الخلافة وأهداف للإنسان الخليفة، فقد جاء في الحديث: "تخلَّقوا بأخلاق الله"، ولما كانت هذه القيم على المستوى الإلهي مطلقة ولا حدَّ لها وكان الإنسان الخليفة كائنًا محدودًا، فمن الطبيعي أن تتجسد عملية تحقيق تلك القيم إنسانيًّا في حركة مستمرة إلى المطلق وسير حثيث إلى الله، وكلما استطاع الإنسان من خلال حركته أن يترقَّى في تحقيق تلك المثل ويجسدها في حياته بصورة أكبر فأكبر -عدالة الله، وعلمه، وقدرته، ورحمته، وجوده، ورفضه للظلم والجبروت- سجَّل بذلك انتصارًا في مقاييس الخلافة الربانية، واقترب إلى الله في مسيرته الطويلة...". (السيد محمد باقر الصدر: خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.)

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 5

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية المناسبة لها:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾. (الذاريات، 65)

2. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فيها ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة، 72)

3. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾. (الروم، 30)

4. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. (الشمس، 7، 8)

5. ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾. (السجدة، 7-9)

6. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ والْأَرْضِ والْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. (الأحزاب، 72)

7. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾. (البقرة، 31)

8. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾. (الجاثية، 13)

9. ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾. (الحشر، 19)

10. ﴿وَهُـوَ الَّـذي جَعَلَكُـمْ خَلائِـفَ الْأَرْضِ وَرَفَـعَ بَعْضَكُـمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجـاتٍ لِيَبْلُوَكُـمْ فـي مـا آتاكُم﴾. (الأنعام، 165)

11. ﴿فَكَشَـفْنا عَنْـكَ غِطـاءَكَ فَبَصَـرُكَ الْيَـوْمَ حَديدٌ﴾. (ق، 22)

**المفاهيم الإسلامية:**

- ☐ الاسـتعداد العلمـي لـدى الإنسـان أكبـر مـا يمكن أن يُتاح لمخلوقٍ.
- ☐ للإنسـان فطـرة تعـرف الله، يعـي ربّـه فـي أعمـاق وجدانـه، وكل الشّـكوك أمـراض وانحرافات عن جبلّة الإنسان الأولى.
- ☐ يتمتّـع الإنسـان بضميـرٍ أخلاقـيّ يـدرك القبيـح والجميل بحكم الإلهام الفطريّ.
- ☐ عندمـا يرحـل الإنسـان عن هذا العالـم يتّضح له كثيرٌ من الحقائق التي كانت مخفيّة عنه.
- ☐ للإنسـان شـخصيّة حـرّة مسـتقلّة، وهـو أميـن الله، ولـه رسـالة، وعليـه مسـؤوليّة، وطُلِـبَ منه أن يعمر الأرض بعمله وإبداعه.
- ☐ خلق الله الإنسان ليعبده ويطيعه.
- ☐ خُلِقت نِعَمُ الأرض والسّماء من أجل الإنسان.
- ☐ فـي جبلّـة الإنسـان عنصـرٌ ملكوتـيٌّ إلهـيٌّ بالإضافـة إلى العناصـر الماديّـة الموجـودة فـي الجماد والنّبات والحيوان.
- ☐ الإنسـان الناجـح هـو مـن يتقـي الله وإن كان أفقر الناس وأقلهم حظًّا في الدنيا.
- ☐ الإنسـان لا يجـد نفسـه إلّا بعبـادة الله، وإذا نسي ربّه نسي نفسه.
- ☐ الإنسان خليفة الله في الأرض.

# 6

# ماذا يعني القرب من الله؟

﴿وَالسَّـابِقُونَ السَّـابِقُونَ * أُولَئِـكَ الْمُقَرَّبُـونَ﴾
(الواقعة 10-11)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
القرب من الله
13:59

قلنا في درس إستراتيجية الخلق أن القرب من الله هو الرؤية الإستراتيجية والغرض الأساس من خلق الكون كله، ولكن ماذا يعني القرب من الله؟

المقصود بالقرب من الله سبحانه قربٌ تكوينيٌّ حقيقيٌّ واقعيٌّ، وليس قربًا وهميًّا وتخيليًّا، وبذلك فهو ليس سوى قرب عبوديتنا لله جلّ وعلا، أو فقل: يعني مدى إدراكنا وتفاعلنا سلوكيًّا ومعرفيًّا ونفسيًّا وشعوريًّا ولا شعوريًّا بعبوديتنا لله عزَّ وجلَّ إلى أن نصل إلى مرحلة من العبودية والفناء في الله وحبه لا نرى معها شيئًا غير الله، وهو ما يعبر عنه الحديث المروي عن الإمام علي (ع): "ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه". قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات، 56)

العبودية لله تعني أن تتحرر من كل الأغلال التي تحيط بك، ومن كل الظلمات والمشاعر السلبية كالإحباط والخوف والقلق، ومن الضعف والخور، بل من عبوديتك لنفسك؛ فلا يبقى لشيء في الدنيا -مهما عَظُم أو صَغُر- أثرٌ عليك، وإنما تكون خاضعًا منصاعًا بكلك لله ومتفانيًا فيه عزَّ وجلَّ.

تأمل قوله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة، 257)، والله هو نور السماوات والأرض.

هـذا الفنـاء هـو مـا يعبـر عنـه الإمـام علـي (ع) بـ "كمـال الانقطـاع إلى الله" فـي المناجـاة الشـعبانية: "إلهي، هبْ لي كمال الانقطاع إليك".

ولكـن انتبـه، فالهـدف ليـس أن تعيـش حـال كمـال الانقطـاع إليـه سـبحانه وأنـت فـي خلـوة تتعبـد فـي محرابـك، وإنمـا الهـدف أن تعيـش حـال كمـال الانقطـاع إليـه سـبحانه وأنـت تعيـش وسـط النـاس والحيـاة بـكل مفرداتهـا وتناقضاتهـا وتحدياتهـا فتتفاعـل معهـا فتدفعهـا وتدفعـك، لكنـك بالرغـم مـن كل ذلـك لا تـرى غيـر ربـك وغير عبوديتـك لـه، فـي الوقـت الـذي لا تشـغلك فيـه حـال الانقطـاع هـذه عـن الحيـاة بـكل مـا فيهـا، وإنمـا تدفعـك إليهـا دفعًـا بغايـة الإيجابيـة وبطاقـة إلهية تفوق كل تصور!

فلنتأمـل مـا نقلـه مسـتدرك الصحيحيـن والخطيب البغـدادي وفخـر الديـن الـرازي فـي تفسـيره عـن الرسـول ﷺ لمبـارزة علـي بـن أبـى طالـب عليـه الـسلام لعمـرو بـن عبـد ود يـوم الخنـدق: "أفضـل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة".

تأمل أن ما عدّه الرسول الأكرم ﷺ أفضل من أعمال الأمة الإسلامية كلها إلى يوم القيامة ليس صلاة عليٍّ (ع) في الليل أو صومه في النهار، وإنما ضربةٌ من سيفه لعمرو بن ود يوم الخندق في جهاده في سبيل الله!

وتأمل أن ما عظَّمه الله في قرآنه من فعل عليٍّ (ع) هو ممارسته للعطاء في أثناء صلاته، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (المائدة، 55)

فلم يمنعه (ع) انقطاعه لربه في صلاته أن يدرك أن هناك فقيرًا يطلب صدقةً، ولم يمنعه من أن يتصدق عليه بالخاتم.. سلوكٌ عظيمٌ خصّه الله بالذكر في كتابه وربطه بمعنى الولاية لنقتدي به في حياتنا ولندرك معنى الانقطاع لله عز وجل.

الهدف أن تعيش حال الانقطاع وأنت تأكل وتشرب وتنام وتدرس وتعمل وتلعب مع أطفالك وتمزح مع أصدقائك وتمارس حياتك اليومية بكل تفاصيلها، فلا يشغلك الانقطاع إلى الله عن ممارسة الحياة، ولا تشغلك ممارسة الحياة عن الانقطاع إلى الله؛ لأنه ليس هناك تعارض بينهما، فهما ليسا في عرض واحد، وإنما في طول واحد، وممارستك للحياة وفق ما أمر الله هي محض العبودية لله.

الأمر يشبه ما نشهده من لاعبي كرة القدم أثناء لعبهم مباريات نهائيات كأس العالم، إنهم يلعبون ويحاولون تسجيل الأهداف والفوز بحماسة ودافعية منقطعة النظير؛ لأنهم مستغرقون تمامًا في حلمهم بالفوز بكأس العالم.

إن استغراقهم في حلمهم هذا يسيطر عليهم وعلى مشاعرهم وأفكارهم، ويلهمهم، ويمدهم بالقوة والتركيز، ويرفع من مستوى أدائهم.

إذًا فليس هناك تعارض بين استغراقهم في ممارسة اللعبة بكل وجدانهم، واستغراقهم في حلمهم بالفوز بكأس العالم وكونه المحرك الأساس لهم والسبب في اشتداد عزيمتهم ونشاطهم.

وهكذا الأمر تمامًا عندما تستغرق بكلك في الله وتفنى فيه، فلا ترى غيره سبحانه، ولا يعنيك سوى الفوز بحبه ورضاه، فإن ذلك يمنحك دافعية إلهية منقطعة النظير لتمارس الحياة بإيجابية تامة وحرية مطلقة من كل العبوديات والظلمات للاندكاك في عبودية الله سبحانه وتعالى.

إن الله يريدنا أن نستمتع بلذائذ الدنيا ومتعها المباحة. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف، 32)، بل أن نسعى لها. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك، 15)، ولكن بإيجابية وتوازن. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف، 31)؛ لأن في سعينا نحوها يكمن تطورنا وتكاملنا وقربنا من الله. ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق، 6)، ويكمن التحدي في ألا تقيدنا وتأسرنا أهواؤنا ومتع هذه الدنيا.

ولكن ليست الدنيا فحسب هي التي يريدنا الله أن نستمتع بها من دون أن تأسرنا وتتحكم بنا، وإنما أنفسنا كذلك؛ فبرغم أن الله عز وجل يريدنا أن نحبها ونفهمها ونرعاها، لكنه لا يريدها أن تتحكم فينا ولو بمقدار ذرة!

وبتعبير آخر: إن الله يريدنا أن نفنى فيه سبحانه وتعالى، فلا تكون لنا كينونة غير إدراكنا التام لعبوديتنا له عز وجل. يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات، 56)

# كيف نرتقي بأنفسنا إلى هذا المستوى من العبودية الكاملة لله عز وجل؟

انطلاقًا من هذا الفهم للقرب من الله نستطيع أن ندرك أن قربنا إلى الله إنما هو محصلة عنصرين مختلفين، لكنهما مترابطان بدرجة كبيرة؛ أولهما: مقدار عبوديتنا لله، وثانيهما: مدى إدراكنا -شعوريًّا ولا شعوريًّا معرفيًّا وعاطفيًّا وسلوكيًّا- لهذه العبودية.

يمكنك التفكير بهذه الطريقة: إذا كان مقدار عبوديتك الحقيقية لله هو ألف، ومقدار استشعارك بها وإدراكك لها 60%، فإن محصلة إدراكك للعبودية ستكون ستمائة.

## العنصر الأول: مقدار عبوديتنا لله

إن مقدار عبوديتنا لله مطلق ومساوٍ لتمام وجودنا بكل ذرة فيه، ومن كل حيثية من حيثياته، إن عبوديتنا لله ما هي إلا نفس وجودنا المفاض من الله تعالى علينا، ولذا فعبوديتنا لله نحن البشر أشد وأعظم من عبودية قنديل البحر (مثلًا) وبقية الكائنات الأخرى.

وكلما ازداد وجودنا قوةً وكمالًا واكتسبنا الصفات الخيّرة -مثل المعرفة والحكمة والإرادة-

وأبرزنا الكامن من طاقاتنا وقدراتنا التي وهبنا الله إياها كان ذلك مظهرًا للعبودية الذاتية لله، حتى وإن لم نلتفت إلى ذلك. عن الإمام الصادق (ع): "العبودية جوهرة كنهها الربوبية".

من هنا فإذا عمل الإنسان على تطوير ملكاته وقدراته ومواهبه واكتساب المزيد من الصفات النبيلة -مثل الكرم والشجاعة والحكمة وصفاء النفس والعزيمة وغيرها- فإن عبوديته لله تزداد بالمقدار نفسه، أما إذا خسر ملكاته وقدراته -فخسر معرفته وفطرته وشجاعته وصفاء نفسه- فإنه يبعد عن الله عز وجل. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك، 2)

## العنصر الثاني: مدى إدراكنا لعبوديتنا لله

إن مدى إدراكنا لعبوديتنا لله (وهو في ذاته أحد أهم الملكات والصفات الوجودية) مرهون بمدى ممارستنا لها في حياتنا الدنيا من خلال خضوعنا لتعاليم الله عز وجل ومدى تفاعلنا الإيجابي معها (إيجابيتنا في الحياة).

في حديث قدسي يقول الله تعالى: "ما تقرَّب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، وإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته".

إن تحقيق هذين العنصرين وتعظيمهما هو ما ينبغي لنا أن نستهدفه في هذه الحياة لكي نحقق النجاح والسمو والسعادة التي نسعى إليها، ليس في عالم الدنيا فحسب، وإنما في الحياة بأسرها بكل عوالمها.

هذان الهدفان سنناقش كيفية تحقيقهما في دروس قادمة بشكل لا ينسجم مع الواقع اليومي المزدحم للإنسان الكادح في هذه الحياة فحسب، بل يرتقي به وبأدائه ويحقق له السعادة والطمأنينة والسكينة.

# القُـــرب مـن اللّـــه جل جلاله

## نشاط
## مقالي (خارجي)

اكتب بحثًا (من 500 كلمة إلى 1000 كلمة) عن هدف حياة الإنسان في المدارس الوضعية الأخرى مقارنة بالمدرسة الإسلامية.

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 6

1. استخرج من القرآن -خلال خمس دقائق- آية صريحة تدل على أن الهدف من خلق الله للإنسان هو الرجوع إلى الله.

2. استخرج من الدرس -خلال خمس دقائق- آيتين تدلان على أن الإسلام يسعى إلى تحرير الإنسان والرقي به.

# 7

# القوانين والسنن الكونية

﴿فَهَـلْ يَنظُـرُونَ إِلَّا سُـنَّتَ الْأَوَّلِيـنَ فَلَـن تَجِـدَ لِسُـنَّتِ اللَّـهِ تَبْـدِيلًا وَلَـن تَجِـدَ لِسُـنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. (فاطر، 43)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
القوانين والسنن الكونية
11:51

إن وسيلتنا للسير إلى الله والقرب إليه سبحانه هي خلافتنا في الأرض وعبوديتنا لله من خلال كدحنا في عالم الدنيا، ولكن: ما القوانين التي تحكم هذه المسيرة؟ وهل هناك قوانين أصلًا؟ ومن أين أتت؟ ومَنْ وضعها وحدَّدها؟ هذا ما سنتناوله في هذا القسم والأقسام التالية.

من جهة أخرى: لماذا التفاوت في الخلق يا ترى؟ لماذا خُلق إنسان أسود وآخر أبيض وآخر أسمر؟ لماذا كان هذا جميلًا أو ذكيًّا وذاك أقل جمالًا أو ذكاءً؟ ولماذا خلق الله تعالى الجراثيم والوحوش والمخلوقات المسببة للضرر؟ ولماذا خلقنا الله في دار الدنيا ولم يخلقنا مباشرة في الجنة؟

إن الكون -بجميع مخلوقاته- يتحرك وفق قوانين كونية محددة غير قابلة للتخلف، مثل قانون الجاذبية، وقانون العلة والمعلول (السبب والمسبب). قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. (فاطر، 43)

هـذه القوانيـن هـي التـي توجِـد التفـاوت فـي الخلـق، وهـي التـي تتحكـم فـي إيجـاد المخلوقـات وصفاتهـا التـي تتسـم بهـا، وهـي التـي تتحكـم فـي كل شـيء، بمـا فيـه كدحنـا فـي هـذه الدنيـا وسـيرنا وسـلوكنا إلى الله، ولهـذا فقـد دعانـا الله تعـالى لاكتشـاف هـذه القوانيـن لتسـخيرها فـي خدمتنـا ﴿هُـوَ ٱلَّـذِى جَعَـلَ لَكُـمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُـولًا فَٱمْشُـواْ فِـى مَنَاكِبِهَـا وَكُلُـواْ مِـن رِّزْقِـهِۦ ۖ وَإِلَيْـهِ ٱلنُّشُورُ﴾. (الملك، 15)

هـذه القوانيـن والسـنن غيـر موجـودة فـي الواقـع بشـكل مسـتقل، وإنمـا هـي منتزعـة، ومـا وجودها سـوى انعـكاس لتفاعـل صفـات الموجـودات المختلفة في الكون وقابلياتها.

بعبـارة أخـرى: فـإن جميـع الموجـودات -كالكواكـب والبحار والكائنات الحية والبشر- إنما يتفاعل كل منها مـع الآخـر وفـق ما يملكه مـن صفات، وهـذا التفاعل هـو الـذي يُنْتِـج هـذه القوانيـن التـي تحكـم الكـون.

غيـر أن مـا تملكـه هـذه الموجـودات مـن صفـات إنمـا هـي نفـس وجودهـا، فوجودنـا ليس سـوى ما نملكـه مـن صفـات، فملامـح وجهـك -مثـلًا- هـي وجهـك نفسـه، فهـي ليسـت سـوى حـدود وجهـك وصفاتـه، وليسـت شـيئًا مختلفًـا عنـه، كمـا أن الجسم ما هو إلا نفس امتداده وحجمه وكتلته.

فمـن أيـن يـا تـرى أتـت وجوداتنـا بصفاتنـا التـي نتصـف بهـا؟ هـل خلـق الله كل مخلـوق منـا عـلى حـدة وحـدد صفاتـه بنفسـه سـبحانه وتعـالى مباشرة أثناء خلقه؟

كلا. لـم يخلـق الله كل موجـود بـإرادة مسـتقلة عـن الموجـودات الأخـرى، وإنمـا خَلَـق الكـون كلـه -بكل مكوناتـه وموجوداتـه- بـإرادة إلهيـة واحـدة بسـيطة، وهـي إفاضـة الوجـود إفاضـةً مسـتمرةً واسـعة. ﴿وَمَـا أَمْرُنَـا إِلَّا وَاحِـدَةٌ كَلَمْـحٍ بِالْبَصَـرِ﴾ (القمـر، 50)، أمـا المخلوقـات فقـد تشـكَّلت بصفاتهـا المختلفـة وفـق قانـون العليـة. ﴿إِنَّـا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَـدَرٍ﴾ (القمر، 49).

وعليـه فوجـود أي إنسـان بمـا يملكـه مـن صفـات محـددة، -مثـل: الطـول، والـذكاء، والقـوة، ولـون البشـرة، والصـدق، والنزاهـة، والتعـاون، والعزيمة، والخيـال، والطمـوح، والشـجاعة- نتيجـة طبيعيـة وحتميـة لاندمـاج حيـوان منـوي معيـن مـن بيـن

مليارات الحيوانات المنوية من والده ببويضة من والدته بما يحملان من جينات وصفات وراثية محددة. ولو كان حيوان منوي آخر هو الذي اندمج بالبويضة أو أن المبيض أفرز بويضة أخرى لما كان الذي وجد هو نفس الإنسان، بل كان إنسانا آخر بصفات أخرى.

والأمر كذلك بالنسبة لجميع المخلوقات؛ فكل مخلوق له علة أوجدته، وهي التي حددت صفاته بنفس عملية إيجاده.

## هل يعني ذلك أن الكون يتصرف باستقلالية وفق قوانينه دون الحاجة إلى خالقه؟

كلا، يقول الله جلَّ جلاله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر، 15)، فالكون بكل ما يحتويه فقير بذاته -دائمًا وأبدًا- في وجوده لله عز وجل، فإفاضة الله للوجود على الكون إفاضة مستمرة غير منقطعة، أشبه ما تكون بإفاضة الشمس للنور، ولهذا يصف الله نفسه بالنور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. (النور، 35).

إن العلل المباشرة الموجدة للأشياء والمسببة للآثار لا تملك الوجود لتفيضه على غيرها، وإنما الله هو من يفيضه، أما العلل والأسباب فإنها بحركتها وبما تملكه من قدرة ووجود أفاضه الله عليها إنما تجعل معلولاتها ومسبباتها قابلة للاستفادة من الفيض الإلهي حسب صفاتها التي اكتسبتها من عللها أيًّا ما كانت هذه الصفات.

إن النقص والاختلاف في صفاتنا لا يمنع الله من إفاضة نعمة الوجود علينا، بكل ما يعنيه هذا الوجود من السعادة.

لقد أفاض الله تعالى الوجود على كل ما يمكن أن يوجد، لأن الله كريم وجواد، والوجود في ذاته خير، والكل يأخذ من هذا الخير حسب استعداداته وقابلياته التي اكتسبها من تفاعل الموجودات مع بعضها البعض وفق نظام العلل والمعلولات.

يشبّه سبحانه وتعالى هذا الأمر بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد 16-17)، فكما أن ماء المطر يكون متسعًا، لكن الأودية تأخذ من ماء المطر بقدر ما تستوعبه هي لا بسعة المطر، فكذلك إفاضة الله للوجود والخلق واسعة ولا حدود لها، ولكن المخلوقات تأخذ من هذه الإفاضة بحسب ما تسمح لها عللها التي كانت السبب المباشر في إيجادها.

## ولكن، ألا يؤدي ذلك إلى وجود الشرور؟

في الحقيقة لا يوجد هناك شر في الكون، ومن أين يمكن أن يكون هناك شر ولا مصدر للوجود غير الله وهو خير وكمال وجمال مطلق لا شر ولا نقص فيه؟

المشكلة أننا ننظر للأمور دائمًا من زاوية ضيقة ومحدودة، وهي زاوية أناتنا ومدى ما تحقق الأشياء لنا من سعادة أو آلام ملموسة حتى وإن كانت مؤقتةً ولحظية، ولذا فإن المدرسة من وجهة نظر كثير من الأطفال شر، والإفراط في أكل الحلوى هو خير كثير من وجهة نظرهم.

أليس الموت من وجهة نظر الثقافة الإنسانية عمومًا شرًّا مطلقًا ولكنه في الواقع خير ما مثله خير لأنه ارتقاء للإنسان إلى مرحلة أعظم وأفضل بملايين المرات مثله في ذلك مثل يوم مجيئه إلى عالم الدنيا؟ نعم، هو خير جسيم ورائع؛ لأنه معراج نحو الله ونحو السعادة للإنسان الطبيعي.

## إذا كانت هذه القوانين لا تتخلف أبدًا، فلماذا ندعو الله إذًا؟

والجواب: إن القوانين ليست سوى نتاج تفاعل صفات الموجودات وقدراتها، وبذلك فكل موجود يتفاعل معها فيؤثر فيها ويتأثر بها حسب صفاته وقدراته، فربما لا يستطيع طفل صغير أن يرفع عن الأرض جسمًا وزنه عشرة كيلو جرامات، بينما يستطيع الرجل الكبير أن يفعل ذلك بكل سهولة، وبينما لا

نستطيع نحن البشر الطيران في الجو تستطيع الطيور ذلك.

إذًا فقدرة كل موجود في التأثير في هذا الكون إنما هي رهن بإمكاناته وصفاته، وحيث إن قدرة الله وصفاته مطلقة وغير محدودة فقدرته على التأثير في الكون مطلقة. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس، 82)، وهذا ما يجعل دعاءنا لله عز وجل في قضاء حوائجنا أمرًا واقعيًّا ومبررًا.

ناهيك عن أن الدعاء لله أمر محبَّب له سبحانه وتعالى، فهو يدعونا إليه. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر، 60)، ليس لحاجة منه لدعائنا؛ فهو الغني المطلق، ولكن لأن دعاءنا لله يرسخ لدينا حال العبودية لله، مما يقربنا إلى الله، ويرفع من مستوى وجودنا وسعادتنا. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (البقرة، 186)

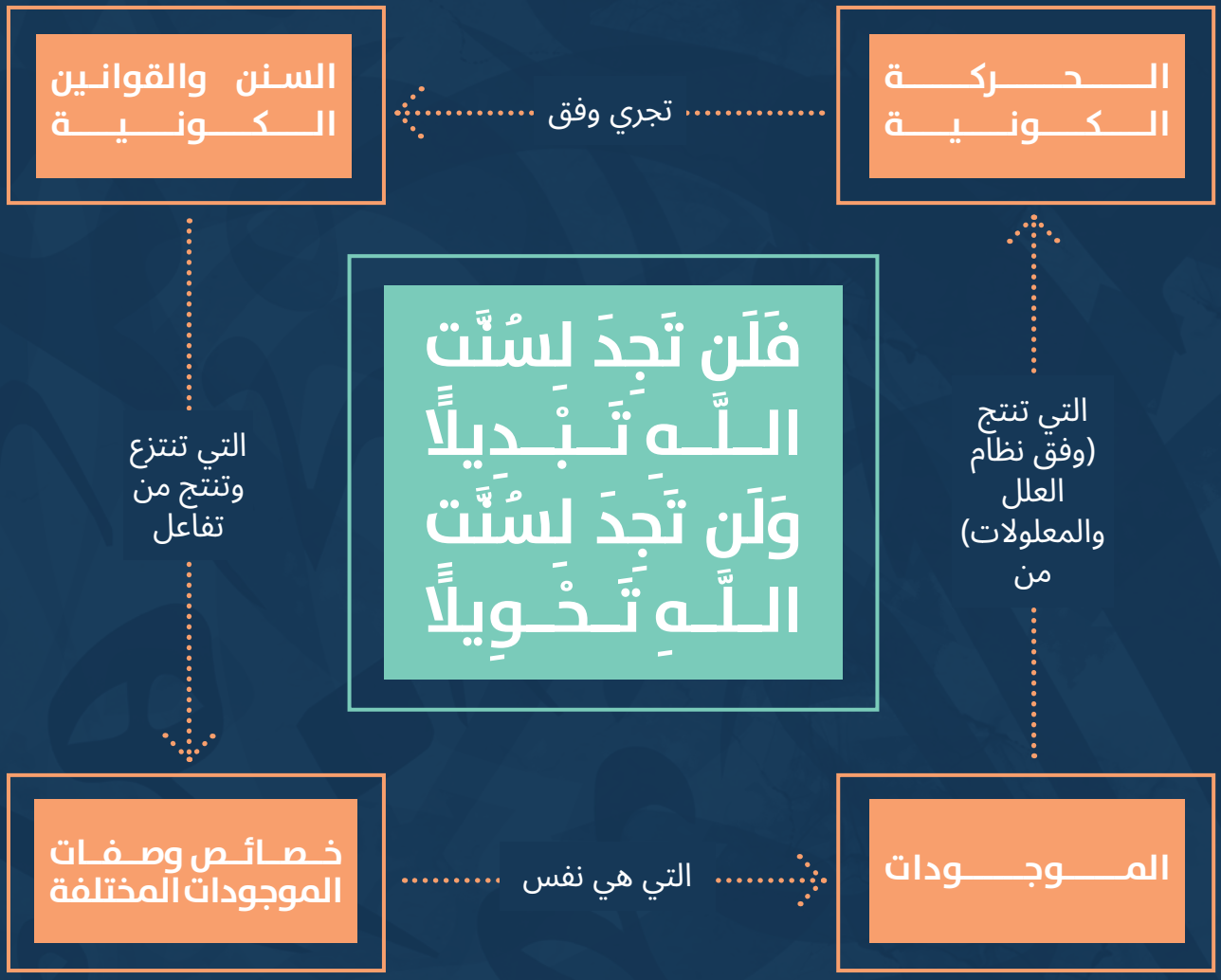
الحركة الكونية
السنن والقوانين الكونية
تجري وفق
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
التي تنتج (وفق نظام العلل والمعلولات) من
التي تنتزع وتنتج من تفاعل
الموجودات
خصائص وصفات الموجودات المختلفة
التي هي نفس

قراءة
## اختيارية

# القابليات - مقطع من رواية "رحلة كادح"

قاعة المحاضرات كانت أشبه بعرصة السوق في ذلك المساء، فقد كان الجميع متحمسًا لهذا النقاش المرتقب منذ شهر، بعضهم كان يربت على كتفي وهو في طريقه لمقعده ملقيًا بعض عبارات التشجيع أو الإطراء، لكنني كنت في شُغُل عن كل ذلك، كنت مرتبكًا جدًّا، وكان جبيني يتصبب عرقًا ويداي ترتعشان.

المفروض أن النقاش بين فريقي وفريق عامر، ولكن المسألة منذ البداية أخذت شكل التحدي الشخصي بيني وبين عامر، كان أعضاء فريقي يحفّون بي من كل جهة وكأنني البطل الذي سيقودهم للنصر.

بـدأت المناقشـة، فطلـب الدكتـور مـن عامـر أن يعيـد طـرح أسـئلته، ثـم طلـب منـي أن أرد عليـه، طلبـت مـن الدكتـور أن يسـمح لـي بوقـت أطـول لأن المسـألة متخصصـة وشـائكة والإجابـة تتطلـب التمهيـد لهـا ببعـض المقدمـات، فوافـق الدكتـور على ألا أزيد عن ربع ساعة.

- لا أنكـر أننـي فـي البدايـة شـعرت أن المسـألة معقـدة جـدًّا، ولكننـي عندمـا أدركـت الإجابـة وجدتهـا سـهلة وواضحـة، ولكـن قبـل البـدء في طرحها أود أن أسأل عامرًا لو أمكن.

* تفضـل محمـد، اسـأل. رد علـيَّ الدكتـور بابتسامة مشجعة.

- خذ راحتك.

قالهـا عامـر باطمئنـان وكأنـه كان متأكـدًا مـن أننـي مهمـا حاولـت فإننـي لـن أصـل إلى الإجابـة! أليـس هـو أيضًـا حـاول الوصـول إلى الإجابـة وسـأل بعـض علمـاء الديـن فـي منطقتنـا فعجـزوا عـن الإجابة كما حصل معي.

- أشـكرك عامـر، أنـت تتسـاءل: لمـاذا جعلـك الله بهـذه الملامـح التـي أنـت عليهـا، أليـس كذلك؟

- قل ذلك مثلًا.

- حسـنًا، فـإذا أخـذك والـدك إلى جـرَّاح تجميـل وغيَّـر ملامـح وجهـك، هـل كان سـيحق لـك أن تتسـاءل لمـاذا جعلـك الله بهـذه الملامـح الجديدة التي أنت عليها؟

- بالطبـع لا، ولكـن فـي المقابـل سـيحق لـي أن أسـأل والـدي والجـراح لمـاذا جعلانـي بهـذه الملامح الجديدة.

- بالضبط، هو كذلك، أنا أتفق معك.

يبـدو أن موافقتـي على إجابـة عامـر فاجأتـه، فـرد عليَّ:

- محمـد، دعنـي أوضـح لـك نقطـة لـو سـمحت، إذا كانـت محاولتـك على الإجابـة مبنيـة على حقيقـة أننـا نحـن البشـر مـن يوجـد هـذه

الشـرور والآفـات وليـس الله، سـأرد عليـك: لمـاذا جعـل الله مـن الأصـل إمكانيـة وجـود الشرور والأمراض؟

- لا تسـتعجل، دعنـي أكمـل إجابتـي، وبعدهـا ردَّ عليَّ كما تشاء.

قلتهـا بثقـة شـديدة تظاهرتهـا، ولكنـي كنـت خائفًـا ومرتبكًا في داخلي.

- المقدمتـان اللتـان أحتـاج لتوضيحهمـا قبـل الإجابة هما:

أولًا: إن مـا نملكـه مـن قابليـات ومـا نتصـف بـه مـن صفـات مثـل الـذكاء والقـوة والطـول ولـون البشـرة هـي نفـس وجودنـا، وليسـت شـيئًا خارجًـا عـن وجودنـا، كمـا أن وجودنـا ليـس فـي الواقـع سـوى مـا نملكـه مـن اسـتعدادات وقابليـات ومـا نتصف به من صفات.

وكذلـك الأمـر بالنسـبة لجميـع الكائنـات والموجـودات كالحجـر والمـاء والشـمس وقنديـل البحـر وجميـع المخلوقـات الأخـرى، فوجودهـا فـي الواقـع ليـس سـوى مجمـوع مـا تملكـه مـن اسـتعدادات وقابليـات ومـا تتصـف بـه مـن صفات.

فمثـلًا ملامـح وجهـك كيفمـا كانـت هـي وجهـك نفسـه، ومـا الملامـح سـوى حـدود وصفـات لوجهـك، وليسـت شـيئًا مختلفًـا عنـه، كمـا أن الجسـم -كائنًـا مـا كان-هـو نفـس امتـداده وحجمـه وكتلتـه، وليسـا شـيئين مختلفيـن فـي الواقـع، هل هناك من لا يتفق معي على ذلك؟

كان الجميـع منصتًـا، ويبـدو أن مـا طرحتـه كان أقـرب للبداهـة ولـذا لـم يعتـرض أحـد مـن الطلبـة عليه، فطلب مني الدكتور أن أكمل.

- الصفـات والقابليـات الخاصـة بـكل موجـود فـي هـذا الكـون بحكـم طبيعتهـا تتفاعـل مـع الصفـات والقابليـات الخاصـة بالموجـودات الأخـرى التـي تحيـط بهـذا الموجـود وتشـكل بالتالي حركة الكون.

فمـثلًا تتفاعـل الطبيعـة الورقيـة مـع الطبيعـة السـائلة للمـاء فتبتـل الورقـة إذا وقعـت فـي المـاء

بسبب طبيعتها وما تمتلكه من صفات، وبسبب ذلك أيضًا تتمزق، ومثال آخر: طبيعتنا الجسمية البشرية التي تتفاعل مع طبيعة الكرة الأرضية -بما تملكه من صفات كالكتلة والجاذبية وغيرها- فتجعلنا قادرين على المشي والركض والقفز، ولكننا غير قادرين على الطيران أو التنفس تحت الماء أو الزحف على بطوننا بخلاف الطيور والأسماك والزواحف؛ وذلك لاختلاف طبيعة أجسامها والقابليات التي تمتلكها والصفات التي تتصف بها.

* عفوًا محمد، قبل أن تسترسل أخشى أن تكون الفكرة غير واضحة تمامًا لدى بعض الطلبة، هل تستطيع توضيحها أكثر؟ قاطعني الدكتور.

- بالطبع دكتور، ما أقوله هو أن جميع المخلوقات والكائنات بتنوعها واختلافها -كالكواكب والحيوانات والأشجار والأنهار والبحار والكائنات الحية ونحن البشر بل حتى الملائكة والشياطين- إنما تتفاعل مع بعضها البعض وفق ما تملكه من صفات واستعدادات وقابليات.

إن تفاعل هذه الصفات والقابليات لدى الموجودات المختلفة يشكل القوانين والأنظمة التي تحكم الكون، مثل قانون الجاذبية، وقانون المد والجزر، وقانون العلة والمعلول، والقوانين الأخرى التي تحكم الكون.

من هنا نستنتج أن هذه القوانين كلها بالرغم من أنها تحكم وتحدد حركة هذا الوجود، إلا أنها ليست شيئًا خارجيًّا مستقلًّا عن وجودات الأشياء، وإنما هي نفس وجودها.

فمثلًا إذا سقط حجر على بيضة من الطبيعي جدًّا أن يكسرها، فإن لم يكسرها فلا بد أن يكون هناك من سبب حمى البيضة من الكسر، وإلا لما كان الحجر حجرًا أو لم تكن البيضة بيضة!

وعلى هذا تقوم كل العلوم، ويقوم نظام الوجود كله، فلا أحد يمكن أن يصدق -مثلًا- أن يسبب سكب الماء على الأرض انفجارًا نوويًّا! ولو أن أمريكا ادعت –مثلًا- أنها لم ترم أي قنبلة على هيروشيما وأنها ما قامت إلا برمي بعض الورد عليها فحصل الانفجار سنموت من الضحك على استخفافها بعقولنا، أليس كذلك؟

هـذه القوانيـن والأنظمـة يسـميها القـرآن بالسـنة، ويؤكـد أنهـا لا يمكـن أن تتخلـف، فيقـول سـبحانه وتعـالى: ﴿فَلَـنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّـهِ تَبْـدِيلًا وَلَـنْ تَجِـدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. (فاطر، 43)

* نقطة ممتازة، استمر. قال الدكتور.

- ثانيًـا: إن الله لـم يخلـق كل موجـود بـإرادة مسـتقلة عـن الموجـودات الأخـرى، فهـو لـم يخلـق والـدي بـإرادة مسـتقلة وخلقنـي بـإرادة أخـرى وخلـق كل كائـن بـإرادة مسـتقلة، وإنمـا خَلَـقَ الكـون كلـه -بـكل مكوناتـه وموجوداتـه- بـإرادة إلهيـة واحـدة بسـيطة، وهـي "إفاضـة الوجـود" إفاضـة مسـتمرة، يصف الله سـبحانه وتعـالى ذلـك بقولـه: ﴿إِنَّـا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَـدَرٍ * وَمَـا أَمْرُنَـا إِلَّا وَاحِـدَةٌ كَلَمْـحٍ بِالْبَصَـرِ﴾ (القمـر 49-50). أمـا المخلوقـات فقـد تكونـت وتشـكّلت وفـق القوانيـن التـي تحكـم الكـون ووفق قانون العلة والمعلول.

هـذه المقدمـة نتيجـة طبيعيـة للمقدمـة الأولى؛ فوفـق قانـون العلـة والمعلـول فـإن وجـودي بجميـع صفاتـي وقابلياتـي هـو معلـول ونتيجـة طبيعيـة بـل حتميـة لاندمـاج حيـوان منـوي معيـن مـن بيـن مليـارات الحيوانـات المنويـة مـن والـدي بالبويضـة التـي أفرزهـا رحـم والدتـي بمـا يحمـلان من جينات وصفات وراثية محددة.

ولـو كان حيـوان منـوي آخـر هـو الـذي اندمـج بالبويضـة أو أن المبيـض أفـرز بويضـة أخـرى لمـا كنـت أنـا الـذي وُجِـدْت، بـل كان إنسـانًا آخـر بصفات أخرى.

وهـذا الـكلام نفسـه يصـح بالنسـبة لجميـع الموجـودات والمخلوقـات؛ فـكل مخلـوق وكل موجـود لا بـد أن هنـاك علـة أوجدتـه، وهـذه العلـة هـي التـي حـددت صفاتـه وقابلياتـه بنفـس عمليـة إيجاده.

- عفـوًا، هـل تعنـي أن الله خَلَـق الكـون والكـون يتصـرف الآن وفـق القوانيـن الطبيعيـة مـن دون تدخل من الله؟ سألني عامر باهتمام.

- لا طبعًـا، الكـون بـكل مـا يحتويـه فقيـر دائمًـا وفـي ذاتـه وفـي وجـوده إلى الله عـز وجـل،

فإفاضة الله للوجود على الكون إفاضة مستمرة غير منقطعة أشبه ما تكون بإفاضة الشمس للنور على الأرض لإظهار الموجودات وجعلها مرئية، ولهذا يصف الله نفسه بالنور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. (النور، 35)

- ونتيجةً لهذا: هل الله أوجدني بما أملكه من صفات وملكات أم أن أبي وأمي هما اللذان أوجداني؟

- كلتا المقولتين صحيح، فالله هو الذي أوجدك، وأيضًا أبوك وأمك أوجداك. قل لي يا عامر: شجرة المانجو في حديقة بيتكم مَنْ زرعها؟

- والدي!

- لكن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة 63-64)، فهو عزَّ وجلَّ ينسب لنفسه الزراعة!! لكي أوضح الفكرة، دعني اسألك: عندما نشعل النار تتولد بسبب هذه النار حرارة شديدة، أليس كذلك؟ وعندما نقرب بيضة من هذه الحرارة فإنها تسبب قلي البيض، أليس كذلك؟

- إلى هنا لا مشكلة.

- قل لي: ما الذي قلى البيض: الحرارة أم النار؟

أحسست براحة شديدة عندما سمعت إجابة عفوية من عدد لا بأس به من الطلبة: "النار والحرارة"، "كلاهما".

- والآن بعد هذه المقدمات نأتي للإشكال الذي طرحه عامر: لماذا خُلق إنسان أسْود وآخر أبيَض؟ لماذا كان هذا جميلًا وذكيًّا وقويًّا وغنيًّا وذاك قبيحًا وغبيًّا وضعيفًا وفقيرًا؟ لماذا خلق الله الجراثيم والوحوش؟

والجواب: أن الله أفاض الوجود فيضًا واحدًا بسيطًا مستمرًّا على كل ما يمكن أن يوجد، ولم يمنع الوجود عن أي شيء يمكن أن يكون بحجة أنه ناقص؛ لأن الله كريم وجواد، والوجود

فـي ذاتـه خيـر، والـكل يأخـذ مـن هـذا الخيـر حسـب اسـتعداداته وقابلياتـه التـي اكتسـبها وفـق تفاعـل الموجـودات فيمـا بينهـا وفـق نظـام العلـل والمعلولات والأسباب والمسببات.

يشـبّه الله هـذا الأمـر بقولـه تعـالى: ﴿قُـلِ اللَّـهُ خَالِـقُ كُلِّ شَـيْءٍ وَهُـوَ الْوَاحِـدُ الْقَهَّـارُ * أَنـزَلَ مِـنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَسَـالَتْ أَوْدِيَـةٌ بِقَدَرِهَـا﴾ (الرعـد 16-17)، فكمـا أن مـاء المطـر يكـون متسـعًا لكـن الأوديـة تأخـذ مـن مـاء المطـر بقـدر مـا تسـتوعبه هـي لا بسـعة المطـر، فكذلـك إفاضـة الله للوجـود والخلـق واسـعة ولا حـدود لهـا ولكـن المخلوقـات تأخـذ مـن هـذه الإفاضـة بحسـب مـا تسـمح لهـا عللها التي كانت السبب المباشر في إيجادها.

يـا عامـر، هـي بالضبـط نفـس الحـال فـي المثـال الـذي ذكرنـاه فـي بدايـة الطـرح عندمـا سـألتك أنـه إذا أخـذك والـدك لجـراح تجميـل وغيَّـر مـن ملامـح وجهـك، وقلـت لـي إنـك لا تلـوم الله؛ لأن الجـراح ووالـدك همـا سـبب تغييـر ملامحـك وليـس الله، وكذلـك صفاتـك التـي وجـدت بهـا نتيجـة طبيعيـة للجينـات الوراثيـة لوالـدك ووالدتـك، وهكـذا كل مـا يحـدث فـي الكـون نتيجـة طبيعيـة لحركـة الموجـودات وممارسـتها لقدراتهـا وقابلياتهـا وصفاتهـا التـي تملكهـا سـعيًا وراء حاجاتها.

سـكتُّ للحظـات، تـم توجهـت نحـو الطلبـة، وسألتهم:

- اسـمحوا لـي أن أسـألكم: نحـن جميعنـا نشـعر بالنقـص مـن جهـة أو أخـرى، هـل يـا تـرى تتمنـون أن تنعدمـوا؟ هـل تتمنـون لـو أن الله لـم يخلقكـم؟ أم تشـعرون بالسـعادة أنكـم موجـودون وأن الله لـم يمنـع عنـا الوجـود بسبب النقص الذي نعاني منه؟

كنـت متأثـرًا جـدًّا وأنـا أطـرح فكرتـي بجميـع أحاسـيس الامتنـان تجـاه الله، ولـذا فوجئـت بالدكتـور وهـو يصفـق بحـرارة ثـم يليـه الطلبـة جميعهم بما فيهم عامر.

- لقـد سـألت الكثيريـن عـن هـذه المعضلـة، ولكننـي لـم يبلـغ مسـامعي مثـل هـذا الجـواب مـن قبـل، لكـن لـدي سـؤالان اثنـان. قـال عامر

* ممتاز، تفضل اطرحهما. عقَّب الدكتور.

- السؤال الأول: حسبما تقول يا محمد فإن الله أفاض الوجود فيضًا واحدًا بسيطًا مستمرًّا وأن كل موجود يأخذ من هذا الفيض بحسب علته التي أوجدته. حسنًا، لكن لا بد أن يكون هناك من موجود استمد وجوده من الله مباشرة ولم يكن له علة سابقة عليه غير الله سبحانه وتعالى. أليس كذلك؟

- صحيح، وهذا المعلول (أو سَمِّه الموجود الأول، أو كما يُسمّى الصادر الأول) يتصف بجميع صفات الكمال والقوة والشدة في الوجود التي كان من الممكن للموجود عند خلقه أن يتحلى بها بما فيها الإرادة والإدراك، ومن هذا الموجود صدرت الموجودات الأخرى بتراتبها وفق نظام العلل والمعلولات حسبما شرحت سابقًا.

- أصارحك أن الفكرة جديدة عليّ، وأنني أحتاج إلى وقت لأستوعبها، عمومًا، لننتقل إلى السؤال الثاني، أرجوك صحِّح لي إذا كنت مخطئًا فيما سأقوله: إن خلاصة الفكرة التي تطرحها أن الكون يسير وفق أنظمة وقوانين تتحدد بناءً على تفاعل الموجودات فيما بينها وفق صفاتها وقابلياتها التي هي نفس وجودها وليست شيئًا خارجيًّا عنها، أليس كذلك؟

- بالضبط، أشكرك على هذا التلخيص الرائع.

- هذه القوانين التي تحكم الكون هي -كما ذكرت- سنة، ولا يمكن أن تتخلف مهما حصل، لأن البيضة -كما تفضلت- لن تكون بيضةً إذا سقط حجر عليها ولم تنكسر، والماء لن يكون ماءً إذا تسبب في انفجار نووي، أليس كذلك؟

- هو كذلك.

- سؤالي: ما فائدة الدعاء إذًا؟ لماذا ندعو الله؟ إذا كان كل شيء يجري في هذا الكون وفق حركة الكون وتفاعل الموجودات فيما بينها حسب صفاتها وقابلياتها، فلماذا ندعو الله؟

سكت لوهلة وبلعت ريقي.. وفي لحظة مرت على ذاكرتي كيف أن الله كان معي دائمًا، وكيف أنه كان يرعاني في كل لحظة من لحظات حياتي بالرغم من عدم إدراكي لذلك وتصوري لفترة طويلة أنه تخلى عني.. أحسست برعشة تسري في جسمي.

- قل لي عامر: إذا وجدت نارًا تشتعل بجانب سرير أخيك الصغير وهو نائم، ماذا ستفعل؟
- سأوقظه من النوم، وأحاول أن أطفئ النار.
- كيف ستطفئها؟
- باستخدام طفاية الحريق طبعًا.
- أليس ذلك خلاف القوانين الطبيعية؟
- طبعًا لا!
- حسنًا، لنفترض أنك كنت تستطيع أن تطفئ النار بنفخة واحدة من فمك، هل كنت ستوقظ أخاك أم تكتفي بإطفاء النار؟
- هذا هو خلاف القوانين الطبيعية؟ قالها عامر بابتسامة، ما الذي ترمي إليه؟
- ستعرف بعد قليل، قل لي أولًا: لو كنت في قوة سوبرمان، هل كان سيكون إطفاؤك للنار بنفخة من فمك خلاف القوانين الطبيعية؟
- لا، سيكون وفق القوانين الطبيعية.
- إذًا كون الشيء خلاف القوانين الطبيعية أو وفق القوانين الطبيعية يعتمد على الموجود وما له من صفات وقدرات وقابليات، أليس كذلك؟
- صحيح.
- أنت تطفئ النار بطفاية الحريق، أما أخوك الصغير فلا يستطيع أن يطفئها لأنه صغير، ولا يستطيع أن يحمل الطفاية أو أن يتحكم فيها، أما سوبرمان فهو لا يحتاج لطفاية الحريق لأنه يستطيع أن يطفئها بنفخة واحدة من فمه لأنه قوي جدًّا ولديه قدرات

فائقة. قل لي: ألا يستطيع الله -وهو الذي قوته لا حدود لها- أن يطفئ النار؟

سكت عامر ولم يبدِ جوابًا، تقدمت خطوتين نحوه، وأكملت كلامي.

- بل هو قادر على كل شيء، ولا يحتاج للطفاية ولا للنفخة، بل﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس، 82)، وليس في تدخله سبحانه وتعالى أي إخلال بالسنن الطبيعية.. نحن ندعوه لأنه القوي القادر الرحيم بنا، ولأننا -وكل ما في الكون- ملكه وبيده، ولأنه أمرنا بدعائه وضمن الإجابة بشكل أو بآخر، فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (غافر، 60)

- رائع، قالها عامر وهو يصفق وتعلو وجهه ابتسامة رضا.

لقد فاجأني رد فعله الإيجابي، كنت أتصور أنه سيجادل، وأنه لن يعدم الحيلة ليرد عليَّ؛ فهو ماهر في الرد، كنت أتصور أنه سيغلق قلبه وعقله أمام الحقيقة وأنّ كبرياءه سيمنعه من الإقرار بها، لكنني فعلًا أسأت الظن به.

- أشكرك عامر، والآن أرجوكم، اسمحوا لي أن آخذ من وقتكم بضع دقائق لأشارككم تجربتي الشخصية في هذا الموضوع.

صمتُّ للحظات أطرقت فيها رأسي إلى الأرض وأغمضت عينيَّ، وتذكرت بسرعة خاطفة جميع ما مرَّ عليَّ من مرارات وعذابات، وكيف أن الله كان معي، ثم رفعت رأسي وأنا أشعر بمشاعر مضطربة يسودها العرفان نحو الله، قلت بتأثر واضح ولكن بهدوء عميق:

- جميعنا نمر بظروف سيئة من وقت لآخر، لكنني ربما أكون الأسوأ من بينكم، عشت طوال عمري فقيرًا، وعندما كنت في الثانوية العامة مات والدي، وقد كنت متعلقًا به لأقصى درجة، الأمر الذي أدّى إلى عدم قدرتي على الانتساب للجامعة، والآن أنا مشتت بين مسؤولياتي الكثيرة بين البيت والوظيفة والدراسة، ولا أجد وقتًا كافيًا حتى للراحة والنوم.

حسب الظاهر فأنا ربما أكون أشدكم بؤسًا، ولكنني في الحقيقة ربما أكون أسعدكم!

لقد اكتشفت أن كل ما مرَّ بي من مصائب إلى الآن كان لخيري! صحيح أن موت والدي أصابني بالاكتئاب لسنة كاملة، لكنه في المقابل فتح قلبي وروحي للحب الحقيقي، ألا وهو حب الله، ولولا صدمة وفاة والدي وعمق أثرها في روحي لكنت لا أزال ذلك الشاب المدلل الناعم، كما أن عدم قدرتي على الانتساب للجامعة فتحت لي آفاقًا جديدة رائعة في حياتي، أما الضغوط التي أعانيها بين مسؤولياتي المختلفة فقد قوّت من عزيمتي وإرادتي وأوقدت ذهني، وجعلتني أكتشف الكثير عن نفسي، وما أملكه من جمال وروعة وقوة لم أكن لأستطيع أن أدركها لولا هذه الضغوط.

خلاصة ما أريد أن أقوله أن هذه المصائب والبلايا والآفات وإن ظننّا أنها شر لهي في الواقع خير لنا، وهي بعين الله، ولذا فإن الله من رحمته بنا ومن حبه لنا يتعهدنا بين فترة وأخرى بأنواع البلاء المختلفة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. (البقرة 155-157)

لا يوجد هناك شر في الكون، ومن أين يمكن أن يكون هناك شر ولا مصدر للوجود غير الله وهو خير وكمال وجمال مطلق لا شر ولا نقص فيه؟ المشكلة أننا ننظر للأمور دائمًا من زاوية ضيقة ومحدودة، وهي زاوية أناتنا ومدى ما تحقق الأشياء لنا من سعادة أو آلام ملموسة حتى وإن كانت مؤقتةً ولحظية! ولذا فإن المدرسة من وجهة نظر كثير من الأطفال شر، وكذلك أيضًا كان بالنسبة لك صف التايكوندو يا عامر... أليس الموت من وجهة نظر الثقافة الإنسانية عمومًا شرًّا مطلقًا! ولكنه في الواقع خير ما مثله خير؛ لأنه ارتقاء للإنسان إلى مرحلة أعظم وأفضل بملايين المرات، مثله في ذلك مثل يوم ولادته إلى عالم الدنيا. نعم، هو خير جسيم ورائع لأنه عروج نحو الله ونحو السعادة للإنسان الطبيعي... مات أبي، ونحن بكينا عليه لألم فراقه من جهة، ولكن أيضًا رحمةً به وظنًّا مِنّا أنه أصابته مصيبة، لكنه في الواقع أفضل وأروع شيء حصل لوالدي في حياته لأنه انتقل إلى دار السعادة والرضوان.

سـكتُّ، فخيَّـم الصمـت عـلى القاعـة، وسـاد السـكون للحظـات طويلـة، الجميـع كان متأثـرًا، ربما هيبـة المـوت الـذي أتيـت عـلى ذكـره والـذي نخشـى أن نذكـره فـي مجالسـنا وكأنـه جنـي، وربما لأننـي مـرّة أخـرى كنـت متأثـرًا ومتحمسًـا جـدًّا وأنا أطرح فكرتي.

قطـع هـذا الصمـت تصفيـق الدكتـور، ثـم تبعـه تصفيق الطلبة.

* ممتـاز يـا محمـد، أداء رائـع، وطـرح جميـل، ونظـرة إيجابيـة ومليئـة بالتفـاؤل للحيـاة نحتاج أن نتعلمها منك.

ثـم التفـتُّ إلى الطلبـة وسـألتهم إذا كان هنـاك أحـد يريـد أن يسـأل أو يعقـب، لكـن الجميـع فضَّل السـكوت، وهكـذا انتهـت المناقشـة عـلى خيـر والحمد لله.

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 7

**ميِّز -خلال عشر دقائق- العبارات الصحيحة من العبارات الخاطئة فيما يلي:**

- ☐ إفاضة الله للوجود على الكون إفاضة مستمرة غير منقطعة.
- ☐ وجود أي إنسان بما يملكه من صفات وقابليات محددة نتيجة طبيعية وحتمية لاندماج حيوان منوي معين من بين مليارات الحيوانات المنوية من والده بالبويضة التي أفرزها رحم والدته بما يحملان من جينات وصفات وراثية محددة.
- ☐ القوانين والسنن التي تتحكم بالحركة الكونية موجودة في الواقع بشكل مستقل نتيجة لتفاعل صفات وقابليات الموجودات المختلفة في الكون.
- ☐ الدعاء لله أمر محبب له سبحانه وتعالى، ليس لحاجة منه لدعائنا فهو الغني المطلق، ولكن لأن دعاءنا له يرسخ لدينا حال العبودية لله.
- ☐ جميع الموجودات -كالكواكب والبحار والكائنات الحية ونحن البشر بل حتى الملائكة والشياطين- إنما تتفاعل فيما بينها وفق ما تملكه من صفات وقابليات، وهذا التفاعل هو الذي ينتج هذه القوانين التي تحكم الكون.
- ☐ الله بقدرته يخلق الكائنات فيفيض عليها الوجود كائنًا كائنًا بعد أن يحدد بحكمته الصفات الأفضل لكل كائن على حدة.

- ما تملكه الموجودات من صفات وقابليات إنما هي نفس وجودها، فوجودنا ليس سوى ما نملكه من قابليات وصفات.
- لو افترضنا أن حيوانًا منويًّا آخر هو الذي اندمج بالبويضة أو أن المبيض أفرز بويضة أخرى لكان الإنسان الموجود في هذه الحال هو نفسه ولكن بصفات وقابليات أخرى.
- الكون -بجميع مخلوقاته- يتحرك وفق قوانين كونية محددة غير قابلة للتخلف.
- الله لم يخلق كل موجود بإرادة مستقلة عن الموجودات الأخرى، وإنما تم خلق الكون كله بكل مكوناته وموجوداته بإرادة إلهية واحدة بسيطة.
- الكون يتصرف باستقلالية وفق قوانينه من دون الحاجة إلى خالقه في كل لحظة وفي كل حركة.
- العلل المباشرة الموجدة للأشياء والمسببة للآثار لا تملك الوجود لتفيضه على غيرها.
- العلل بحركتها وبما تملكه من قدرة ووجود أفاضه الله عليها إنما تجعل معلولاتها قابلة للاستفادة من الفيض الإلهي حسب قابلياتها وصفاتها التي اكتسبتها من عللها.

﴿إِنَّـا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ﴾
(البقرة، 156)

# 8
# مسيرة الحياة

الرجوع لصفحة المحتويات

تبدأ مسيرتنا إلى الله بخلقنا، وتستمر حتى لقائه سبحانه، ﴿يَأَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق، 6)، وهذا المسير يجري وفق قوانين كونية صارمة لا تتغير، ولكن نستطيع التحكم به بقدر ما نكتسب من معرفة وقدرة وباللجوء إليه سبحانه. في هذا القسم نتناول الإطار العام لمسير الإنسان إلى الله سبحانه.

ولا ينتقل الإنسان من عالم إلى العالم الذي يليه إلا بعد أن يكتمل تطوره ويصبح قادرًا على الانتقال إليه. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾. (المؤمنون، 12-16)

فقط عندما لقَّح الحيوان المنوي البويضة وأصبح نطفة استطاع أن ينتقل إلى عالم الرحم من خلال عملية "الحمل"، وعندما تطورت النطفة واكتمل نموها وأصبحت إنسانًا انتقلت إلى عالم الدنيا عبر عملية "الولادة".

وعندما يكتمل نمو هذا الإنسان في عالم الدنيا وتصل روحه إلى مرحلة من النمو والتجرد سينطلق إلى عالم البرزخ عبر عملية "الموت"، حيث يظل يتكامل هناك مع الأرواح الأخرى إلى أن يأتي اليوم الذي تصبح فيه هذه الأرواح جاهزة للانتقال إلى عالم الآخرة (المقر الدائم)، فتنتقل إليه عبر عملية "البعث"، حيث نظل نتكامل ونسمو ونقترب إليه سبحانه وتعالى.

رياضيًّا فإن مدة العوالم الثلاثة الأولى (الرحم والدنيا والبرزخ) تساوي صفرًا مقارنة بعالم الآخرة الذي لا نهاية له. ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (العنكبوت، 64)

## كيف هما العالمان الآتيان؟

نستطيع وصف عالمي البرزخ والآخرة، ولكننا لا نستطيع إدراك شيء عن حقيقتهما. ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الواقعة، 61)

ولتتخيل الفرق بينهما وبين عالم الدنيا يكفيك أن تقارن بين وجودك كنطفة وبين وجودك كإنسان مكتمل، ثم تصوَّر أنك ستتطور في عالم البرزخ بنفس النسبة!

قارن بين عالم السائل المنوي أو عالم الرحم وعالم الدنيا بهذا الكون الواسع الممتد والمكون من ملايين المجرات التي تعد من أصغرها مجرة درب التبانة التي تقع المجموعة الشمسية بكل كواكبها وأقمارها في طرف جانبي من ذيلها.

ثم تصور أن عالم البرزخ أكثر تطورًا من عالم الدنيا بنفس النسبة التي كان بها عالم الدنيا أكثر تطورًا من عالم الرحم، وأن عالم الآخرة سيكون أكثر تطورًا من عالم البرزخ بنفس النسبة كذلك.

هذا مجرد تقريب للمعنى، وإلا فإن الحقيقة أعظم من ذلك بكثير؛ لأن عالم الدنيا بالرغم من كل تطوره مقارنة بالسائل المنوي ونحن بالرغم من كل تطورنا مقارنة بالحيوان المنوي إلا أننا لا نزال من نفس المادة الجسمانية التي هي أسيرة الزمان والمكان، بينما نحن وعوالمنا في تطورنا الآتي لا نتكون من هذه المادة الجسمانية ولسنا أسرى الزمان والمكان!

## تطور إحساسنا بالسعادة والشقاء

بنفس النسبة التي نتطور بها ويتطور بها عالم البرزخ مقارنة بعالم الدنيا يتطور أيضًا إحساسنا باللذة والسعادة، ويتطور أيضًا إحساسنا بالألم والعذاب والشقاء، بل يصبح جزءًا من حقيقة وجودنا، فنتحول نحن إلى السعادة والجنة والرضوان، أو على النقيض من ذلك نتحول إلى الشقاء والجحيم، تمامًا مثلما يتحول الفحم إلى جمر.

ومرة أخرى بنفس النسبة التي نتطور بها في عالم الآخرة ويتطور بها عالم الآخرة مقارنة بعالم البرزخ يتطور أيضًا إحساسنا باللذة والسعادة، ويتطور إحساسنا بالألم والعذاب والشقاء هناك.

ترتبط السعادة لدى معظم الناس في عالم الدنيا بامتلاك أشياء خارجة عن ذواتهم كالأموال والأولاد والجاه، ولكنها في العالمين التاليين مرتبطة تمامًا بمدى تكامل وجودنا وصفاتنا النفسية أو قل: بمدى قربنا من الله عز وجل.

لم يكن لنا أي تأثير في تشكيل وجودنا الذي أتينا به إلى عالم الدنيا، لكن في المقابل فإن عالم الدنيا هو المحطة التي وضعها الله لنا لنقوم فيها بإراداتنا وقراراتنا بتطوير وجودنا الذي سننتقل به إلى العالمين الآتيين وتشكيله، وبالتالي فنحن من نحدد ما سنحظى به من السعادة والهناء أو -على النقيض من ذلك- ما سنعانيه من العذاب والشقاء في العالمين الآتيين. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. (النازعات، 37-41)

## قراءة اختيارية

إذا كان عمر الإنسان في عالم الدنيا حتى وإن عاش مئات السنين مقارنةً بعمره الحقيقي الذي يمتد إلى ما لا نهاية له يساوي صفرًا! فرياضيًّا كل رقمٍ مهما بلغ يساوي صفرًا مقارنة باللانهاية.

وهكذا فإن حجم أية لذة أو سعادة مهما عظمت في هذه الدنيا مقارنةً بلذة الجنة وسعادتها التي لا يكاد يكون لها حدٌّ وتفوق لذة الدنيا وسعادتها بتريليونات المرات تقارب الصفر!

في المقابل فإن حجم أي عذابٍ وشقاءٍ مهما عظم في هذه الدنيا مقارنةً بعذاب الجحيم الذي لا يكاد يكون له حدٌ يقارب الصفر كذلك!

إذا كان الأمر كذلك فإن من الحماقة بمكان أن يكتسب الإنسان - لما لا نهاية له - جحيمًا لا حدَّ ولا أمد لعذابه، ويضيع بذلك من يديه سعادةً لا حدَّ ولا أمد لروعتها بسبب لذةٍ آنيّةٍ تساوي صفرًا، أو تجنّبًا لألم آنيّ يساوي صفرًا لمدة تساوي صفرًا من عمره في عالم الدنيا.

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 8

1. استخرج من القرآن الكريم -بمساعدة الأجهزة الإلكترونية خلال عشر دقائق- آيتان تدلان على توسط عالم البرزخ بين عالمي الدنيا والآخرة.

# 9

# الجزاء الأخروي

﴿يَـوْمَ تَجِـدُ كُلُّ نَفْـسٍ مَـا عَمِلَـتْ مِـنْ خَيْـرٍ مُحْضَـرًا وَمَـا عَمِلَـتْ مِـنْ سُـوءٍ تَـوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهـا وَبَيْنَـهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران، 30)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
كيف الجنة يا تُرى؟
الجزاء الأخروي
14:02

ننتقل إلى العالمين الآتيين بالكيفية التي شكَّلنا بها أنفسنا في عالم الدنيا وبالصفات والملكات التي اكتسبناها وتلك التي خسرناها، وعليه فإن سعادتنا وشقاءنا هناك مرهونان بنتيجة تفاعل وجودنا الذي شكَّلناه نحن مع قوانين عالم البرزخ وعالم الآخرة. ﴿ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. (الكهف، 49)

الأمر أشبه ما يكون بحال أمّ حامل تصاب بمرض الإيدز (فقدان المناعة) فتنقل هذا المرض إلى جنينها، لكنه ما دام في عالم الرحم فإنه لا يتأذى لأنه لا يحتاج إلى صفة المناعة في عالم الرحم، لكنه سيبدأ المعاناة عندما يأتي إلى عالم الدنيا ويتفاعل معها وفق قوانينها وموجوداتها والتي منها الجراثيم والفيروسات. ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. (ق، 22)

يقول السيد الطباطبائي في تفسيره: "بيَّن الله تعالى أن الذي سيواجه الإنسان من الجزاء على الأعمال إنما هو نفس الأعمال بحسب الحقيقة، لا كما يضع الإنسان في مجتمعه عملًا ثم يردفه بجزاء، بل العمل محفوظ عند الله سبحانه بانحفاظ النفس العاملة، ثم يظهره الله عليها يوم تُبلى السرائر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران، 30)، وقال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحريم، 7)، ودلالة الآيتين ظاهرة وتلحق بها في ذلك آيات أخر كثيرة".

## وماذا عن الموت؟

الموت صعب على الإنسان عمومًا؛ لأنه ينتقل إلى عالم آخر مجهول بالنسبة له وهو لم يستعد له نفسيًّا، لكنه سرعان ما يتأقلم في حياته البرزخية الجديدة الرائعة، ولكن هذا لا يعني أن الموت في ذاته عذاب وشقاء، وإنما هو رهن بأعمال الإنسان في عالم الدنيا.

إن القرآن عندما يصف قبض أرواح المؤمنين يقول: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(النحل، 32)، بينما يقول عن قبض أرواح الكافرين: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. (الأنفال، 50)

وعن الإمام السجاد (ع) عندما سئل عن الموت: "للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، واستبدالها أفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، واستبدالها أوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل، وأعظم العذاب".

## فهل سيدخل الكافرون النار؟

إن الدين الذي ارتضاه الله للبشر ليكون طريقًا ومسلكًا لهم إليه -سبحانه وتعالى- هو دين الإسلام، فهو خاتم الأديان والشرائع السماوية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران، 85)

وكما يذكر الشيخ مرتضى المطهري في كتابه العدل الإلهي: "لا شك في أن الكفر على نوعين: كفر على سبيل العناد والجدال، ويسمى بكفر الجحود، وكفر عن جهالة وعدم معرفة بالحقيقة، أما بالنسبة إلى الكفر من النوع الأول فالأدلة القطعية من عقلية ونقلية تثبت أن الشخص العالم والمطلع على الحقيقة ومع ذلك يعاندها وينكرها فهو مستحق للعقوبة.

أما بالنسبة إلى الكفر من النوع الثاني فلا بد أن نقول: إن الجهل وعدم المعرفة من غير تقصير من قبل المكلف يجعله يقع موقع عفو ورحمة الله سبحانه، فلو أن إنسانًا يتمتع بصفة التسليم للحقيقة ولكنه لعلل أخرى لم يهتد إلى أحقيّة الإسلام فهو لا يكون حينئذ مقصرًا، والله سبحانه لا يعذبه، وإنما هو من الناجين. يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾". (الإسراء، 15)

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا

الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (النساء 97-99)

يذكر السيد الطباطبائي في تفسير الميزان لهذه الآية: "إن الله سبحانه يعد الجهل بالدين وكل ممنوعية عن إقامة شعائر الدين ظلمًا لا ينالـه العفو الإلهي، ثم يستثني من ذلك المستضعفين ويقبل منهم معذرتهم بالاستضعاف... ويتحقق (أيضًا) فيمن لم ينتقل ذهنه إلى حق ثابت في المعارف الدينية ولم يهتد فكره إليه مع كونه ممن لا يعاند الحق ولا يستكبر عنه أصلًا، بل لو ظهر عنده حق اتبعه، لكن خفي عنه الحق لشيء من العوامل المختلفة الموجبة لذلك.

فهذا مستضعف لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلًا، لا لأنه أعيت به المذاهب بكونه أحيط به من جهة أعداء الحق والدين بالسيف والسوط، بل إنما استضعفته عوامل أخر سلطت عليه الغفلة، ولا قدرة مع الغفلة، ولا سبيل مع هذا الجهل".

## كيف الجنة يا تُرى؟

حين نتصور الحياة في الجنة نتصورها رتيبة ساكنة مملة في قصور عالية وحدائق غناء مع أنهار من خمر ولبن وعسل، حيث تحفُّنا الحور العين، ويخدمنا الولدان المخلدون، حياة أشبه ما تكون بحياة الخلفاء والأمراء كما تُصوِّرها كتب التاريخ، غير أنها تمتاز عنها بأنها خالدة لا حدود لها ولا نغاصة أو آلام فيها.

يتساءل كثيرون: أليس من المرعب حقًّا أن تكون خالدًا في حياة ماديّة مملة رتيبة كهذه؟! وهل خضنا غمار التحديات والصعوبات -التي اشتمل عليها البرنامج التدريبي التشريعي والتكويني الذي أخضعنا الله إليه في الدنيا لنرتقي عن الماديات ونستشعر اللذائذ الروحانية والعقلية- ليكون مصيرنا في النهاية الانغماس والخلود في حياة مادية مترفة رتيبة؟!!! أليس هذا عبثًا؟!

إذن ما فائدة تقوية إراداتنا وعزائمنا ومعارفنا وقدراتنا الإنسانية المختلفة في عالم الدنيا إذا كانت ستُهمل في الجنة ولن تجني مقابلها إلا الانغماس في مزيد من الماديات؟!

إن ما ذكره القرآن من الوصف السابق في نعيم الجنة ليس إلا بعض ما فيها، وهو أكثر ما يهم عامة الناس، غير أن الحقيقة أن الجنة فيها كل ما قد يخطر ببالك من ملذات ومتع وأكثر من ذلك بكثير. ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق، 35)، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة، 17)، أما اللذائذ الروحانية والعقلية فحدث ولا حرج. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة، 72)

إن الحياة الدنيا بكل ما فيها من سعة لممارسة الحياة بأنشطتها المختلفة لا تعدو مزحة وشيئًا لا يكاد يُذكر مقابل الجنة وسعة الحياة فيها؛ فالدنيا محدودة من كل حيثياتها، ومع ذلك فهي قائمة -في معظم أحوالها- على الخيال والوهم (أشبه ما تكون بألعاب الواقع الافتراضي)، بينما في الجنة حياة حقيقية من جميع أبعادها وبشكل غير محدود. ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت، 64)، وما وجودك في عالم الدنيا إلا لتطوير وتفجير طاقاتك الإنسانية الكامنة لتحيا حياة أبدية في الجنة بكل ما تحمل من تنوع وعمق وعظمة.

إن حياة الجنة ليست ساكنة رتيبة مملة، بل ملؤها الحراك والتغيير والتكامل في مدارجها نحو المعشوق الأعظم جلَّ جلاله، ولذا فأصحاب الجنة بالرغم من خلودهم فيها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (لكهف، 108)، ولا يتمنون أفضل منها؛ لأنها تشبع كل رغباتهم وفق شخصياتهم وقدراتهم التي بنوها لأنفسهم في عالم الدنيا، وتتغير معهم بتغيرهم وتطورهم هناك. ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. (ق، 35)

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 9

وائم -خلال خمس دقائق- بين الآيات القرآنية التالية والفقرات المناسبة لها من الدرس:

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (النساء 98-99)
2. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران، 85)
3. ﴿ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. (الكهف، 49)
4. ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت، 64)
5. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (الزلزلة 6-8)
6. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾. (آل عمران، 30)
7. ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (النحل، 32)
8. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف، 108)

9. ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. (ق، 22)

10. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. (الأنفال، 50)

11. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. (الإسراء، 15)

## الدرس في نقاط

- ننتقل إلى العالمين الآتيين بالكيفية التي شكَّلنا بها أنفسنا في عالم الدنيا وبالصفات والملكات التي اكتسبناها وتلك التي خسرناها.
- الموت في ذاته ليس عذابًا وشقاءً، إنما هو رهن بأعمال الإنسان في عالم الدنيا.
- الجهل وعدم المعرفة من غير تقصير من قبل المكلف يجعله يقع موقع عفو الله ورحمته سبحانه.
- ما وجودك في عالم الدنيا إلا لتطويرك وتفجير طاقاتك الإنسانية الكامنة لتحيا حياة أبدية في الجنة بكل ما تحمل من تنوع وعمق وعظمة.
- الدين الذي ارتضاه الله للبشر ليكون طريقًا ومسلكًا لهم إليه -سبحانه وتعالى- هو دين الإسلام.
- مقارنة عالم الدنيا بالآخرة
- حياة الجنة ليست ساكنة رتيبة مملة، بل ملؤها الحراك والتغيير والتكامل في مدارجها نحو المعشوق الأعظم جلَّ جلاله. ولذا فأصحاب الجنة بالرغم من خلودهم فيها لا يبغون عنها حولا، ولا يتمنون أفضل منها.

# 10

# اللطف والرحمة الإلهيان

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة، 1)

الرجوع لصفحة المحتويات

# اللطـف الإلهـي في عـالم الدنيا

إن الله لطيـف بعبـاده، فاللـه يفعـل كل مـا مـن شـأنه أن يقـرب النـاس إليـه وإلى طاعتـه ويبعدهم عـن معصيتـه، لكـن بمـا لا يصـل إلى حـد الإجبـار. يقـول سـبحانه وتعـالى: ﴿أيحسَـبُ الإنسـان أَنْ يُتْـرَكَ سُـدًى﴾ (القيامـة، 36)، ويقـول: ﴿وَلَـوْ بَسَـطَ اللَّـهُ الـرِّزْقَ لِعِبَـادِهِ لَبَغَـوْا فِـي الْأَرْضِ وَلَٰكِـن يُنَـزِّلُ بِقَـدَرٍ مَّـا يَشَـاءُ ۚ إِنَّـهُ بِعِبَـادِهِ خَبِيـرٌ بَصِيـرٌ﴾. (الشورى، 27)

فمـن لطفـه أن خلـق عالـم الدنيـا بالهيئـة التـي تسـاعد الإنسـان في السـير إلى الله بشـكل طبيعي وسـلس مـن خلال كدحـه فيهـا مـا دام يتبـع ضميـره وفطرتـه وعقلـه، ﴿يَاأَيُّهَـا الْإنسـان إِنَّـكَ كَادِحٌ إلى رَبِّـكَ كَدْحًـا فَمُلَاقِيـهِ﴾ (الانشـقاق، 6). وخلـق فـي الإنسـان العقـل والإرادة والفطـرة لتهديه إليه سبحانه.

ولـذا فإننـا نلاحـظ إن حيـاة الإنسـان العـادي مليئـة بالأعمـال الصالحـة، فهـو يـدرس ويكـدح ويتـزوج

ويرعى أسرته ويتعامل عمومًا بشكل إيجابي مع مختلف مفردات الحياة، بينما نجد أن المحرمات والموبقات -التي يؤمن أنها كذلك- محطات استثنائية في حياته يشعر بعدها بتأنيب الضمير.

وسخَّر لنا ما في السماوات والأرض جميعًا لخدمتنا ولإعدادنا للمقام السامي الذي خَلَقنا من أجله.. هذا المقام الذي تمنّته الملائكة ولكنها لم تنله.. هذا المقام الذي يمكّن الإنسان وهو لا يزال في عالم الدنيا المحدود من أن يصل إلى العرش ويقترب منه سبحانه إلى درجة لم يصل إليها حتى جبرائيل نفسه وهو أعظم ملائكة الله، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الجاثية، 13)

بل حتى الملائكة -برغم عظمتهم ومقامهم الرفيع- جعلهم الله في خدمة البشر لإيصالهم للمقام السامي الذي خلقهم الله من أجله، وما سجود الملائكة لآدم (ع) إلا كناية عن كونهم مسخرين لخدمتنا. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾. (ص 71-74)

وشرَعَ لنا الدينَ الإسلامي وحببه إلينا ليهدينا إلى الله وليغرس القيم والصفات الإلهية في بنائنا النفسي. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون﴾. (الحجرات، 7)، وإذا سعيت مخلصًا إلى الله فإنه يتولاك بأمره ويشدك إليه ويهديك سبله وفق طاقاتك وقدراتك وخصائصك، بل إنه -سبحانه وتعالى- يفعل ذلك مع كل إنسان ما دام مستجيبًا ولو بنحو ما. تأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (العنكبوت، 69)

# الرحمـة الإلهيـة في عالم الآخرة

مـع كل هـذا اللطـف الإلهـي فـي عالـم الدنيـا فقـد جعـل الله برحمتـه نظـام الثـواب والعقـاب منحـازًا إلى الإنسـان، ولـذا نجـد الإمـام علـي (ع) يقـول فـي دعـاء كميـل: "فَبِالْيَقِيـنِ اَقْطَـعُ لَـوْلا مـا حَكَمْـتَ بِـهِ مِـنْ تَعْذيـبِ جاحِديـكَ، وَقَضَيْـتَ بِـهِ مِـنْ اِخْلادِ مُعانِدِيـكَ لَجَعَلْـتَ النّـارَ كُلَّهـا بَـرْدًا وَسَلامًـا، وَمـا كانَ لأحَـد فيهـا مَقَـرًّا وَلا مُقامًـا، لكِنَّـكَ -تَقَدَّسَـتْ أسْـماؤُكَ- أقْسَـمْتَ أنْ تَمْلأهـا مِنَ الْكافِرين".

فمعظـم مـا يقـوم بـه الإنسـان مـن ممارسـات عاديـة أثنـاء حياتـه اليوميـة الطبيعيـة يثـاب عليـه بدرجـة عظيمـة، وتـزداد عظمتـه إذا فَعَلَـه بنيـة القرب إلى الله تعالى.

والنيـة السـيئة لا حسـاب عليهـا مـا لـم تتحـول إلى سـلوك عملـي، بينمـا النيـة الحسـنة يثـاب عليهـا وإن لم تتحول إلى سلوك عملي.

كمـا أن السـيئة تُحسـب واحـدة، بينمـا تُحسـب الحسـنة بعشـرة أمثالهـا. ﴿مَـنْ جَـاءَ بِالْحَسَـنَةِ فَلَـهُ عَشْـرُ أَمْثَالِهَـا وَمَـنْ جَـاءَ بِالسَّـيِّئَةِ فَلا يُجْـزَى إِلا مِثْلَهَـا وَهُـمْ لا يُظْلَمُـون﴾. (الأنعـام، 160). وهنـاك أعمـال صالحـة عديـدة فـي حيـاة الإنسـان -بعضهـا يقـوم بـه بشـكل اعتيـادي يومـي- تُسـقط سـيئاته، مثـل الصدقـة، وصلـة الرحـم، وصلاة الجماعـة، والحـج، بـل إن هنـاك أعمـالًا -مثـل التوبـة- لا تُسـقط السـيئات وحسـب، وإنما تقلبها حسـنات. يقـول الله تعـالى: ﴿إِلا مَـن تَـابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ عَـمَلًا صَالِحًـا فَأُوْلَئِـكَ يُبَـدِّلُ اللَّهُ سَـيِّئَاتِهِمْ حَسَـنَاتٍ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُـورًا رَّحِيمًـا﴾ (الفرقـان، 70)، بينمـا فـي المقابـل فالأعمـال شـديدة الخطـورة التـي تحبـط الأعمـال الحسـنة -مثـل: القتـل، والارتـداد عن الإسلام- نادرة جدًّا.

وهنـاك الشـفاعة، وهـي تجسـيد لرابطـة الولايـة التـي تربـط الإنسـان بالخيـر ورمـوزه، مثـل: القـرآن، والعلـم، والقرابـة، وبالأخـص ولايـة أهـل البيـت (ع)، وقـد جعلهـا الله تشـجيعًا للنـاس على الولايـة، وربطًـا لهـم برمـوز الـصلاح. عـن النبـي ﷺ: "إن القـرآن شـافع مشـفع، ومـا حـل

مصـدق"، وعنـه ﷺ: "ادَّخـرت شـفاعتي لأهـل الكبائـر مـن أمتـي، أمـا المحسـنون فمـا عليهـم من سبيل". (13)

وقبـل هـذا وذاك هنـاك المغفـرة والعفـو مـن الله عـز وجـل. ﴿قُـلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّذِيـنَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنفُسِـهِمْ لا تَقْنَطُـوا مِـن رَّحْمَـةِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِـرُ الذُّنُـوبَ جَمِيعًـا إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيـمُ﴾. (الزمر، 53)

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 10

**وائم -خلال عشر دقائق- بين النصوص الشرعية التالية والفقرات المناسبة لها من الدرس:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6)

2. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾. (ص 71-74)

3. ورد في الكتب المعتبرة لدى المسلمين كافة عن الرسول الأكرم ﷺ: "إنّ شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أُمّتي".

4. ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. (الفرقان، 70)

5. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الجاثية، 13)

6. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾. (الشورى، 27)

7. ﴿أيحسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾. (القيامة، 36)

8. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (العنكبوت، 69)

9. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. (الأنعام، 160)

10. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. (الحجرات، 7)

11. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (الزمر، 53)

**الدرس في نقاط:**

- ☐ من أهم مظاهر رحمة الله بنا أن فتح لنا أبواب المغفرة والعفو.
- ☐ الله لطيف بعباده، يفعل كل ما من شأنه أن يقرب الناس إليه وإلى طاعته ويبعدهم عن معصيته.
- ☐ الملائكة -برغم عظمتهم ومقامهم الرفيع- جعلهم الله في خدمة البشر لإيصالهم للمقام السامي الذي خلقهم الله من أجله.
- ☐ الشفاعة تجسيد لرابطة الولاية التي تربط الإنسان مع الخير ورموزه، مثل: القرآن، والعلم، والقرابة، وبالأخص ولاية أهل البيت (ع).
- ☐ من لطف الله على الناس أن خلق عالم الدنيا بالهيئة التي تساعدهم للسير إلى الله بشكل طبيعي من خلال كدحهم فيها.
- ☐ الله سخر لنا ما في السماوات والأرض جميعًا لخدمتنا ولإعدادنا للمقام السامي الذي خلقنا من أجله.
- ☐ إذا سعيت مخلصًا إلى الله فإنه يتولاك بأمره ويشدك إليه ويهديك سبله وفق طاقتك وقدراتك وخصائصك.
- ☐ شرع الله لنا الدين الإسلامي وحببه إلينا ليهدينا إليه سبحانه وليقوم بغرس القيم والصفات الإلهية في بنائنا النفسي.
- ☐ من رحمة الله بالإنسان أن السيئة تُحسب واحدة، بينما تُحسب الحسنة بعشرة أمثالها.
- ☐ هناك أعمال -مثل التوبة- لا تسقط السيئات وحسب، وإنما تقلبها حسنات.

﴿ثُـمَّ جَعَلْنَـاكَ عَلَى شَـرِيعَةٍ مِّـنَ الْأَمْـرِ فَاتَّبِعْهَـا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية، 18)

# 11

# الشريعة الإسلامية

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
لماذا الشريعة الإسلامية؟
15:33

# لماذا الشريعة الإسلامية؟

إن عقلنا اللاواعي يسجل كل شي نمر به -أدركناه أو لم ندركه- ويتفاعل معه بطريقته الخاصة حسب الخرائط الذهنية والمنظورات المخزونة فيه، فما يزيد عن 95% من أنشطتنا وسلوكياتنا وأفكارنا وردود أفعالنا والقرارات التي نتخذها والحركات التي نقوم بها تنتج من عقلنا اللاواعي الذي يصعب تغييره وإعادة برمجته. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. (الإسراء، 84)

ولأننا نعبئ أذهاننا بالخرائط الفاسدة والمشوهة والسلبية (الظلمات)، فإن 80% من بين آلاف الأفكار التي تنتابنا يوميًّا سلبية، و95% منها متكررة تعيد نفسها يوميًا، كما أن 97% من مخاوفنا لا أساس لها من الصحة، وإنما هي ناتجة عن منظور متشائم للحياة[1].

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ (الإسراء، 100)، حيث تُظهر لنا هذه الآية بوضوح أن ما نشعر به من مشاعر سلبية لا ينشأ بالضرورة نتيجة الواقع الخارجي، وإنما ينبع من ضعفنا النفسي حتى وإن كان الواقع الخارجي لا يقتضيه، والإحساس بالقلق والخوف إنما هو نتيجة ضعف النفس، ولذا يخبرنا الله أن الكفار حتى لو كانوا يملكون خزائن الله سيظلون خائفين من الفقر.

إن دماغك يغلي باستمرار بالبؤس مثل المايكروويف، وينعكس ذلك في شكل التوترات والقلق والاضطرابات النفسية التي تعاني منها. إن هذه الأفكار السلبية والمخاوف والتوترات النفسية التي تعاني منها تتحول بمرور الوقت وتكرارها المستمر إلى قناعات راسخة ومعتقدات وخرائط ذهنية ترى من خلالها الواقع وتتفاعل معه، وبذلك تفسد روحك، وتدمر عقلك وجسمك وحياتك كلها.

هذه المعتقدات والخرائط الذهنية السلبية والمؤذية تستقطب كل الأحداث التي تمر بها في حياتنا وتحول حتى الأحداث الجيدة منها -لا شعوريًّا- إلى تجارب سيئة لتزداد حياتنا بمرور

1 https://tlexinstitute.com/how-to-effortlessly-have-more-positive-thoughts .

الوقت سوءًا وقتامة وعذابًا. ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. (الأحزاب، 72)

ولهذا "ارتفعت معدلات الاكتئاب في الولايات المتحدة في عام 2021 وفقًا لبحث جديد، حيث تجاوزت 32.8%، مما يؤثر على 1 من كل 3 بالغين أمريكيين"[2].

كما وجدت إحصائيات عام 2020 أن 21% من البالغين الأمريكيين يعانون من مرض عقلي/نفسي[3]، كما أن واحدًا من بين كل ثلاثة من اليافعين الأمريكيين (18 – 25) يعاني من مرض عقلي/نفسي حسب إحصائيات عام 2020 [4].

خلاصة الفكرة أن الإنسان إذا ترك ونفسه فإنه تلقائيًّا سيتجه إلى تعذيب ذاته، ما لم يتبع روتينًا واعيًا ومنظمًا يحميه ويرتقي به نحو العظمة، هذا البرنامج هو الشريعة الإسلامية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس 7-10). إن القرآن يخبرنا صراحة أن أولئك الذين يراعون البعد الروحي من شخصياتهم والفطر المغروسة فيه هم بطبيعتهم ذوو نفوس مطمئنة راضية، وإنما يحدث الخلل في الإنسان بشكل تلقائي عندما يغفل عن هذه الفطر، لما لها من ضرورة في الحفاظ على إنسانيتنا واطمئنانها.

2 World Economic Forum, 18, October 2021 https://www.weforum.org/agenda/2021/10/depression-rates-us-covid-pandmeic-america-mental-health/

3 National Alliance on Mental Health, https://www.nami.org/mhstats

4 https://www.nami.org/mhstats

في الواقع فالأمر نفسه يسري على الأبعاد الإنسانية الأخرى كافة، فأنت إن راعيت جسدك واتبعت الإرشادات الصحية فإنك ستنعم بصحة ولياقة جيدة وعمر مديد، وسيعطيك جسمك أفضل ما لديه، ولكن إن أهملته فإنه سيترهل وسيصاب بالأسقام والأمراض المختلفة، وسيظل يعذبك إلى أن تغير أسلوب تعاملك معه.

تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج 19-22)، ثم اقرأ الآيات التي بعدها في ذكر الممارسات والأفكار التي بتبني الإنسان لها يجنب نفسه أن يكون من الهلوعين الجزعين.

تحدثنا الآيات وكأن الإنسان بطبيعته كائن ذو نزعةٍ إلى الهلع والجزع وعموم الأفكار السلبية إن هو لم يراع في وجوده البعد الروحي من شخصيته.

والسبب في خلق الإنسان بهذه الطريقة هو من أجل مصلحة الإنسان نفسه رحمة من الله بنا، حيث إن غفلة الإنسان عن البعد

الروحي في وجوده وعدم مراعاته ورعايته يفقده إنسانيته ليصبح مثله مثل أي حيوان آخر تحركه غرائزه وشهواته وحاجاته، ويفقد بذلك أعظم شيء امتلكه وبه استحق أن تسجد له الملائكة!

ولأن الله يشفق على الإنسان من خسران ذاته وإنسانيته فقد خلقه بهذه الطبيعة السلبية لتعذبه وتؤرقه وتدفعه للرجوع إلى الفطرة والوجدان الإنساني كلما انحرف عنها، فهي لا تعمل كمؤشرات ذاتية في الإنسان فحسب، وإنما هي قوة زاجرة تمنعه من الانحراف عن الفطرة وعن الهدف الذي خُلِق من أجله، وليكون الأذى والتوتر والعذاب الذي يعاني منه الإنسان عند انحرافه عن مسيرته الطبيعية دافعًا للإنسان للرجوع إلى ذاته، وحمايةً له من الانغماس في حيوانيته. قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. (السجدة، 21)

والحل العملي لهذه المعضلة يكمن في استخدام قدرة عقلك الواعي لترسيخ المعتقدات الإيجابية في ذاتك وعقلك اللاواعي لتغير الخرائط الذهنية السلبية التي تنظر من خلالها إلى الواقع وتتعامل معه، وتحولها إلى خرائط إيجابية. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. (الرعد، 11)

عندما تغير الخرائط الذهنية الراسخة فيك وفق المعتقدات الإيجابية الصحيحة، سيعمل عقلك اللاواعي بشكل طبيعي وتلقائي بمرور الوقت على تحويل حياتك من بائسة وشقية إلى سعيدة ومطمئنة ومبتهجة، أولًا من خلال إعادة برمجة ذاته، وثانيًا من خلال استقباله للأحداث التي يمر بها والمدخلات التي تدخل إليه بطريقة إيجابية وصحية ترسخ فيه الإيجابية والسعادة والطمأنينة، وهذه العملية هي الهدف من وجودنا في عالم الدنيا، وهي كنه العبودية لله عز وجل. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾. (البقرة، 257)

ولكن لكي تترسخ هذه الأفكار والمعتقدات الإيجابية في ذاتك وتتحد معها فتصبح جزءًا من ذاتك وتلغي أي أثر في عقلك اللاواعي للأفكار السلبية المدمرة عليك أن تشفع هذه النظرة الجديدة الصحية للحياة بالممارسات المنبثقة

منها بوعي واستشعار ما أمكن، وليست المسألة سهلة، بل ربما تكون صعبة وتتطلب بذل جهد ليس بالهين، كما تحتاج إلى التركيز وإلى نوع من الانضباط، ولهذا عدَّ النبي محمد ﷺ جهاد النفس (قيام الإنسان بالتغيير وبتطوير ذاته) الجهاد الأكبر.

لاحظ مثلًا أن القرآن عندما يذكر في الآيات التي مرَّ ذكرها في سورة المعارج كون الإنسان بطبيعته هلوعًا وجزوعًا وحريصًا على المال، واستثنى المصلين الذين يقومون بالممارسات الصحية، فيقول: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج، 22)، ثم يستطرد بذكر مجموعة الممارسات التي يقوم بها هؤلاء المستثنون من هذه الصفات القبيحة من الهلع والجزع والحرص.

ولكن ليست كل الأفكار والمعتقدات التي تظن أنها إيجابية يمكن أن تسبب لك السعادة، وإنما يجب أن تكون واقعية صحيحة، ولذا يجب أن تتوافق أفكارك ومعتقداتك ونظرتك للحياة وتنسجم مع الروح والفطر المغروسة فيه كي تشعر بالطمأنينة والسعادة، وإلَّا فإن عقلك اللاواعي سيبقى يتألم ويعاني ويتوجع.

## ما الشريعة الإسلامية؟

الشريعة الإسلامية هي المنهجية التي حددها خالق الخلق ومالكه لسعي الإنسان في الحياة لتحقيق الوجهة الإستراتيجية العظيمة للخلق، ولتحقيق السعادة والطمأنينة للإنسان على المستويين الفردي والمجتمعي. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران، 85)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. (آل عمران، 19)

والشريعة الإسلامية برنامج تدريبي ارتضاه الله واعتمده لتطوير الفرد والمجتمع والرقي بهما إلى الله في حركة طبيعية وسلسة، تُوائم الفطرة الإنسانية، وتنسجم مع الطبيعة البشرية، وتلتقي مع المعطيات والقوانين الكونية. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. (المائدة، 3)

إن منظومة الأحكام الإسلامية -بما تشمله من عبادات- تشكل في مجموعها مزيجًا متكاملًا من إجراءات روتينية وغير روتينية تعزز عند الإنسان قوة الإرادة والسيطرة على النفس

والانضباط الشخصي؛ بما يحقق للإنسان قوة داخلية هائلة تمكنه من مواجهة التحديات والسعي إلى الله وبناء حياة أكثر سعادة.

من جهة أخرى جعل الله في الشريعة الإسلامية من الأنظمة والآليات ما يضمن مرونتها وبقاءها كأصلح نظام إلى نهاية البشرية. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (التوبة، 115)

وقد جعل الله تعالى أحكام الشريعة الإسلامية -من الواجبات والمحرمات وغيرها- وفق مصالح العباد في نفس أفعالهم، فما فيه المصلحة الشديدة جعله واجبًا، وما فيه المفسدة الشديدة نهى عنه، وما فيه مصلحة راجحة جعله مستحبًّا، وهكذا.

لكن الله لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم على المستوى الفردي لكل إنسان. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء، 15)، كما أن الله -جلَّ جلاله- لا يكلفنا إلا بما نقدر عليه ونتحمله ونطيقه. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (البقرة، 286)

## مصدر الشريعة الإسلامية

لقد بيَّن الله هذه المنهجية (الشريعة الإسلامية) وأرسى قواعدها وفصّلها في كتابه العظيم. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل، 89)، وقال جلَّ علاه: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (الأنعام، 155)

ولهذا فعلينا سبر أغوار هذا القرآن العظيم واكتشاف كنوزه للسير على هداه، ولكن بمعية ومساعدة ثقله الآخر الذي بيّنه الرسول في حديثه الشريف الذي ورد في صحيح مسلم والترمذي ومسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم وسنن أبي داود وفي عشرات الكتب وبأسانيد صحيحة بشرط الشيخين: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 11

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية التالية والمفاهيم الإسلامية المناسبة لها:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. (النحل، 97)
2. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. (الشمس 7-10)
3. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. (السجدة، 21)
4. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾. (الحجرات، 7)
5. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. (الأنفال، 24)
6. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران، 85)
7. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. (الإسراء، 84)
8. ﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. (الحشر، 7)

9. ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾. (لقمان، 17)

10. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (الجمعة، 2)

11. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ﴾. (البقرة ، 257)

12. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. (التوبة، 33)

13. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. (البقرة، 256)

14. ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ (الإسراء، 100)

## المفاهيم الإسلامية

- ☐ منظومة الأحكام الإسلامية تعزز عند الإنسان قوة الإرادة والسيطرة على النفس.
- ☐ المنهجية التي وضعها الله للإنسان للسير إليه -سبحانه وتعالى- هي الشريعة الإسلامية.
- ☐ عندما تغير الخرائط الذهنية الراسخة فيك وفق المعتقدات الإيجابية الصحيحة، سيعمل عقلك اللاواعي بشكل طبيعي وتلقائي بمرور الوقت على تحويل حياتك من بائسة وشقية إلى سعيدة ومطمئنة ومبتهجة.
- ☐ لا يمكن إكراه الآخرين على اتباع أي دين.
- ☐ أن ما نشعر به من مشاعر سلبية لا ينشأ بالضرورة نتيجة الواقع الخارجي، وإنما ينبع من ضعفنا النفسي حتى وإن كان الواقع الخارجي لا يقتضيه.

- الإسلام رسالة جاءت لكل العالم ولكل البشر، وسيأتي اليوم الذي سيسود فيه الإسلام الأرض قاطبة.
- اتباع الشريعة الإسلامية من شأنه أن يبث الحياة في الإنسان فردًا ومجتمعًا دنيا وآخرة.
- هدف الشريعة الإسلامية تطوير البشر والرقي بهم.
- أولئك الذين يراعون البعد الروحي من شخصياتهم هم بطبيعتهم ذوو نفوس مطمئنة راضية، وإنما يحدث الخلل في الإنسان عندما يغفل عن روحه، لما لها من ضرورة في الحفاظ على إنسانيتنا واطمئنانها.
- اتباع الشريعة الإسلامية من شأنه أن يمنح الإنسان السعادة والراحة.
- خلق الله الإنسان بقوة زاجرة تردعه من الانحراف عن الفطرة وتدفعه للرجوع إلى الله، وحمايةً له من الانغماس في حيوانيته.
- السنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية.
- الشريعة الإسلامية تنسجم مع الفطرة الإنسانية (محبَّبة للنفس).
- ما يزيد عن 95% من أنشطتنا وسلوكياتنا وأفكارنا وردود أفعالنا والقرارات التي نتخذها والحركات التي نقوم بها تنتج من عقلنا اللاواعي.

شاهد الفيديو
محمد
هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وأفضلهم على
الإسلامية، كما أنه سيد البشر جميعًا، لا يوازيه فا
في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبه
خلق عظيم من أول نشأة البشر
النبـــوة
4:57

# 12

# النبـــوة

﴿لَقَـدْ جَاءَكُـمْ رَسُـولٌ مِّـنْ أَنفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِتُّـمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكُـم بِالْمُؤْمِنِيـنَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (التوبة، 128)

الرجوع لصفحة المحتويات

النبـوة واحـدة مـن أهـم مظاهـر اللطـف الإلهـي بنـا، فالنبـوة وظيفـة إلهيـة يجعلهـا الله تعـالى لمن يختـاره مـن عبـاده الصالحيـن وأوليائـه الكامليـن فـي إنسـانيتهم، فيرسـلهم إلى النـاس مـن أجـل إرشـادهم إلى مـا فيـه منافعهـم ومصالحهـم فـي الدنيـا والآخـرة، وتنزيههـم وتزكيتهـم مـن مسـاوئ الأخلاق ومفاسـد العـادات، وتعليمهـم الحكمـة والمعرفـة وبيـان طـرق السـعادة والخيـر، لكـي تبلـغ الإنسـانية كمالهـا اللائـق بهـا، فترتفـع إلى درجاتهـا الرفيعـة فـي داري الدنيـا والآخـرة. ﴿كَمَا أَرْسَـلْنَا فِيكُـمْ رَسُـولًا مِّنكُـمْ يَتْلُـو عَلَيْكُـمْ آيَاتِنَـا وَيُزَكِّيكُـمْ وَيُعَلِّمُكُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَيُعَلِّمُكُـم مَّـا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

إن النبـي يجـب أن يكـون متصفًـا بأكمـل الصفـات الخلقيـة والعقليـة وأفضلهـا -كالشـجاعة، والسياسـة، والتدبيـر، والصبـر، والفطنـة، والـذكاء- حتـى لا يدانيـه بشـر سـواه فيهـا؛ لأنـه لـولا ذلـك لمـا صـحَّ أن تكـون لـه الرئاسـة العامـة على جميـع الخلـق ولا قـوة إدارة العالـم كلـه. كمـا يجـب أن يكـون طاهـر المولـد، أمينًـا، صادقًـا، منزهًـا عـن الرذائـل قبـل بعثتـه؛ لكـي تطمئـن إليـه القلـوب، وتركـن إليـه النفـوس، ويسـتحق هـذا المقـام الإلهـي العظيـم. ﴿اللَّـهُ يَصْطَفِـي مِـنَ الْمَلَائِكَـةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. (الحج، 75)

كمـا أن الأنبيـاء معصومـون، والعصمـة هـي التنـزه عـن الذنـوب والمعاصـي صغائرهـا وكبائرهـا وعـن الخطـأ والنسـيان، وإن لـم يمتنـع عـقلًا على النبـي أن يصـدر منـه ذلـك، بـل يجـب أن يكـون منزهًـا حتـى عمـا ينافـي المـروءة، كالتبـذل بيـن النـاس، مـن أكل فـي الطريـق، أو ضحـك عـالٍ، وكل عمـل يُسْتَهْجَن فعله في العرف العام...

والأنبيـاء معصومـون بشـكل مطلـق فيمـا يخـص الشـرائع التـي نزلـوا بهـا أو فـي سـائر أمـور الحيـاة والمعـاش قبـل البلـوغ وبعـد البلـوغ وقبـل النبـوة وبعدهـا. ﴿وَالنَّجْـمِ إِذَا هَـوَى * مَـا ضَـلَّ صَاحِبُكُـمْ وَمَـا غَـوَى * وَمَـا يَنْطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُوحَـى * عَلَّمَـهُ شَـدِيدُ الْقُوَى﴾. (النجم، 1-5)

ولـذا فنحـن نعالـج الآيـات القرآنيـة والروايـات التـي قـد يكـون ظاهرهـا منافيًـا لعصمـة الأنبيـاء وكمالهـم بجمـع القرائـن التـي تسـهم في اسـتظهار المعنـى الموافـق للسـياق وفطـرة العقـل

والمنسجم مع عصمة الأنبياء وكمالهم، ومثال ذلك تفسيرنا لقوله تعالى للرسول الأعظم ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح، 2)، كما نرفض جميع الروايات والأحاديث الواردة التي تشير إلى منقصة في الرسول الأعظم ﷺ أو تحطُّ من قدره أو قدر أيّ من أنبياء الله بأي صورة كانت.

## النبي محمد بن عبد الله ﷺ

هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وأفضلهم على الإطلاق، وهو صاحب الرسالة الإسلامية، كما أنه سيد البشر جميعًا، لا يوازيه فاضل في فضل، ولا يدانيه أحد في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبهه شخص في خلق، وإنه لعلى خلق عظيم من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (القلم، 4)

## قراءة اختيارية

# ماذا قيل في النبي محمد ﷺ من غير المسلمين؟

**السير/ جورج برنارد شو، الكاتب المسرحي الأيرلندي ومؤسس London School of Economics. الشخص الوحيد الذي جمع بين جائزتي أوسكار ونوبل للآداب، كتاب The Genuine Islam**

"**إن العالَم في حاجة ماسة إلى رجل بعقلية محمد**، بعد النظر في قصة هذا الرجل أجدها مدهشة ورائعة، وانتهيت إلى الاستنتاج بأنه لم يكن يومًا من الأيام عدوًّا للمسيحية، ولذا **يجب أن يطلق عليه لقب منقذ الإنسانية**، وفي رأيي فإنه لو أوتي القدرة على التحكم في العالم اليوم كان سيحل مشكلاتنا ويضمن السلام والسعادة اللذين يحنُّ العالم لهما اليوم".

**بارنابي روجرسون، كاتب بريطاني، كتاب Prophet Muhammed – A Biography**

"**إنه يمثل تقريبًا كل القيم الإنسانية**، محمد نبي الله وخاتمهم وأعظمهم في ذلك الحظ من البشر من آدم وحتى إبراهيم وموسى وعيسى الذين كافحوا لإيصال كلمة الله إلى البشرية، **وعندما ننظر إليه من وجهة نظر علمانية تمامًا فإنه يظل بطلًا خارقًا**".

**ألفريد مارتن، فيلسوف ومؤرخ أمريكي، كتاب The Great Religious Teachers of the East**

"النبي الناجح: لم يطرأ في تاريخ الأديان شيء أكثر غرابة من الطريقة التي استطاع فيها محمد أن يبثَّ أفكاره المختلفة في النظام الاجتماعي القائم بالجزيرة العربية، وينبغي القول بأنه يُحسب له الفضل الدائم في أنه أثناء رفعه لمستوى المجتمعات المعاصرة له فإنه قد حقق ما لم تستطع اليهودية والنصرانية في القرون الوسطى بالجزيرة العربية تحقيقه، بل أكثر من ذلك فإنه في إنجاز ذلك العمل الحضاري **استطاع محمد أن يقدم خدمات لا تقدر بثمن ليس فقط للجزيرة العربية وإنما للعالم أجمع**".

**صامويل بارسونز سكوت، مؤلف ومؤرخ بريطاني، كتاب History of the Moorish Empire in Europe**

"إن الأمجاد التي تستثمر تاريخ الإسلام قد تكون مشتقة كليًّا من شجاعة الإنسان وفضيلته وذكائه وعبقريته، إن تم قبول هذا فإن أكبر مقدار من الفضل يرجع إلى ذلك الرجل الذي وضع الخطة وروَّج للحراك وصاغ القواعد التي أمَّنت تحقيق النجاح، وفي كل الأحوال فإن كان هدف الدين غرس الأخلاقيات والحد من المنكرات وتحقيق سعادة الإنسان وتوسعة نطاق التعقل البشري، وإن كان أداء الأعمال الصالحة سيفيد في اليوم العظيم حيث تبعث البشرية للحساب النهائي، **فإنه ليس من غير الموقر ولا المعقول أن لا نعترف أن محمدًا كان فعلًا رسول الله**".

**جوهان وولفغانغ كاتب ألماني، رسام، عالم أحياء، بوليماث، فيزيائي نظري، كتاب Allah's Sun Over The Occident Rendition of Mahomets Gesang**

"**نحن الأوربيون -مع كل مفاهيمنا- لم نستطع أن نصل إلى ما وصل إليه محمد**، ولن يستطيع أحد أن يسبقه، لقد نظرت في تاريخ الإنسانية عن مثال لها ووجدت أن (ذلك المثال) هو محمد، فالحقيقة يجب أن تقال، فعلًا لقد نجح محمد في إيصال العالم إلى عقيدة التوحيد في الألوهية، **لقد بحثت في التاريخ عن قدوة ومثل أعلى للإنسان ولم أجد غير النبي محمد**".

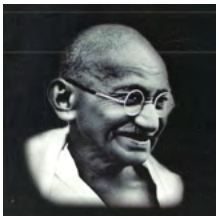

**غاندي، الزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند، كتاب Young India**

"أردت أن أعرف أفضل شيء في حياة شخص تميل له -دون منازع- قلوب ملايين البشر، أصبحت مقتنعًا أكثر من قبل أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف في تلك الأيام، وإنما بسبب البساطة الشديدة والتواضع الشديد للنبي، والالتزام الدقيق بالمعاهدات، والإخلاص الشديد لأصحابه وأتباعه، وبسالته، وشجاعته، وثقته الكاملة بالله وبرسالته".

**القس/ بوسورث سميث، المطران البروتستانتي الأمريكي الأسقفية، كتاب Muhammad and Muhammadanism**

"(كان) رئيس الدولة والكنيسة معًا، كان القيصر والبابا في آن واحد، ولكنه كان البابا من دون ذرائع البابا، وكان القيصر من دون جيوش قيصر، كان بدون جيش قائم ولا حرس شخصي ولا قوة شرطة وبدون دخل مادي ثابت، **إن حَكَمَ شخص كهذا إطلاقًا بحق إلهي فهو محمد**؛ لأنه كان يمتلك كل القوى من دون دعمهم، لم يهتم حقًّا بمظاهر القوة، وبشكل إجمالي فإن العجب ليس في الكم الكبير بل في الكم الصغير، في ظروف مختلفة كان محمد شخصًا مختلفًا، فَمِن راعٍ بالصحراء، إلى تاجر بالشام، إلى متعبد في جبل حراء، إلى مصلح، إلى أقلية لا تزيد عن الواحد، إلى منفي للمدينة، إلى فاتح مشهور، إلى مساوٍ لكسرى الفرس وهرقل الإغريق، وبإمكاننا إلى الآن أن نتتبع الوحدة الكبرى، **إنني أشك في وجود رجل آخر ممن تغيرت حالته الخارجية بهذا المقدار وكان هو نفسه كما هو بكل تلك الأدوار**".

**جواهر لال نهرو، رئيس المؤتمر الوطني الهندي ورئيس الوزراء الأول للهند، كتاب Glimpses of World History**

"مثل مؤسسي بعض الأديان الأخرى، فإن محمدًا كان ثائرًا ضد كثير من العادات الاجتماعية السائدة، لقد كان الدين الذي دعا إليه من خلال كونه بسيطًا ومباشرًا، ومع مذاق الديمقراطية والمساواة جاذبًا للجماهير في الدول المجاورة التي حكمها لفترة طويلة من قبل ملوكٌ مستبدون ورجال دين لا يقلون عنهم استبدادًا".

**ألفونس دي لامارتين، الكاتب والشاعر والسياسي الفرنسي الذي كان له دور فعال في تأسيس الجمهورية الثانية، كتاب Historie De La Turquie**

"إن كانت الأهداف العظيمة والوسائل المحدودة والنتائج المدهشة هي المعايير الثلاثة لعبقرية الإنسان، **فمن يستطيع أن يتجرأ ويقارن بين أي شخص عظيم بالتاريخ ومحمد؟** إن أكثر الرجال شهرة اخترعوا أسلحة أو (وضعوا) قوانين أو (أنشؤوا) إمبراطوريات فقط، إنهم أسسوا بالكثير ما لا يزيد عن قوى مادية تهاوت في كثير من الأحيان أمام أعينهم، أما **هذا الرجل فلم يحرِّك الجيوش والقوانين والإمبراطوريات والشعوب والعروش فحسب، وإنما حرَّك ملايين البشر في ثلث العالم المأهول في زمنه، وأكثر من ذلك حرَّك الكنائس والأرباب والأديان والأفكار والعقائد والأرواح**".

**توماس كارليل، الأبطال، كاتب أسكتلندي، مقال، مؤرخ ومعلم خلال العصر الفيكتوري، كتاب Hero Worship and the Heroic in History**

"من المخجل جدًّا لأي إنسان أن يستمع لهذه الاتهامات بأن الإسلام كذب وأن محمد مخادع ومزيف، لقد رأينا أنه ظل مرابطًا على مبادئه مع عزيمة صُلبة وكان لطيفًا كريمًا عطوفًا تقيًّا فاضلًا ورجلًا حقيقيًّا يعمل بجد وإخلاص، وبجانب هذه الخصائص فإنه كان ليِّن العريكة مع الآخرين ومتسامحًا ولطيفًا ومبتسمًا وجديرًا بالمدح، ولعله كان يمزح ليتلطف مع أصحابه، كان عادلًا صادقًا حذقًا نقيًّا شهمًا وحاضر الذهن، كان وجهه متألقًا وكأن به مصابيح تشع نورًا لتضيء أكثر الليالي حلكة، **لقد كان رجلًا عظيمًا بطبعه، ولم يكن متعلمًا في مدرسة أو على يد معلم لأنه لم يكن بحاجة لأي من ذلك**".

**البروفيسور/ ك. س. راماكريشنا راو، أستاذ الفلسفة، جامعة ميسور، الهند، كتاب "Mohammad: The Prophet of Islam"**

**"مـن الصعـب جـدًّا الوصـول إلى حقيقـة شـخصية محمـد**، أمكننـي فقـط الحصـول على نظـرات سـريعة منهـا، ومـا أجملهـا مـن مناظـر دراميـة متتابعـة، فهنـاك محمـد النبـي، ومحمـد القائـد، ومحمـد الملـك، ومحمـد المحـارب، ومحمـد التاجـر، ومحمـد الواعـظ، ومحمـد الفيلسـوف، ومحمـد رجـل الدولـة، ومحمـد الخطيـب، ومحمـد المصلـح، ومحمـد ملاذ الأيتـام، ومحمـد حامـي العبيـد، ومحمـد محـرر النسـاء، ومحمـد واضـع القوانيـن، ومحمـد القاضـي، ومحمـد القديـس، **وفـي كل تلـك الأدوار الرائعة وكل تلـك النشـاطات الإنسـانية المتنوعـة فإنه مثل البطل**".

**آني بيزانت، ثيوصوفي بريطانية بارزة، ناشطة في مجال حقوق المرأة، كاتبة، رئيسة المؤتمر الوطني الهندي، كتاب " The Life and Teaching of Muhammed"**

**"مـن المسـتحيل لأي شـخص يـدرس شـخصية النبـي الأعظـم للعـرب ويعلـم كيـف عـاش هـذا النبـي وكيـف علّـم النـاس ألا يُكِـنَّ احترامًـا لهـذا النبـي الجليـل والرسـول الأعظـم الـذي أرسـله الله**، إن اسـتعداده لتحمـل الاضطهـاد مـن أجـل معتقداتـه والمعنويـات العاليـة لـدى الرجـال الذيـن آمنـوا بـه والذيـن نظـروا إليـه كقائـد لهـم وعظمـة الإنجـازات التـي حققهـا تثبـت نزاهتـه، أن تفتـرض أن محمدًا كان مُدَّعيًـا يثيـر إشـكالات أكثـر ممـا يحلهـا، وبالإضافـة إلى ذلـك فإنـه **لا أحـد مـن الشـخصيات العظمـى بالتاريـخ بُخِـس حقهـا في التقدير في الغرب مثل محمد**".

**إدوارد جيبون، مؤرخ إنجليزي وعضو في البرلمان، كتاب "The Decline And Fall Of The Roman Empire"**

"**إن أعظم نجاح في حياة محمد جاء نتيجةً للقوة الأخلاقية فقط**. إن عبارة (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله) هي من أبسط البيان وأكثره ثباتًا في الإسلام؛ إذ لم تَحُط من قدر الصورة الذهنية للذات الإلهية أبدًا من خلال توظيف أي معبود مجسَّد، كما أن مناقب النبي لم تخالف المعايير المتعارف عليها لفضائل البشر، وحافظت مفاهيمه التي ما تزال حتى يومنا هذا على امتنان المؤمنين به ضمن حدود العقل والدين".

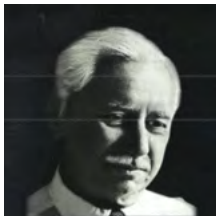

**ويليام جيمس دورانت، كاتب أميركي غزير الإنتاج، مؤرخ وفيلسوف، كتاب " The Story of Civilization"**

"إذا ما حكمنا على العظمة من خلال الأثر الذي يتركه المرء، **فقد كان محمد أحدَ عمالقة التاريخ**؛ إذ أخذ على عاتقه مهمة رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب نالت منه الهمجية، وعاش في بيئة حارة وقاحلة، **وقد نجح نجاحًا كاملًا أكثر من أي مصلح آخر، وقلما حقق أي إنسان حلمه تحقيقًا كاملًا مثلما حقق محمد**... فعندما بدأ رسالته كانت الجزيرة العربية صحراء تتناثر فيها القبائل الوثنية، ولم ينتقل إلى جوار ربه إلا وقد غدت أمةً تُضاهي باقي الأمم.

توفي الإمبراطور جستنيان في عام 565 ميلادية، وكان قد أرسى دعائم إمبراطورية الرومان العظيمة، وبعد ذلك بخمس سنوات وُلِدَ محمد في عائلة فقيرة في أرض تشكل الصحراء ثلاثة أرباعها، وتتناثر فيها قبائل البدو الرُّحَّل، وتكاد ثرواتها مجتمعة لا تكفي لتأثيث الحرم المقدس في

كنيسة القديسة صوفيا، ولم يكن لأحد قط أن يحلم في تلك الأيام بأنه خلال قرن من الزمان سيقوم هؤلاء البدو بغزو الإمبراطورية البيزنطية في آسيا وأرجاء بلاد فارس ومصر ومعظم شمال إفريقيا وأن يشدوا الرحال باتجاه الأندلس، إن التحول الهائل الحاصل في الجزيرة العربية باتجاه غزو نصف المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط واعتناقه للإسلام يعد أكثر الظواهر تميزًا في تاريخ العصور الوسطى".

**واشنطن إيرفينغ، مؤلف أمريكي وكاتب سيرة ومؤرخ، كتاب "Mahomet and His Successors"**

"لقد كان النبي عادلًا في تعاملاته الخاصة؛ فقد انتهج المساواة مبدأً له في تعامله مع القريب والغريب، والغني والفقير، والقوي والضعيف، وقد أحبه الناس العاديون لحسن العشرة التي عاملهم بها، ولحسن إصغائه لهمومهم. ولم توقظ انتصاراته العسكرية أي شعورٍ لديه بالخيلاء ولا المجد الزائل، علمًا بأن تلك الانتصارات لو حصلت نتيجة أهداف شخصية وأنانية كانت ستفعل فعلها في إصابة صاحبها بالكبر والزهو، فقد اتسم بالدرجة ذاتها من البساطة في السلوك والمظهر في ذروة قوته العظيمة وفي أيام انكساره على حد سواء، وكان بعيدًا كل البعد عن التشبه بالملوك والحكَّام؛ فلم يكن سعيدًا إن دخل مكانًا وأظهر الحاضرون له أي مظهر من مظاهر الاحترام الاستثنائي، إن كان محمد يرغب في الحكم الدنيوي فقد كانت رغبته في هيمنة الإيمان أهم بكثير من الحكم الدنيوي المؤقت الذي زاد قوة بين يديه، وقد استخدمه دون تباهٍ".

**مايكل وولف، الشاعر الأمريكي، مؤلف وصانع أفلام، كتاب "Muhammad: Legacy of a Prophet"**

"لقد حضّ محمد قومه على حسن المعاملة فيما بينهم، وأمرهم ألا يأكلوا حقوق الآخرين بالباطل، كما حثّ الرجال والنساء على حد سواء على المعاملة الإنسانية، وحضَّ الإخوة والأخوات على حسن المعاملة، وحثَّ المسلمين عمومًا على أن يتعاملوا كالإخوة، وربما يكون

أهم من ذلك كله أنه دعا إلى وضع حد لعادة الثأر وسفك الدماء، حيث إن عادة الأخذ بالثأر كانت منتشرة بين قبائل العرب وصبغت ثقافتهم بالدم صبغةً مخيفة منذ مولده، ولم يأت محمد أبدًا في خطبة حجة الوداع على سرد أيٍّ من إنجازاته التي حققها".

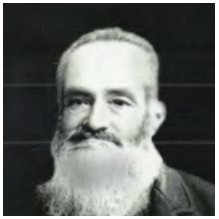

**السير/ وليم موير، كتاب "Life of Muhammad"**

**"من أهم السمات البارزة التي ميَّزت محمدًا التحضر والاهتمام اللذان عامل بهما أتباعه حتى أقلهم مكانة**، فقد طغى التواضع واللطف والصبر وإنكار الذات والكرم على سلوكه، وجذبت تلك الطباع إليه عواطف كل من أحاط به، ولم يُعْرَف عنه حبه لرفض أي طلب يُطلب منه، وفي حال عدم قدرته على تلبية طلب بصيغة التأكيد فقد كان يفضل الصمت، ولم يُعرف عنه أبدًا أنه رفض دعوة إلى بيت حتى وإن كانت من أشد الناس فقرًا، كما لم يترفع عن المشاركة في أي دعوة موجهة له وإن قلَّ حاضروها، وامتلك موهبة نادرة في جعل أي فرد ضمن جماعة ما يعتقد بأنه صاحب الحظوة لديه، وعندما كان يلتقي بأحد ما في حال فرح لنجاح حققه كان يأخذ بيده بحماسة وود، وتعاطَفَ بشكل لطيف مع الثكالى ومن أصابهم البلاء، كما كان لطيفًا ودمثًا مع الصغار، ولم يكن ليترفع عن إلقاء السلام عليهم ومباشرة اللعب معهم، وشارك مأكَله -حتى في أوقات الضيق- مع الآخرين، كما كان مهتمًّا اهتمامًا دائمًا بالراحة الشخصية لمن حوله، وقد طغى هذا السلوك اللطيف والطيب على كافة التصورات الخاصة بشخصيته".

**ستوبارت جي. دبليو. إتش، كتاب " Islam and its Founder"**

**"ما من اسم مشرق في تاريخ العالم يشع بكثير من الشرف العميم مثل اسم النبي المكي**، وتدين سلالات حاكمة لا حصر لها في سبب وجودها للحيوية التي منحها للحكم الإسلامي، وقد نهضت بفضله المدن البهية

والقصور الفخمة والمساجد المدهشة، ودانت مناطق شاسعة بفروض الطاعة للإيمان بالإسلام، وامتد أثره لأكثر من ذلك؛ حيث حكمت أحاديثه إيمان الأجيال القادمة وقبلوها كقانون لهم في الحياة ودليلٍ أكيدٍ نحو عالم المستقبل".

**الدكتور/ غوستاف ويل، مستشرق ألماني، مؤلف ومترجم، كتاب " History of the Islamic Peoples"**

"كان محمد مثالًا مشرقًا لقومه، فقد كان ذا شخصية صادقة وأمينة، وتميز مسكنه وملبسه ومأكله ببساطة قلَّ نظيرها، وكان متواضعًا جدًّا لدرجة أنه لم يكن يحصل من أصحابه على أي علامة تدل على التقديس، كما أنه لم يكن ليقبل أي خدمة من مولاه طالما كان بمقدوره القيام بها بنفسه، وكان الجميع قادرين على التحدث معه في أي وقت، وكان يعود المرضى ويمد يد العطف والحنان للجميع، وقد كان كرمه وطيبته بلا حدود، وكذلك كان اهتمامه المتواصل بالسهر على راحة المجتمع".

**ستانلي لين بول، المستشرق البريطاني، عالم الآثار وأستاذ اللغة العربية، كتاب "Speeches and Table Talk of the Prophet Muhammad"**

"كان محمدٌ عطوفًا على الصغار، يُوقفهم في الطرقات ويربت على رؤوسهم الصغيرة، ولم يضرب أحدًا في حياته، وعندما طُلِبَ منه أن يلعن أحدهم كان جوابه: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً"، وكان يعود المرضى، ويمشي في أي جنازة يصادفها في الطريق، ويقبل دعوة العبيد على الطعام، وكان يصلح ثوبه، ويحلب شاته، ويعتمد على نفسه حسب ما ورد باختصار في حديث آخر مروي عنه، وما سَحَبَ يده من يد أي رجل آخر يصافحه قبل أن يسحب الآخر يده أولًا. كان أكثر الناس إخلاصًا وحماية لمن دخل عزوته، وألطف الناس وأكثرهم موافقة في الحديث. وكان كل من يراه يلتحف بلحاف من الاحترام بشكل مفاجئ، ويحبه من يقترب منه، وقد ذكر الذين وصفوه أنهم لم يروا شخصًا مثله لا من قبل ولا من بعد، وكان كثير الصمت، ولكن عندما يتكلم كان كلامه ينضح بالتأثير والتدبر، وما لأحدٍ أن ينسى ما قاله".

**جيمس ألبرت ميشنر، مؤلف أمريكي لأكثر من 40 كتابًا، كتاب " Islam: The Misunderstood Religion"**

"**كان محمدٌ رجلًا عمليًّا بحق في كل صغيرة وكبيرة**، فعند وفاة ابنه إبراهيم حدث خسوف للقمر، وانتشرت الأقاويل انتشار النار في الهشيم بأن الله عز وجل حزن حزنًا شديدًا لوفاته، وعند سماع محمد تلك الأقاويل قال: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ أو لحياته".

"شأن محمد شأن أي نبي شهير قبله، فقد جاهد باعتباره رسولًا مبلغًا لكلام الله رغم أميته، ولكن جبريل أمره قائلًا: "اقرأ"، ولذا -كما نعرف- فإن محمدًا لم يكن قادرًا على القراءة أو الكتابة، ولكنه بدأ بإملاء تلك الكلمات التي أوحيت له وأحدثت ثورة في قسم كبير جدًّا في أرجاء المعمورة، تلك الكلمات هي: "لا إله إلا الله".

**البروفيسور/ ألفريد كرونر، أستاذ الجيولوجيا في جامعة يوهانس غوتنبرغ، ألمانيا، من الفيلم الوثائقي "الحقيقة"**

"لدى التفكير في كثير من تلك الأسئلة وتأمل المكان الذي ولد فيه محمد فإنه كان في نهاية المطاف بدويًّا من العرب البدو، وأعتقد أنه من شبه المستحيل القول بأنه استطاع أن يعرف عن أشياء من قبيل الأصل المشترك للكون، نظرًا لأن العلماء قد توصلوا لتلك الحقيقة فقط خلال السنوات القليلة الماضية باستخدام أساليب تقنية معقدة ومتقدمة.

أعتقد أنه لم يكن بمقدور شخص لم يعرف أي شيء عن الفيزياء النووية قبل 1400 عام أن يكون في مكانة تسمح له بأن يكتشف بعقله هو أن الأرض والسماوات ذواتا أصل واحد على سبيل المثال، أو كثيرًا من المسائل الأخرى التي ناقشناها في هذا الكتاب"

**مايكل هارت، عالم الفيزياء الفلكية والمؤرخ الأمريكي، كتاب " The 100, A Ranking of the Most Influential Persons in History"**

"قد يتفاجأ بعض القرّاء من اختياري لمحمد على رأس قائمة أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ، كما قد يتساءل بعض القرّاء الآخرين عن السبب الكامن وراء هذا الاختيار، لكن **محمدًا كان الشخصية الوحيدة في التاريخ التي نجحت نجاحًا منقطع النظير على المستويين الديني والدنيوي**... ومن المحتمل أن التأثير النسبي الذي تركه محمد على الإسلام هو تأثير أكبر بكثير من التأثير الذي تركه السيد المسيح وبولس الرسول على الديانة المسيحية... إنه هذا المزيج الفريد بين التأثيرين الديني والدنيوي الذي أشعر بأنه يؤهل محمدًا لكي يعتبر أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ البشري".

**جيمس جورج روش فورلونج، لواء بالجيش الهندي ومعاون فخري لجمعية الصحافة العقلانية، كتاب " Short Studies in the Science of Comparative Religions"**

"لقد أجرينا دراسة على مدى أكثر من أربعين عامًا للمسلمين من الطوائف والبلدان الإسلامية كافة، ويجب أن نقرّ -بعد إجراء تلك الدراسة المعمّقة والشفافة لسيرة النبي العربي ودينه العظيم وسماته الشخصية العامة والخاصة ومناقبه ومثالبه والزمن الذي عاش فيه والظروف التي أحاطت به- بأن **النبي الكريم يتصدَّر قائمة أعظم الحكَّام وصنَّاع التاريخ على وجه البسيطة**... وقد كان حاله كذلك في الحرب والسلم، وكحاكم لرجال أشاوس، وإداري ومنظّم لقبائل اتسمت بالإقدام والتمرد أو لشعوب كانت تنعم حينها بالاستقرار، وقد استحق محمد احترام الساسة والأصدقاء والأعداء، ونال قدرًا من الحب والتقدير والتبجيل من كل الذين تشرفوا بلقائه ومعرفته معرفةً خاصة أو عامة".

**برينجل كينيدي، مؤرخة بريطانية ومحامية ومؤلفة، كتاب " Arabian Society at the Time of Muhammad"**

"بالنسبة لهؤلاء الذين يعتبرون الإنسان كل شيء وأنه ما من دور كبير للبيئة في نجاحه فإن **محمدًا هو المثال الأسمى لما يمكن لشخص واحد أن يحققه**، وحتى الآخرين الذين يرون أن ظروف الزمان والمكان والظروف المحيطة بأنواعها المختلفة وقدرة العقل البشري على التقبل لها دور -أكثر من أي جهد مفرد- في أن تتسبب في إحداث تغيرات عظيمة في تاريخ البشرية، فإنهم لا يمكن أن ينكروا -حتى وإن حصل ذلك التغيير- بأنه من دون محمد فإنها كانت ستتأخر إلى أجل غير مسمى. وأيًّا يكن الرأي الذي قد يحمله المرء حول هذا الرجل الاستثنائي سواء أكان رأي المسلم المخلص الذي يعتبر محمدًا ختام الأنبياء والمرسلين وأعظم من أعلى كلمة الله أو كان رأي النصارى المتعصبين في الأيام التي خلت الذين اعتبروه مصدرًا للشر... فلا يمكن أن يكون هناك اختلاف على شدة تأثير سيرة حياته على تاريخ العالم".

**جي إتش دينيسون، عالم نفسي أمريكي ومؤلف كتاب "تنمية الشخصية"، كتاب " Emotions as the Basis of Civilisation"**

"كان العالم المتحضّر في القرنين الخامس والسادس الميلاديين على شفير الهاوية؛ إذ انهارت الثقافات المؤثرة القديمة التي جعلت قيام الحضارة أمرًا ممكنًا نظرًا لأنها منحت الإنسان شعورًا بالاتحاد وبتبجيل حكامها الذين تسلموا مقاليد حُكْمِها، وكمنت المعضلة في استعصاء وجود بديل لتلك الحضارات البائدة... وبدا في ذلك الحين أن الحضارة العظيمة التي احتاج بناؤها أربعة آلاف سنة كانت على حافة التفكك، وكان من المرجح أن البشر سيعودون سيرتهم الأولى في الهمجية واستعداء القبائل والجماعات بعضها لبعض وغياب القانون والنظام من حياة الناس، وخلقت العقوبات الجديدة التي ابتدعتها المسيحية المزيد من الفرقة والدمار بدلًا من غرس بذور الوحدة وفرض النظام... فهل كانت هناك أي ثقافة مؤثرة يمكن اللجوء إليها

للمِّ شمل البشرية مرة أخرى نحو مزيد من الاتحاد وإنقاذ الحضارة؟ نعم، لقد كانت تلك الثقافة هي الثقافة السائدة بين العرب عندما شاءت الأقدار أن يولد **الرجل الذي عمل على توحيد كل بقاع العالم المعروف آنذاك في الغرب والجنوب**".

**الرائد/ آرثر جلين ليونارد، الخبير العسكري البريطاني، كتاب " Islam, Her Moral "and Spiritual Value**

**"لو قدِّر لأي من البشر على هذه الأرض أن يجد طريقه إلى الله، ولو قدِّر له أن يكرّس حياته في سبيل الله بحماس لا يلين ولا تشوبه شائبة، عندها -وبلا أدنى شك- فإن من المؤكد أن ذلك الشخص هو النبي الكريم محمد الذي بُعِث في الجزيرة العربية.**

ويرجع الفضل لعبقرية محمد والروح التي بثَّها بين العرب -وهي روح الإسلام- في رفع مقامهم، وقد أسهم ذلك في رفع شأنهم وانتشالهم من براثن السبات والمستوى المتدني من الانحطاط القبلي ورفعهم إلى مستويات راقية من الوحدة القومية وأسّس لهم دولة قوية، كما يتجلى ذلك في سمو محمد وبساطته وورعه وحلْمِه وصفاء سريرته التي طبعت رسول الإسلام في مفاهيمه العقائدية وعملت على تفعيل دورها الأخلاقي والفكري مع كل الجذب الذي يوفره الإلهام الحقيقي".

**جول مسرمان، محلل نفسي أمريكي، كتاب "Who Were History's? Greatest Leaders"**

"يجب على أي قائد تاريخي أن يؤدي ثلاث وظائف؛ أولها: توفير الراحة لمن هم تحت قيادته، وثانيها: توفير تنظيم اجتماعي يشعر فيه الناس بالأمان بشكل نسبي، وثالثها: تقديم منظومة واحدة من المعتقدات، وعلى سبيل المثال ينتمي باستور وسولك إلى القادة الذين أدوا الوظيفة الأولى، أما غاندي وكونفوشيوس من جهة والإسكندر المقدوني ويوليوس قيصر وهتلر من جهة أخرى فهم قادة وفق الوظيفة الثانية وربما الثالثة، أما السيد المسيح وبوذا فينتميان وحدهما فقط

إلى النـوع الـذي قـام بالوظيفـة الثالثـة، **وقـد يكـون محمـد أعظـم الزعمـاء على مـر العصور، وهـو الـذي اضطلـع بالقيـام بالوظائـف الثلاث معًـا**، وقـام نبـي الله موسـى بالوظيفـة ذاتهـا وإنْ كان بدرجةٍ أقل".

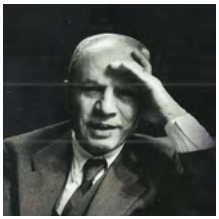

**فيليب ك. هيتي، عالم مسيحي ماروني، كتاب " History of the "Arabs**

**"خلال مـدة زمنيـة وجيـزة مـن حياتـه الدنيوية أيقـظ محمـد قبائـل لـم يكـن يرتجـى منهـا أي خيـر وجعـل منهـا أمـة، أمـة لـم تتحـد قبـل ذلـك أبـدًا**، بـل كانـت أرضًـا، كانـت حتـى ذلـك الحيـن مجـرَّد تعبيـر جغرافـي، وأسَّـسَ ديانـةً فاقـت بمسـاحات شاسـعة الديانتيـن المسـيحية واليهوديـة، وأرسـى دعائـم إمبراطوريـة ضمَّـت فـي غضـون مـدة قصيـرة بيـن حدودهـا المترامية الأطـراف خيـر البلـدان التـي شـكَّلت آنئـذٍ العالـم المتحضر.

**واتبـع محمـد فـي ذروة مجـده -كمـا كان فـي أيـام خلوتـه فـي الغـار- حيـاةً بعيـدة كل البعـد عـن الغـرور** فـي أحـد البيـوت المبنيـة مـن الطيـن التـي تتألـف -مثلهـا فـي ذلـك مثـل كل البيـوت القديمـة الطـراز المنتشـرة الآن فـي الجزيـرة العربيـة وسـوريا- مـن بضـع غـرف تطـل أبوابهـا على فنـاء، ويمكـن فقـط الدخـول إليهـا مـن خلال الفنـاء، وكان النبـي يخيـط ثيابـه بنفسـه، وكان بإمـكان أي فـرد مـن قومـه أن يتحـدث إليـه في أي وقت".

**المصادر:**

(Mercy To The World: Muhammed (PBUHF), Br. Asifuddin Muhammed, 2012, Published by: Islamic Academy For Comparative Religion) https://archive.org/details/ProphetMUHAMMMPeaceBeUponHim/page/n3?q=history+of+Islam+may+be+entirely+derived

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 12

**وائم -خلال خمس دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية المناسبة لها:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾. (الأعراف، 157)

2. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾. (الإسراء، 89-94)

3. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. (النساء، 64)

4. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (إبراهيم، 4)

5. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾. (الرعد، 7)

6. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (آل عمران، 101)

## المفاهيم الإسلامية:

- ☐ الله لم يَبْنِ إرسال الرسل والدعوة الدينية على أساس معجز خارق للعادة الجارية، ولا فوَّض إلى رسله من الأمر شيئًا، بل أرسلهم باللسان العادي الذي كانوا يكالمون قومهم ويحاورونهم به ليبينوا لهم مقاصد الوحي، فليس لهم إلا البيان.
- ☐ الله يدعونا للتوسل بالرسول الأكرم ﷺ.
- ☐ وجود الرسول الأكرم ﷺ بين ظهراني الأمة موجب لهدايتها.
- ☐ الطريق الأصيل للهداية والإيمان هو العقل لا المعجزات.
- ☐ النبي محمد ﷺ بشَّرت به الأديان السماوية السابقة قبل بعثته ﷺ.
- ☐ الله لم يترك أمة أو قومًا من دون مصلح.

# 13 لماذا البلاء؟

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد، 31)

الرجوع لصفحة المحتويات

إن من بين أبرز مصاديق اللطف الإلهي "الابتلاء"، فلقد أعدّ الله برنامجين لتعليم الإنسان وتربيته: برنامج تشريعي، وآخر تكويني، وتحتل الشدائد والصعوبات مكانًا في كلا البرنامجين؛ ففي المنهاج التشريعي فرض العبادات، وفي المنهاج التكويني جعل المصائب على رأس كل طريق يسلكه الإنسان. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. (العنكبوت 2-3)

إن الآلام واللذائذ -التي نشعر بها وتفاعلنا الإيجابي معها في معترك الحياة اليومية من خلال محاولتنا التخلص من الآلام والحصول على اللذائذ وفق المنهج الإسلامي- ترسخ وتعمق المشاعر والمعاني الإنسانية الجميلة في نفوسنا، وتكسبنا المعرفة، وتدفعنا نحو العمل والإصلاح والإبداع، فتشحذ هممنا وعزائمنا، وترفع من قدراتنا (وهو العنصر الأول في معادلة القرب إلى الله). يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾. (الشرح، 5-8)

كما أن هذه الآلام واللذائذ تدفعنا إلى اللجوء إلى الله لمساعدتنا في قضاء حوائجنا أو شكره على مننه وإحسانه علينا، فيرسخ إدراكنا لعبوديتنا لله (العنصر الثاني من معادلة القرب).

إذًا ليس المطلوب ألا نتألم عند مواجهة البلاء وألا نستمتع بلذائذ الحياة ومتعها، وإنما ألا ندع الآلام والمتع تسيطر علينا وعلى أرواحنا وعقولنا وعلى المعاني والملكات الجميلة التي نملكها ولو بمقدار ذرة واحدة.

المطلوب أن يستفيد الإنسان من هذه الآلام والمتع في تطهير نفسه وترقيتها ما أمكن، فالرضا بالقدر والتسليم له لا يتعارض مع إحساسنا بالآلام بسبب الابتلاءات؛ لأن العلاقة بينهما على نحو طولي لا عَرَضي.

إن الأمر ليس كشعورك بحموضة عصير الليمون وحلاوته في آن واحد عند شربك له، وإنما مثل إحساسك بالإجهاد والتعب والألم وأنت تلعب كرة القدم مع أصدقائك أو تمارس السباحة وما شابه من الأمور التي تستمتع بها ولكنها تسبب لك الإجهاد والألم.

فنحن نرضى بالبلاء بل نسعد به لمعرفتنا أنه يقربنا إلى الله تعالى ويرتقي بنا ما دمنا سنسعى بشكل إيجابي للتخلص منه ومعالجته، وبذلك فهو يزيد من حجم استمتاعنا بلذائذ الجنة، لكن هذا لا يغير من حقيقة كون البلاء مؤلمًا، وأن هذا الألم نفسه (مثله مثل اللذة) حرارة تصقل نفسك وروحك. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. (البقرة، 214)

الفكرة المحورية هنا أن تفاعلك مع هذه الفتن (الابتلاءات والنعم) ومقدار إحساسك بالألم والسعادة الناتجين عنها وردود أفعالك إزاءها إنما ترتبط –إلى حد كبير- بخرائطنا الذهنية والقناعات والإدراكات التي نمتلكها ومدى قدرتنا على التمييز بين الأوهام والواقع، كما سيتضح في درس "الواقعية في الحياة".

وكل ما تواجهه من ابتلاءات أو تحصله من نعم إنما تنتهي عندما تصل إليك، وما قيمتها إلا بنظرتك لها وفق قناعاتك وفهمك وتفاعلك معها، فعلى سبيل المثال: قد ترى البحر فتشعر بالسعادة، وقد تراه فتشعر بالخوف والذعر.

على أنه مهما طال أمد هذه الابتلاءات والنعم فإنها لا تطول أكثر من لحظة في عمر وجودك الخالد، لكن تفاعلك معها هو ما يبقى ويشكّل مقدار سعادتك أو عذابك إلى الأبد.

وعليه فالنعمة والمصيبة الحقيقية هي ما يصدر منك، وليس ما يقع عليك. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. (الأنبياء، 35)

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 13

**استخرج من القرآن -خلال عشر دقائق- ما يلي:**

1. آية تدل على أن هدف الله من الأحكام الشرعية التي جعلها ليس إيقاع الناس في المشقة والصعوبة، وإنما تطهيرهم وإتمام النعمة عليهم.

.....

.....

.....

.....

2. آية تدل على أن الله بلطفه يصيب الكفار والجاحدين بالمصائب والبلاء بأنواعه المختلفة في عالم الدنيا لعلهم يرجعون إلى الله بالتوبة من شركهم وجحودهم.

.....

.....

.....

.....

﴿إِنَّ الَّذِيـنَ اتَّقَـوْا إِذَا مَسَّـهُمْ طَائِـفٌ مِّـنَ الشَّـيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. (الأعراف، 201)

# 14 لماذا الشيطان؟

الرجوع لصفحة المحتويات

إن الشيطان اللعين يلعب -دون قصد- دورًا مساعدًا في إيصال البشر إلى الهدف الذي خلقهم الله من أجله، وإلا فإن الله الحكيم الجبار القادر اللطيف بعباده الذي سخَّر لنا ما في السماوات والأرض جميعًا وسخَّر الملائكة لخدمتنا ولإعدادنا للمقام السامي الذي خلقنا من أجله لم يكن يسمح للشيطان بأن يفسد عليه غرضه سبحانه وتعالى. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾. (الجاثية، 13)

إن محاولات الشيطان الشريرة لإغواء البشر والتزيين لهم تجعل كثيرًا من البشر أفضل مما كان يُفْتَرَض أن يكونوا عليه؛ لأنها تحفِّزهم، وتحرك فيهم العقل والإرادة وقوى النفس الكامنة فيهم للدفاع عن أنفسهم وحياتهم في هذه الدنيا قبل الآخرة.

والنتيجة أن أعدادًا كبيرة من البشر يستحقون دخول الجنة، وأعدادًا أكبر يستحقون مقامات لم يكونوا ليصلوا إليها لولا التحديات والاستفزازات التي يمارسها الشيطان لإغواء البشر.

الأمر أشبه بالتطعيم الذي نلقح به أطفالنا لتفرز أجسامهم أنواع المقاومة المختلفة تجاه المرض الملقح منه؛ ما يؤدي إلى تقوية أجهزتهم المناعية، ويحصِّنهم ضد الأمراض التي نتوقع أن يواجهوها.

بل إن المعاصي التي يرتكبها الإنسان بين الفينة والأخرى أشبه بالأعراض المختلفة التي يصاب بها من نحقنهم باللقاح مثل ارتفاع الحرارة وغيرها؛ فهي بالرغم من أنها غير مرغوب بها، لكنها إنما تحدث لأن أجسامهم تقاوم اللقاح، وهكذا الأمر معنا عندما تفرز نفوسنا أنواع المقاومة تجاه إغواءات الشيطان.

لقد ردَّ الله عزَّ وجلَّ على الشيطان اللعين بقوله سبحانه: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر 41-42)، وذلك عندما قال الشيطان لله عزَّ وجل: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. (الحجر 39-40)

يذكر السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يقول للشيطان: إن عبادي -أي: البشر- لا سلطان لك عليهم، وهذه هي القاعدة، وهذا هو الأصل.. أمّا سلطانك فإنما يتحقق بشكل استثنائي فقط على أولئك الذين يتبعونك من الغاوين، وهم أولئك الذين تتمكن منهم ممارساتهم السلبية في حياتهم إلى درجة أنهم يصح أن يطلق عليهم "غاوين"!، ولأنهم غاوون فإنهم يتبعونك.

من الخطأ أن نحكم على الناس من منظور محدود، فإذا كان أحدهم يمارس محرمًا أو أكثر -والعياذ بالله- كأن يكذب أو يسمع الأغاني أو ما شابه فإننا نعده قد استولى الشيطان عليه وتحكَّمَ به، ولكننا لا ننظر إلى الأعمال الصالحة التي يمارسها ولم يستطع الشيطان أن يصرفه عنها، وهي أكثر بكثير من سيئاته، فنحن لا ننظر مثلًا إلى الجهد الذي يبذله في الدراسة، أو الكدِّ على عياله، أو خدمة أهله ومجتمعه، أو لطفه وبشاشته، إلى غير ذلك من السلوكيات الإيجابية والمرضية لله.

ولا يصح عندما نجد عملًا فنيًّا رائعًا به بعض الأخطاء أن نحكم بأنه قبيح وشنيع.

وَرَدَ في الحديث أن أصحاب الرسول ﷺ قالوا: "يا رسول الله، نخاف علينا النفاق"، فقال ﷺ: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجِلنا ونسِينا الدنيا وزهدنا حتى كأنّا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحوّل على الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنّا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقًا؟ فقال لهم الرسول ﷺ: كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغِّبُكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقًا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم، إن المؤمن مُفْتَتَن تواب. أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، 222)، وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. (هود، 52)

# أسئلة التقييم
## القسم الأول | الدرس 14

1. ينهانا الله بشدة عن اتباع خطوات الشيطان؛ لأنه عدو مبين للإنسان. استخرج من القرآن الكريم الآيات الأربع التي ورد فيها ذكر "خطوات الشيطان" - مع ذكر اسم السورة ورقم الآية - خلال سبع دقائق.

الآية:.....

.....

.....

رقمها: ..... اسم السورة: .....

الآية:.....

.....

.....

رقمها: ..... اسم السورة: .....

الآية:.....

.....

.....

رقمها: ..... اسم السورة: .....

الآية:.....

.....

.....

رقمها: ..... اسم السورة: .....

# القسم الثالث

## الممارسات الإسلامية

الرجوع لصفحة المحتويات

# 15

# ما هدفك في الحياة؟

﴿مَّـن كَانَ يُرِيـدُ ثَـوَابَ الدُّنْيَـا فَعِنـدَ اللَّـهِ ثَـوَابُ الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ وَكَانَ اللَّـهُ سَـمِيعًا بَصِيرًا﴾. (النساء، 134)

الرجوع لصفحة المحتويات

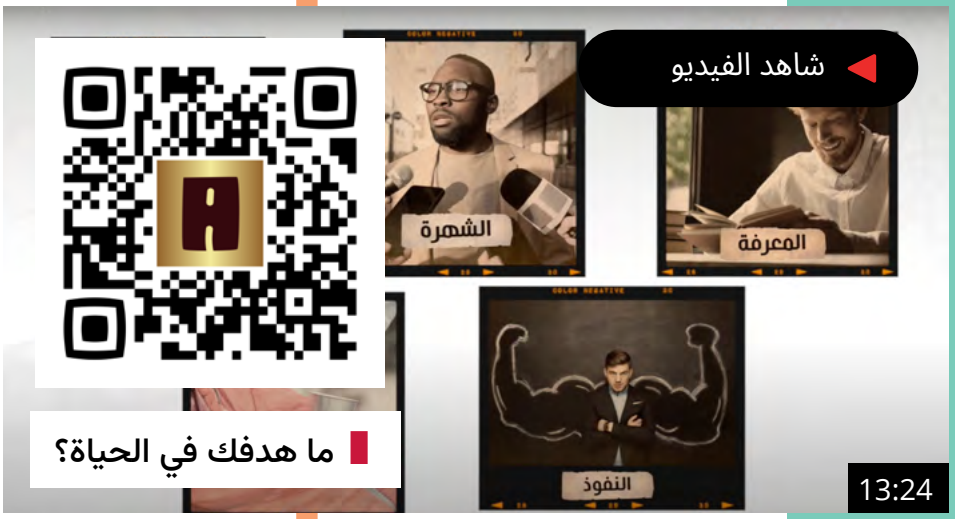
شاهد الفيديو
الشهرة
المعرفة
النفوذ
ما هدفك في الحياة؟
13:24

يذكـر الدكتـور روبـرت والدينجـر -وهـو طبيـب ومحلـل نفسـي فـي كليـة الطـب بجامعـة هارفـارد، ومديـر دراسـة هارفـارد لتنميـة البالغيـن- أن هناك دراسـة أجريـت مؤخـرًا على جيـل الألفيـة سـئلوا فيهـا عـن أكثـر أهـداف حياتهـم أهميـة، فأجـاب أكثـر مـن 80% منهـم بـأن هدفهـم الأسـاس فـي الحيـاة أن يصبحـوا أغنيـاء، و50% قالـوا إن هدفهم الرئيس الآخر أن يصبحوا مشهورين[5].

نحـن نبحـث عـن النجـاح فـي تحقيـق الثـروات وبلـوغ المناصـب العليـا والشـهرة والنفـوذ لأننـا نبحـث فـي الحقيقـة عـن السـعادة والطمأنينـة والإحسـاس بالقـوة، ولكـن، هـل يجلـب المـال والغنى والثروة السعادة حقًّا؟

يذكـر رافائيـل بادزيـاج فـي كتابـه "سـر المليـار دولار" أنـه بعـد بحـث اسـتغرق سـت سـنوات ومقـابلات أجراهـا مـع 21 مليارديـرًا عصاميًّـا فـي الإجابـة عـن السـؤال "هـل المليارديـرات سـعداء؟"وجد أن المـال بحـد ذاتـه لا يغيـر فـي قـدرة المـرء على أن يكـون سـعيدًا، إنـه فقـط

5 https://youtu.be/wGXSbZ7ipMk

يضخِّم من شخصيته؛ بمعنى أن الناس السعداء يصبحون أكثر سعادة، ويصبح التعساء بائسين عندما يصبحون أثرياء[6].

فإذا كان المال لا يسبب الشقاء إلا للأشقياء بطبيعتهم، فما الضير في السعي خلفه ما دام يحقق استمتاعًا وسعادة أكبر لمن يعرف كيف يقتنص السعادة؟

تجيب دراسة هارفارد التي أجريت على 4,000 مليونير وأجراها دونيلي ونورتون أن المال يُسهِم في السعادة بتلبية الاحتياجات الأساسية، ولكن فوق مستوى معين لا ينتج عن مزيد من المال مزيد من السعادة[7].

من جهة أخرى فإن تحقيق الثروة لا يأتي إلا بصعوبة بالغة، ويتطلب استثمارًا ضخمًا في الوقت والطاقة والجهد، ويعني تكريس عقود من حياتك والعمل لساعات وأيام طويلة على مدار الأسبوع على حساب حياتك الخاصة والعائلية، وهذا يعني عدم القدرة على أخذ إجازة أو قضاء وقت فراغ، كما أنه يمثل عبئًا ضخمًا من المسؤولية والتوتر.

كل هذا يأتي على حساب الأشياء الحقيقية التي تحقق لك السعادة والطمأنينة وراحة البال، وربما يكون من أهمهما العلاقات الاجتماعية مثلًا.

كما كشفت دراسة هارفارد لتنمية البالغين -التي امتدت على مدار 75 عامًا، وركزت على النواحي الجسدية والنفسية لمجموعتين من السكان بلغ عددهم 724 كما يذكر مدير الدراسة الدكتور روبرت والدينجر- أن الشيء الذي يفوق كل الأشياء الأخرى في الأهمية هو العلاقات الجيدة. يقول فالدينجر: "إن أوضح رسالة نتلقاها من هذه الدراسة التي استمرت 75 سنة أن العلاقات الجيدة هي التي تجعلنا بصحة حسنة وسعداء في الحياة"، فـ"السعادة لا تتعلق بعدد المؤتمرات التي تحدثت فيها، أو عدد الإعجابات التي حصلت عليها في وسائل التواصل

6 Rafael Badziag, Contributor, Aug 31, 2019, https://www.businessinsider.com/traits-habits-that-make-billionaires-happy-2019-8

7 https://www.inc.com/peter-cohan/will-10-million-make-you-happier-harvard-says-yes-if-you-make-it-yourself-give-it-away.html

الاجتماعي، أو عدد الشركات التقنية التي عملت بها، أو مقدار ما بذلته من جهود.. "، ويمضي فالدينجر قائلًا: "الأهم من كل ذلك أن أكبر مؤشر فعلي للسعادة في حياة الإنسان يكمن من الحب[8].

والأسوء من ذلك أنه إذا تمكن هوس حب المال أو الشهرة أو ما شابه فإنه يتحول إلى إدمان لا حد ولا إشباع له، مثل الذي يشرب من ماء البحر فلا يرتوي وإنما يزداد عطشًا إلى عطشه، وقد رُوِيَ عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثًا".

في المقابل نجد أن كل ما نحتاج إليه لنشعر بالرضا من هذه الناحية هو أن نتسم بالقناعة، وهي صفة قد يصعب على بعض منا اكتسابها، لكنها تبقى أسهل بكثير -ومن دون أدنى مقارنة- من الجهد الذي نحتاج بذله لاكتساب الملايين، هذا إن نجحنا في اكتسابها، على أن نسعى لتوفير ما يوفر لنا الحد المناسب للمعيشة والاحتياجات الإنسانية بكرامة وبما يليق بنا، من دون بذخ وإسراف وتبذير، لنصرف باقي جهودنا فيما يحقق لنا إنسانيتنا وسعادتنا.

قد يظن البعض أن الأمر نسبي، فقد تكون السعادة والنجاح لك متمثلة في الثروة، وتكون لآخر في الشهرة، ولثالثٍ في المعرفة، ولرابعٍ في العطاء، ولخامس في النفوذ، وهلم جرًّا.

ولكن هل الأمر هكذا فعلًا؟ وهل النجاح نسبي من شخص إلى آخر؟ أم أن هناك حقيقةً تكوينيةً صارمةً واقعيةً تحدد كيفية تحقيق السعادة لأي إنسان كائنًا من كان مثلها في ذلك مثل حقيقة أن الجائع لا بد له من الأكل ليشبع، سواء كان الأكل خضروات أم لحمًا أم خبزًا أم غير ذلك؟

كثيرٌ منا من يسعى بكل جهده ليحقق نجاحًا يتراى له، وحين يحققه لا يشعر بالسعادة والاكتفاء، بل يبحث عن نجاح آخر ليروي ظمأه ونهمه، ويظل هكذا يقفز من نجاح إلى آخر، غير أن الإحساس بالخواء والظمأ لا يبرحه، وكأنه

8 https://youtu.be/wGXSbZ7ipMk

يركـض وراء سـراب، إلى أن تفلـت الحيـاة مـن بين يديه.

إن ظاهـرة الانتشـار الهائـل للاضطرابـات النفسـية وقلـة وجـود السـعداء والراضيـن عـن حياتهـم هـو أمـرٌ يـدل بوضـوح على أن تحقيـق السـعادة ليـس مسـألةً نسـبيةً، وإنمـا هنـاك حقيقـةٌ خارجيـةٌ واقعيـةٌ، وغفلتنـا عنهـا تسـبب لنـا هـذا التخبـط الـذي نعيشـه، كمـا تسـبب انتشـار الاضطرابـات النفسية.

فقـد ارتفعـت معـدلات الاكتئـاب فـي الولايـات المتحـدة فـي عـام 2021، حيـث بلغـت 32.8% مـن البالغيـن الأمريكييـن، كمـا وجـدت إحصائيات عـام 2020 أن 21% مـن البالغيـن الأمريكييـن يعانـون مـن مـرض عقلي/نفسـي [9]، وواحـد مـن بيـن كل ثلاثـة مـن اليافعيـن الأمريكييـن (18 – 25) يعانـي مـن مـرض عقلي/نفسـي حسـب إحصائيات 2020 [10].

9 National Alliance on Mental Health, https://www.nami.org/mhstats

10 https://www.nami.org/mhstats

كمـا أن الارتـواء لا يأتـي إلا مـن المـاء العـذب وليـس المالـح مـثلًا، والشـبع إنمـا يأتـي مـن الأكل، فكذلـك السـعادة والنجـاح إنمـا همـا محكومـان بقوانيـن طبيعيـة تكوينيـة صارمـة، ولكـي ندركهمـا نحتـاج إلى الخضـوع لهـذه القوانين الطبيعيـة، وهـذا مـا نحـاول تبيانـه ومعالجتـه فـي هذا الكتاب.

وبـخلاف الغالبيـة العظمـى مـن حاجـات الإنسـان، فـإن القوانيـن التـي تتحكـم فـي تحقيـق الإنسـان السـعادة والطمأنينـة والنجـاح تمتـد لتشـمل كل حيثيـات حياتـه على مـدار 24 سـاعة كل يـوم سـبعة أيـام فـي الأسـبوع، وتتداخـل مـع كل أنشـطة حياتـه، مـن نومـه، ويقظتـه، ومهنتـه، وحياته الأسرية، وغيرها.

تعالـوا نفهـم مـا "السـعادة التـي نبحـث عنهـا" لنسـتطيع بنـاء على ذلـك معرفـة الطريـق إليها، ولا نقع أسيري الأوهام والقوالب الجاهزة.

بدايـة يجـب أن يكـون واضحًـا لدينـا أن السـعادة غيـر الفـرح، وأنهـا لا تضـاد الحـزن، وإنمـا تضـاد الشـقاء، فالمرء قد يكون سعيدًا وهو حزين.

فالفـرح والحـزن حالتـان طارئتـان يشـعر بهمـا الإنسـان نتيجـة التفاعـل مـع العوامـل الخارجيـة، فتشـعر بالفـرح عندمـا تحقـق نتيجـة جيـدة فـي العمـل أو الدراسـة مـثلًا، أو عندمـا تحصـل على هديـة تعجبـك، أو عندمـا تلتقـي إنسـانا تحبـه لـم تلتقـه منـذ زمـن طويـل، وتشـعر بالحـزن عندمـا تسمع خبرًا مؤلمًا أو ما شابه.

فهمـا أمـران غريزيـان فـي الإنسـان يصـدران بشـكل عفـوي تلقائـي نتيجـة تفاعـل عقلـه الباطـن وطبيعـة شـخصيته مـع الحـدث الخارجـي، وبذلـك فهمـا مؤشـران جيـدان لمعرفـة شـخصيتك وخصوصياتهـا، وقـد يكونـان مذمومين إذا كشـفا عـن شـخصية ضعيفـة سـيئة ماديـة مـثلًا، ويكونان ممدوحيـن إذا كشـفا عـن شـخصية قويـة معطـاءة نبيلة.

بينمـا السـعادة -كمـا يعرفهـا مايـكل أرجايـل فـي كتابـه سـيكولوجية السـعادة- فهـي: "الشـعور بالرضـا والإشـباع، وطمأنينـة النفـس، وتحقيـق الـذات، والشـعور بالبهجـة واللـذة والاسـتمتاع، وهي (باختصار): الشعور بالرضا الشامل".

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود، 105)، "فسعادة كل شيء أن يُنال ما لوجوده من الخير الذي يكمل بسببه ويلتذ به، فهي في الإنسان -وهو مركب من روح وبدن- أن ينال الخير بحسب قواه البدنية والروحية فيتنعم به ويلتذ، وشقاوته أن يفقد ذلك ويحرم منه"[11].

السعادة حال نفسية راسخة في الإنسان، تتحدد شدة وضعفًا بشكل تراكمي نتيجة كثير من المعطيات الداخلية والخارجية من خلال حركة الإنسان في هذه الحياة، وترتبط طرديًّا بالطمأنينة التي يشعر بها الإنسان "النفس المطمئنة". قال تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. (الفجر 27-28)

فكيف يمكن الإنسان أن يحقق السعادة والطمأنينة؟ هذا ما سنتناوله في الدروس القادمة، ولكن قبل ذلك من المهم أن نفهم مدى تداخل الواقعية والوهم في حياتنا وتأثيرهما في تحقيق سعادتنا.

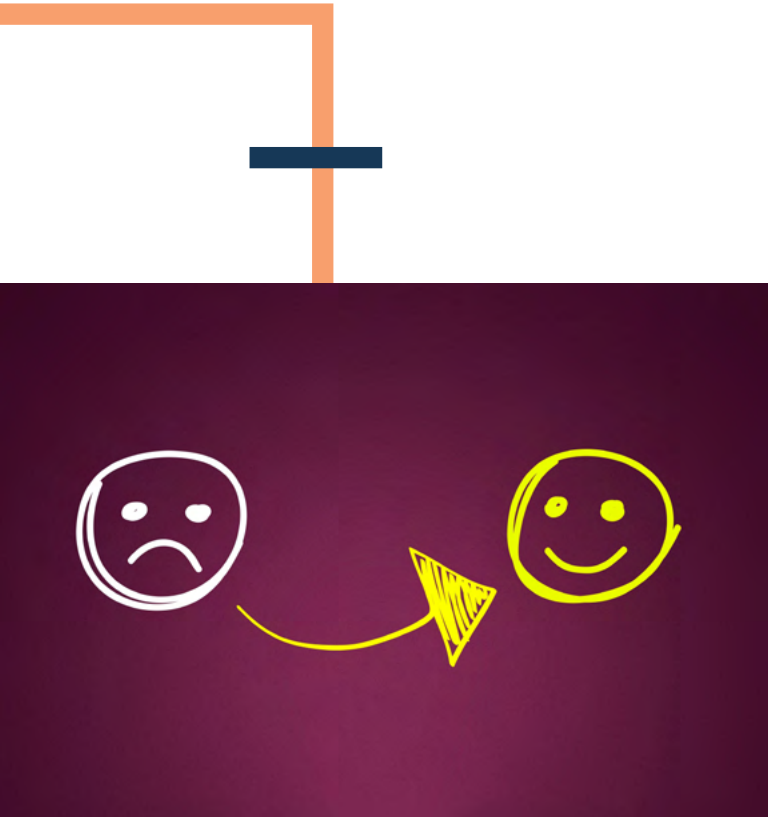

11 الميزان في تفسير القرآن

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 15

1. أستدل بآية من القرآن (غير التي وردت في الدرس) بأن السعداء هم أهل الجنة.

.....

.....

2. وردت في القرآن 25 آية تدل على أن الفوز الحقيقي في الاستقامة على درب الله بما تقتضيه من البعد عن جهنم ودخول الجنة. استخرج من القرآن الكريم 5 آيات منها غير التي وردت في الدرس.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

# 16

# الواقعية في الحياة

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. (النساء، 120)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
المستوى من الواقعية
الواقعية في الحياة
10:25

لا شك أن القناعات الراسخة في أذهاننا تتحكم في نظرتنا للحياة وسلوكياتنا فيها، وتحدد بشكل كبير مقدار سعادتنا أو شقائنا. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء، 84)، لكن: إلى أي مدى يتداخل الوهم مع الواقع في تشكيل هذه القناعات الراسخة لدينا؟ هذا ما سنناقشه في هذا الدرس.

يذكر الدكتور بروس ليبتون [12] أن ما يزيد عن ثلث الأدوية التي نتعاطاها للعلاج أدوية وهمية غير حقيقية، لكنها تساعد في الشفاء فقط بسبب إيمان المريض بها، واطمئنانه إلى قدرتها على شفائه، وهذا أمر معروف في الطب، ويطلق عليه تأثير الدواء الوهمي (Placebo effect)، وتتجلى هنا قدرة الأفكار والعقائد التي نؤمن بها حتى وإن كانت وهمية وغير حقيقية.

وهذا الأمر يسري على الأفكار السلبية كما يسري على الأفكار الإيجابية، فلو آمنت بوجود مرض فيك فإنك ستشعر بأعراضه، بل ربما تموت جراء هذا الإيمان رغم كونه غير حقيقي كما يذكر الدكتور بروس ليبتون.

إن كثيرًا من حاجاتنا الملحة التي تدفعنا في الحياة ونظن أن تحقيقها يحقق لنا السعادة مجرد أوهام أو حقائق مشوهة ومزيفة بالأوهام، سواء كانت هذه الحاجات مرتبطة بشهواتنا أو بمشاعرنا وانفعالاتنا.

هذا التزييف إنما هو من فعل النفس الأمارة بالسوء ومن تزيين الشيطان. تأمل قول الشيطان لرب العالمين: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. (الحجر، 39)

إننا نستخف بالأطفال والمراهقين عندما نجدهم يستميتون في الألعاب رغبة في تحصيل الدرجة العليا كأنها كل الحياة، ثم نمجِّد الملياردير الذي يضاعف رصيده في البنك. إن الوهم يدفع صاحب الثروات للاستماتة لزيادة

12 الدكتور بروس هارولد ليبتون، عالم أحياء تنموي أمريكي.

رصيده في البنك؛ لأنه عمليًّا لا يملك هذا الرصيد، وإنما يملكه البنك، وبذلك فهو ليس أكثر قيمة من الدرجة التي يحققها الأطفال في لعبة "بلاي ستيشن".

الوهم يجعلنا نشعر عند لقائنا بشخصية عامة معروفة -كوزير أو رئيس دولة- بالعظمة، كما يدفعنا إلى لبس الماركات والبذخ بداعي المباهاة والمفاخرة والشعور بقيمة الذات. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾. (النجم، 23)

بل إن إحساسنا بالشهوات مشوه بالأوهام، فقد يكون إحساس الرجال بالشهوة الجنسية مضاعفًا بسبب الوهم الراسخ داخله بأن الجنس رمز للرجولة والقوة، وبسبب التسليم والإذعان الداخلي بأن الجنس يسبب لذةً عظيمةً جدًّا لا تضاهيها لذة.

هذا ما يريد الشيطان أن نقع فيه ويحذرنا الله منه، تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف، 103، 104)، وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. (الحديد، 20)

وتكمن أهمية إدراك هذه الحقيقة في كون الواقع هو الواقع، وأن الوهم لا يصبح حقيقةً وواقعًا بمجرد تصورنا له، ويمكنك أن تتخيل بقدر ما تشاء أن النار باردةٌ لكنها ستبقى حارقةً، وإذا وضعت فيها يدك ستحرقها حتى لو أوهمت نفسك بغير ذلك!

إن إدراكنا للواقع كما هو يمكِّننا من التعامل معه بحكمة واتزان لتعظيم منافعنا واستمتاعنا في الحياة وتقليص آلامنا، وللأسف الشديد فنحن بقدر ما نتخيل كثيرًا من الأوهام واقعًا ونتعامل معها على الأساس وهي ليست سوى سراب وزيف، فإننا في المقابل نغفل عن

كثير من الحقائق الواقعية التي تحيط بنا وتحكم حركتنا، بل ربما يعدها الكثيرون منا مجرد أوهام وخيالات.

فعالما الغيب اللذين سننتقل إليهما -البرزخ، والآخرة- عالمان واقعيان وموجودان الآن ومحيطان بنا، ونحن نُشَكِّل بشكل مباشر مصائرنا فيها بإراداتنا وأفعالنا في الدنيا، وعما قريب سنتجه لها، هذا واقع لا يمكن تجاهله أو نسيانه، وإلا عُدَّ من الحمق.

تصور مثلًا أن أحدنا يركب طائرة متجهًا إلى بلدٍ ما متعمدًا ألا يأخذ جواز سفره معه، هذا الشخص نعده أحمق؛ لأنه سرعان ما سيصل إلى وجهته، ولن يسمح له بالدخول من دون جواز السفر، ونحن كذلك متجهون إلى الجنة، وقريبًا سنصل إلى وجهتنا شئنا أم أَبَيْنَا، وعندها إن لم نكن نحمل جواز المرور فلن يسمح لنا بدخولها.

إن الله -عزَّ وجلَّ- لا يخلو منه زمان أو مكان، بل هو فوق الزمان والمكان، بل هو أقرب إلينا من أنفسنا. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. (ق، 16)

الله واقع، بل هو الواقع، وما نحن سوى تجلياته ومخلوقاته، فكيف يمكن أن تعمى بصائرنا عنه سبحانه وتعالى؟ تأمل ما رُوِيَ عن الإمام الحسين (ع) في دعائه يوم عرفة: "إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟".

وفي قصة العبد الصالح مع نبي الله موسى (ع) ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف، 82) يظهر بوضوح أن إرادة الله ورعايته لعباده وقضائه لحوائجهم ودفع البلاء عنهم موجودة واقعًا، وأنها كثيرًا ما تجري على أيدي أناس من دون إعجاز ليُعْلِمَنا الله أن المدد الإلهي متداخل بشكل طبيعي وسلس مع القوانين الطبيعية التي تحكم حياتنا وتسيِّرها لتحقق لنا مبتغانا ومقصدنا الحقيقي فيها وفق القانون الذي وضعه الله سبحانه وتعالى. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾. (الإسراء 18-19)

إن عـدم انتباهنـا لهـذا الواقـع يجعلنـا لا نـدرك قيمـة أجمـل الأشـياء المتاحـة أمامنـا وأعظمهـا، ويحرمنـا مـن أن نـذوق لذتهـا وعظمتهـا ولـذا نبتعـد عنهـا بشـكل تلقائـي، وإلا، فكيـف يمكننـا ألا نشـعر بمـدى عظمـة وروعـة أن يكـون لنـا اتصـالٌ حقيقـيٌّ (لا وهمـي) مباشـرٌ ومسـتمر مـع القـوة المطلقـة والجمـال المطلـق والعظمـة المطلقة "الله جلَّ جلاله"؟

وكيـف لا يسـبب لنـا اتصالنـا الدائـم بالله واتصال الله الدائـم بنـا الشـعور بالسـعادة والقـوة والطمأنينـة مـع أن الله هـو الوجـود بذاتـه، وهـو الجمـال، وهـو العظمـة، وهـو القـادر على كل شـيء، وهـو مَـنْ خلَقَنـا وخَلَـق كل شـيء؟ "إلهـي، عمِيـتْ عيـنٌ لا تـراكَ عليهـا رقيبًـا، وخسـرتْ صفقـةُ عبـدٍ لـمْ تجعـلْ لـه مِـنْ حُبِّـك نصيبًـا" (دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة).

كيـف لا نلتـذُّ ولا نشـعر بروعـة علاقتنـا مع الرسـول الأعظـم ﷺ وأهـل بيتـه ﷺ الذيـن جعلهـم الله لنـا السبيل إليه؟!

إن إدراكنا وفهمنا لهذا الواقع وتعاملنا معه باعتباره واقعًا يغير حياتنا كلها دنيا وآخرة، ويجعل لها معنى وطعمًا مختلفًا وجميلًا يفوق كل وصف، وهذا ما يدعونا إليه الرسول الأكرم ﷺ في دعائه: "ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا"، وهذا ما يدعونا إليه الإمام علي (ع): "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا".

إن السير والسلوك إلى الله يقتضي منا تمييز هذه الواقعية وفهمها والتعامل معها على هذا الأساس. في الحديث المروي عن الرسول الأعظم ﷺ: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ". (البحار- ج2 - ص32)

إن الآلية الأكثر فاعلية لتطوير قدرتنا على تمييز الواقعية تكمن في التفكر والتأمل المستمرين سواء في الكون والوجود أو في العلاقات الاجتماعية الإنسانية من حولنا أو في داخل أنفسنا وما يعتمل فيها من مشاعر وانفعالات وما يصدر عنها من سلوكيات وما تصل إليه من نتائج وقرارات.

ولأن الواقعية المحيطة بنا تتشكل في معظمها من الغيب، ولأن الإنسان محدود المعرفة والقدرة ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء، 85)، فلا يمكن لنا تمييز الواقعية من دون التأمل في القرآن العظيم والأدعية الواردة إلينا من مصادرها الصحيحة عن الرسول الأعظم ﷺ وأئمة أهل البيت (ع).

والآن تأمل هذه الآيات القرآنية الرائعة من سورة القصص، وهي تطرح مفهوم الواقعية في لوحة معبّرة تحكي قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (القصص- 79-83)

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 16

1. هناك آيات قرآنية عديدة تؤكد حقيقة أن حياة الدنيا لعب ووهم وخديعة، وأن العالم الحقيقي والواقع هو ما بعد عالم الدنيا (عالم الغيب)، ومنها الآية الواردة في الدرس.

   غير أن هناك آيتين أخريين في القرآن يخاطب الله بهما عموم الناس بشكل مباشر وينبههم إلى هذه الحقيقة الواضحة ويحذرهم من تجاهلها. اذكر هاتين الآيتين -مع ذكر اسم السورة ورقم الآية- خلال عشر دقائق.

   الآية:.....

   .....

   رقمها: ..... اسم السورة: .....

   الآية:.....

   .....

   رقمها: ..... اسم السورة: .....

﴿يَـا أَيُّهَـا الْإِنسَـانُ إِنَّـكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّـكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6)

# 17

# السير إلى الله

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
فطرة الإنسان
هي الباعث الحقيقي وراء
الرغبة في الابتكار والإبداع
السير إلى الله
12:19

بالعودة إلى السؤال الذي طرحناه من قبل: "ما الهدف في الحياة؟" وكيف يمكن للإنسان أن يحقق لنفسه السعادة والطمأنينة؟

إن السعادة والطمأنينة وجهان لعملة واحدة، ويعبران عن مدى اتسام الإنسان بالصدق الذاتي مع نفسه، أو بعبارة أخرى: مدى انسجام كل سلوك وحركة تصدر من الإنسان نحو إشباع حاجاته وغرائزه الطبيعية (الجسد)، وكل ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس (القلب)، وتفكيره ومعرفته ومعتقداته ومنظوراته ورؤاه في الحياة (العقل) مع روحه وفطراته التي أودعها الله فيه (الروح).

فالبحث عن الحقيقة (حب الاستطلاع) والنزوع إلى الأخلاق والتمسك بها والنزوع إلى الجمال بأوجهه المختلفة والرغبة في الابتكار والإبداع والبحث عن الحب والانتماء جميعها تنبع من فطرة الإنسان، وحقيقتها تكمن في أن الإنسان مكون من جسم وروح. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر 28-29)، فالعناصر الطبيعية

في الإنسان تميل به نحو الطبيعة وتربطه بها، والعناصر غير الطبيعية فيه تميل به نحو ما وراء الطبيعة وتربطه بها [13].

من هذه الفطر الإنسانية النزعة واللهفة نحو التكامل والارتقاء والعظمة، وهو ما يدفعنا إلى التخلق بأخلاق الله، والسير إليه سبحانه، والقرب منه عز وجل. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾. (الروم، 30)

13 كتاب الفطرة، الأستاذ مرتضى المطهري

إذًا فالطريق لتحقيق السعادة والطمأنينة والاستزادة منهما يكمن في السير والتطور في درب الصدق الذاتي "السير إلى الله" حتى يبلغ الإنسان مرحلة الصديقين، فكلما ازدادت الأبعاد الأربعة لشخصية الإنسان (الجسد والعقل والقلب والروح) انسجامًا وتوافقًا فيما بينها اتسمت شخصيته بالبساطة والقوة والطمأنينة والعظمة والرضا والقرب من الله حتى تبلغ مرحلة الصديقين، وهي المرحلة التي لا يعود فيها أي اختلاف مطلقًا بين هذه الأبعاد الأربعة، وتكون حاكية عن بعضها البعض بشكل مطلق وتام. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾. (مريم، 41)

## ولكن، كيف يمكن السير والتطور في درب الصدق الذاتي "السير إلى الله"؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ﴾ (الإسراء، 12). لقد أنشأ الله مسارين مترابطين متكاملين لسير الإنسان في درب الصدق الذاتي وتطويره وإعداده لحياة النعيم الخالدة: منهاج تشريعي متمثل في الشريعة الإسلامية، وآخر تكويني؛ حيث جعل الليل مظلمًا ليسكن الإنسان فيه، وجعل النهار مضيئًا مبصرًا ليسعى ويكدح فيه طلبًا للرزق والأمان وقضاء حاجاته الإنسانية الأخرى (المعبر عنها بفضل الله).

ولتحقق غايتك الوجودية المتمثلة في القرب من الله وعبوديته وتحقق السعادة والقوة والطمأنينة عليك أن تجمع بين المنهجين كليهما بقوة معًا، فكما لا يمكن أن تفوز في لعبة كرة القدم دون أن تلعبها بقوة وفق القوانين المشرعة جاعلًا الفوز بالبطولة نصب عينيك، كذلك لا يمكن أن تفوز في الحياة الدنيا ما لم تعشها بقوة وفق التشريع الإلهي جاعلًا الفوز برضا الله نصب عينيك.

إن السير والارتقاء في درب الصدق الذاتي ليس سوى تصحيح معتقداتك وأفكارك ونظرتك للحياة لتنسجم وتتوافق مع الفطرة المغروسة فيك، وممارسة ما يعزز هذه المعتقدات والأفكار الصحيحة وتجنب ما يزعزعها، وحماية نفسك بممارسة التولي والتبري، وتعقيم البيئة المحيطة بك ما أمكن سواء

على مستوى حواسك الخمسة أو على مستوى الفكر والمشاعر، وممارسة الإصلاح. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسان لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (العصر، 1-3)

تأمل قوله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة، 257)، والله نور السماوات والأرض.

إن بلوغ مرحلة الصديقين يعني التحرر من كل الأغلال التي تحيط بك، ومن كل الظلمات والمشاعر السلبية كالإحباط والخوف والقلق، ومن الضعف والخور، بل من عبوديتك لنفسك؛ فلا يبقى لشيء في الدنيا -مهما عَظُم أو صَغُر- أثرٌ عليك، وإنما تكون خاضعًا منصاعًا بكلك لله ومتفانيًا فيه عزَّ وجلَّ، فتصل بذلك لمعدن العظمة والقوة والجمال، وهو نفسه معنى العبودية لله عز وجل كما مر علينا في الدرس "ماذا يعني القرب من الله؟".

ورد في المناجات الشعبانيّة عن الإمام علي (ع): "إلهي، هَبْ لي كَمالَ الانْقِطاعِ اِلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصارَ قُلُوبِنَا بِضِياءِ نَظَرِها اِلَيْكَ، حَتّى تَخْرِقَ أَبْصارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إلى مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ، وَتَصيرَ اَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ".

ذكرنا سابقًا في الدرس "ماذا يعني القرب من الله؟" أننا لتطوير أنفسنا إلى مستوى العبودية الكاملة لله نحتاج إلى العمل على تعظيم عنصرين اثنين؛ أولهما: مقدار عبوديتنا لله (متمثلًا في الملكات والقدرات والمواهب والصفات الوجودية التي نملكها)، وثانيهما: مدى إدراكنا التام شعوريًّا ولاشعوريًّا معرفيًّا وعاطفيًّا وسلوكيًّا لهذه العبودية.

لنستطيع تحقيق ذلك خلق الله الكون في نظام من الأضداد من الموت والحياة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (الملك، 2) ومن النقص والزيادة، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام، 1) والشر والخير، فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء، 35) لتخلق زخمًا وحركةً في الحياة تدفع الإنسان بشكل تلقائي من خلال حركته وكدحه فيها نحو التكامل والتطور والقرب منه سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق، 6) لنكون النسخ الفضلى من أنفسنا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وليخرجنا ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (البقرة، 257).

ولتسريع حركة الحياة من حولنا لتحقيق هذه الرسالة العظيمة خلقنا -جلَّ وعلا- تكوينًا ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ وجعلنا ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ (الحجرات، 257)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (المائدة، 48)، وفضَّل بعضنا على بعض. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام، 165)، وخلقنا ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، 4) بأبعادنا الأربعة: الجسد، والعقل، والقلب، والروح. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر، 29) حتى يمكننا الاستفادة من كل هذا الجدل والتضاد في الحياة من حولنا وفي أنفسنا. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس، 8) للتطور والتكامل والقرب من الله عز وجل.

ولذلك أيضًا سخر لنا الكون كله ليعيننا. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية، 13)، فجعل ما على الارض زينة لنا لتدفعنا للحراك في هذه الحياة نحو الله، ولتخلق لنا ما نحتاجه من الشغف في حياتنا لننطلق ونسعى فيها بقوة. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف، 7)، ثم أمرنا بالسعي فيها. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك، 15) لنحقق بذلك عبوديتنا لله والإذعان له سبحانه وتعالى. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، 56)، لنحقق بذلك أعلى درجات التكامل والقرب منه سبحانه، ونستحق أن نكون خلفاء الله. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. (البقرة، 30)

ولأننا شركاء في هذه الإستراتيجية ومنفذوها الرئيسون لم يخفها الله عنا، بل بيَّنها لنا بوضوح في كتابه الكريم، وأمرنا بالسعي فيها بكل ما أوتينا من قوة. ﴿فَفِرُّوا إلى اللَّهِ﴾ (الذاريات، 50)، والتسابق إليه سبحانه. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة 10-11)، والتنافس على ذلك. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين، 26) لنحقق النجاح والفوز العظيم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين 19-21) و ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة، 72)

# محاور السـير إلى الله

حدد الإسلام تشريعيًّا أربعة محاور متداخلة بسلوكنا إياها أثناء ممارسة حياتنا اليومية الطبيعية بجدية واتزان وفق الفطرة وتعاليم الإسلام وإرشادات العقل نظل نقترب إلى الله إلى أن نصل إلى مرحلة العبودية المطلقة له سبحانه، وهذه المحاور هي:

## السعي لإشباع حاجاتنا الجسمانية والنفسية بتوازن واعتدال:

المحور الأول هو السعي في هذه الدنيا لإشباع حاجاتنا الجسمانية والنفسية ولكن بتوازن واعتدال. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف، 32)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. (الملك، 15)

## تطوير ذواتنا ومعارفنا وقدراتنا:

والمحور الآخر هو تطوير ذواتنا ومعارفنا وقدراتنا. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة، 35)، وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

## إنكار الذات لأجل الله من خلال غَرْس ثقافة العطاء والإصلاح:

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران، 92)، ودعانا إلى حَمْل رسالة الخير والصلاح للبشرية جمعاء. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران، 110)

## ذكر الله وعبادته:

ويبقى ذكر الله وعبادته والارتباط به هو المحور الأساس للسير إلى الله. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (الجمعة، 10)

لكن الله سبحانه لم يكتف بدفعنا نحو هذه المحاور الأربعة نظريًّا من خلال التشريعات، بل أسس عددًا من الآليات والممارسات التي تقودنا نحو هذه المحاور، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة، 3)، بل قبل ذلك كله خَلَقَنا وخَلَقَ الكون بالشكل الذي يقودنا تلقائيًّا إليه سبحانه وتعالى. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية، 13) ما لم يختر الإنسان بإرادته أن ينحرف عن درب الله.

# الطـرق الموصلة إلى الله

كان مـا ذكرنـاه هـو المنهـج العـام، أمـا تطبيقاتـه -أو كمـا يُعبَّـر عنهـا بـ "الطـرق الموصلـة إلى الله"- فهـي بعـدد أنفـاس الخلائـق؛ فـكل إنسـان لـه تركيبتـه الخاصـة مـن نقـاط القـوة ونقـاط الضعـف والاسـتعدادات والصفـات التـي ورثهـا، كمـا تختلـف بيئتـه وتختلـف التحديـات والأحـداث التي يواجهها عن أي إنسان آخر.

وبالتالـي تختلـف الممارسـات التـي يحتـاج الفـرد منـا القيـام بهـا لتقربـه مـن الله وفقًـا لخصائصـه الشـخصية وخصائـص بيئتـه والتحديـات التـي يواجهها. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾. (النمل، 19)

إن السـير إلى الله -وإن تطلَّـب مجاهـدة النفـس- لذيـذٌ وممتـعٌ حقًّـا، وفـي المقابـل فإننـا نلاحـظ أن حيـاة الكثيريـن منا يشـوبها القلـق والخـوف والحزن والاكتئـاب والإحبـاط واليـأس والكثيـر من المشـاعر السـلبية الأخـرى، والسـير إلى الله يخلـص الإنسـان مـن هـذه الآفـات والمشـاعر السـلبية ويملـؤه بالطاقة والقوة والسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

السـير إلى الله أشـبه مـا يكـون بالرياضـة البدنيـة التـي يمارسـها بعـض منـا طلبًـا للصحـة واللياقـة، فالرياضـة فـي بدايـة ممارسـتك لهـا تشـعر أنهـا صعبـةٌ، لكـن سـرعان مـا تتعـود عليهـا وتشـعر أنهـا ممتعـةٌ، وتـرى أنـك لا تسـتطيع نفسـيًّا الاسـتغناء عنهـا رغـم كونهـا مجهـدةً، نـردد فـي مناجـاة المحبيـن للإمـام علـي زيـن العابديـن (ع): "إِلهِـي، مَـنْ ذا الَّـذِي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِـكَ فَـرامَ مِنْـكَ بَـدَلًا؟! وَمَنْ ذا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلًا؟!".

وكمـا أن ممارسـة الرياضـة تخلصنـا مـن كثيـر مـن المشـكلات الصحيـة والإحسـاس بالضعـف والخور والآلام الجسـدية، فكذلـك السـير إلى الله يخلصنـا مـن الآلام النفسـية والعقليـة بأشـكالها وأنواعهـا ويملؤنا سعادةً وحبورًا.

والأمـر المبهـج هنـا أننـا -بوصفنـا مسـلمين- نقـوم فـعلًا بالجـزء الأكبـر مـن الجهـد المطلـوب، متمثـلًا فـي الـصلاة والصـوم والصدقـة والشـعائر الدينيـة وعديـد مـن ممارسـاتنا الدينيـة اليوميـة، ولـذا فـكل المطلـوب منـا جهـدٌ إضافـيٌّ بسـيطٌ مـع نـوعٍ مـن الانتبـاه يمكِّننـا مـن مضاعفـة آثـار هـذه الممارسات الدينية التي نقوم بها فعلًا.

**نأتـي الآن إلى سـؤالنا المحـوري: كيـف نطـور أنفسـنا لنصـل إلى مسـتوى العبوديـة الكاملـة لله عزَّ وجل؟**

فـي الـدروس التاليـة سـنناقش كيفيـة تعظيـم هذيـن العنصريـن، ليـس بشـكل ينسـجم مـع الواقـع اليومـي المزدحـم للإنسـان الـكادح فـي هـذه الحيـاة فحسـب، بـل يرتقـي بـه وبأدائـه كذلك ليحقق له السعادة والطمأنية والسكينة.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 17

**حـدد -خلال عشـرة دقائـق- المحـور الأكثـر ملاءمـة مـن محـاور سـيرنا إلى الله لـكل نـص من النصوص الشرعية التالية:**

1. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. (الإنسان 8-9)

2. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. (الملك، 15)

3. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

4. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر، 9)

5. ورد عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال لأصحابه لما رجعوا من الغزو: (رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر)، قالوا: وهل هناك جهاد أعظم من جهاد الكفار؟ قال: (نعم. جهاد النفس).

6. ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران، 92)

7. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. (البقرة، 200)

8. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة، 35)

9. ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف 31-32)

10. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران، 191)

11. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران، 110)

12. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. (البقرة، 172)

13. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (الجمعة، 10)

14. ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. (النحل، 114)

15. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. (النازعات 40-41)

16. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف، 32)

# 18

# مبادئ السير إلى الله

﴿قُـلْ إِن كُنتُـمْ تُحِبُّـونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِـي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. (آل عمران، 31)

الرجوع لصفحة المحتويات

## الدافعية للسير إلى الله "حب الله":

إن حـبَّ اللّٰه والتوجـهَ إليـه وعبوديتَـه أحـدُ أعظـم الدوافـع الفطريـة الداخليـة التـي تحركنـا فـي هـذه الحيـاة. ﴿فَأَقِـمْ وَجْهَـكَ لِلدِّيـنِ حَنِيفًـا ۚ فِطْـرَتَ اللَّـهِ الَّتِـي فَطَـرَ النَّـاسَ عَلَيْهَـا﴾ (الـروم، 30)، لكـن بسـبب إخفاقنـا فـي تمييـز الواقعيـة فـي العالـم المـادي المحيـط بنـا وتحكـم شـهواتنا وغرائزنـا الحيوانيـة ووسوسـة الشـيطان لنـا قـد لا نسـتطيع الشـعور بهـذه الدافعيـة بشـكل واضـح، بـل تنعكـس فـي أعماقنـا فـي صـور عديـدة ماديـة، كحـب الكمـال والقـوة والخيـر والجمـال، والتعلـق بأولياء اللّٰه بسبب قربهم منه سبحانه وتعالى.

بـل إن هـذه التجليـات الماديـة "الروحانيـة" للدافعيـة العظمـى قـد تتجسـد فـي معظـم الأحيـان فـي شـكل دوافـع أكثـر ماديـة -كحـب المـال والمنصـب والنفـوذ- لتـتلاءم مـع مسـتوانا المـادي، بينمـا تبقـى النفـوس الراقيـة مـن البشـر متعلقة بتلك الدوافع المادية الروحانية.

هنـا تتـجلى بوضـوح أهميـة تمييـز الواقعيـة فـي حياتنـا؛ فبمقـدار معرفتنـا باللـه وإدراك واقعيتـه وكونـه مصـدر كل غنـى وكمـال وقـوة ووجـود -بينما نحـن والكـون كلـه ذات النقـص والفقـر- تتوقـد فـي أعماقنـا الدافعيـة إلى اللّٰه والتوجـه إليـه سـبحانه. ﴿يَاأَيُّهَـا النَّـاسُ أَنتُـمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللَّـهِ ۖ وَاللَّـهُ هُـوَ الْغَنِـيُّ الْحَمِيـدُ﴾ (فاطـر، 15)، وبذلـك تسـقط عنهـا تدريجيًّـا الحُجُـب الماديـة (مـن حـب المـال والمنصـب) والروحانيـة (مـن حـب الكمـال والجمـال) حتـى يغـدوَ حـب اللّٰه والسـعي إليـه هـو الموجّـه لسـلوكنا ومشـاعرنا فـي الحيـاة، ونغـدو كما ورد عـن الإمـام أميـر المؤمنيـن (ع): "مـا رأيـت شيئًا إلا ورأيت اللّٰه قبله وبعده ومعه".

إن ملكيـة اللّٰه لنـا ليسـت ملكيـة اعتبارية كمـا الحال مـع جميـع ملكيـات الدنيـا، وإنمـا هـي الملكيـة الحقيقيـة الوحيدة الناشـئة مـن كونه سـبحانه خالقنا وموجدنـا مـن العـدم، كمـا أنـه الموجـد والمالـك الحقيقـي لـكل موجـود ولـكل النعـم التي نتنعـم بها، ولـذا ففطرتنـا تدفعنـا تلقائيًّـا إلى شـكره والامتنـان لـه دائمًـا وأبـدًا. ﴿ذُرِّيَّـةَ مَـنْ حَمَلْنَـا مَـعَ نُـوح إِنَّـهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾. (الإسراء، 3)

وهـذا الامتنـان والشـكر للـه يوجبـان محبته سـبحانه ويجعلاننا نلتذ بعبوديتنا وخضوعنا لله، وبذلك تصبح العبودية لله مصدر سعادة ولذة وليست عبئًا.

عـن الإمـام أميـر المؤمنيـن (ع) فـي نهـج البلاغـة: "أَوَّلُ الدِّيـنِ مَعْرِفَتُـهُ (سـبحانه وتعـالى)، وكَمَـالُ مَعْرِفَتِـهِ التَّصْدِيـقُ بِـهِ، وكَمَـالُ التَّصْدِيـقِ بِـهِ تَوْحِيدُهُ، وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ...".

مـن هنـا فـإن المبـدأ الأول للسـير إلى الله سـبحانه استشـعار حـب الله فـي قلوبنـا واستشـعار عظمته وجمالـه والشـوق إليـه، وعلينـا -مـا أمكـن- الاسـتزادة مـن ذلـك، فبمقـدار شـغفنا وقـوة دافعيتنا تكون النتائج التي نحصدها.

هـذه المعرفـة باللـه والشـوق إليه يمكننـا تحقيقهما مـن خلال طلـب العلـم والمعرفة والتأمل وممارسـة الحياة بإيجابية وفق المنهج الإسلامي.

وأخيـرًا يجـب الانتبـاه إلى أن دافعيـة التوجـه إلى الله ليسـت فـي نحـو عَرَضي واحـد مع بقيـة الدوافع الأخـرى لممارسـة الحيـاة وبالتالـي فهي لا تنافسـها أو تعارضهـا، وإنمـا هـي فـي نحـو طولـي واحـد معهـا، بحيـث لا يمكـن تحقيـق دافعيـة التوجـه إلى الله مـن دون ممارسـة الدوافـع الحياتيـة الأخـرى التي سنَّها الله للبشر تكوينًا وتشريعًا.

## الثقة في الله:

إن سيرنا إلى الله عملية تفاعلية تبدأ من الله عز وجل الذي يبدأنا بالهداية والجذب. نردد في دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام السجاد (ع): "بِكَ عَرَفْتُكَ، وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ، وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ"، ويقابل جذب الله لنا سيرنا إليه سبحانه وتعالى، فيرد الله علينا بهدايةٍ وجذبٍ يفوقان بمراتٍ ومرات مقدار جهدنا وسيرنا إليه. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (العنكبوت، 69)

فإذا كان مدى حبنا لله يحدد بشكلٍ كبيرٍ مستوى سيرنا إليه سبحانه وتعالى. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران، 31) فإن مدى إخلاصنا له سبحانه يحدد بشكلٍ كبيرٍ مقدار جذب الله وهدايته لنا، وتحدد ثقتنا في الله بدرجة كبيرة مدى استعدادنا وقدرتنا على قبول هذه الهداية وهذا الجذب من الله عزَّ وجلَّ الذي قد يتمثل أحيانًا في شكل ابتلاءات ومصائب نعجز عن فهم أسبابها. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. (البقرة 155-157)

إن المعرفة واليقين يلعبان الدور الرئيس في زيادة مستوى ثقتنا بالله، غير أن ما نملكه من المعرفة بالله بشكلٍ عام كافٍ ليجعلنا نثق به سبحانه، لا سيّما إذا حافظنا على توازننا أثناء الأزمات التي نمر بها، كما أن إدراكنا لواقعية الغيب وكون الله قريبًا منا يجيب دعوتنا إذا دعوناه يمنحنا الاطمئنان والهدوء والسكينة.

يجب أن نثق في الله وأن نصدقه عندما يقول لنا إنه معنا وإنه يحبنا ويريد خيرنا وسعادتنا، فهو الكمال والجمال والقوة المطلقة التي لا حدود لها، علينا أن نضرب عُرْضَ الحائط كل وساوس الشيطان التي تحاول أن تشككنا في الله ربنا الذي خلقنا، وهو غني عنا وخلق الكون كله لأجل سعادتنا مهما بدت هذه الوساوس منطقية ومعقولة!!

بالله ربك قل لي: هل ستصدق أي دليل مهما كان على أن أمك -التي ربّتك ورعتك وأعطتك كل

ما عندها منذ طفولتك- تحاول الإساءة إليك عامدةً بإرادتها ورغبتها؟ فكيف إذًا تصدّق في الله وساوس الشيطان وهو أرأف بك من أمك؟ إلهي، "كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟! وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟! أَأَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي ما لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟! أَمْ تُفْقِرُنِي إلى مِثْلِي وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟!" (مناجاة الراجين للإمام علي زين العابدين (ع)).

علينا أن نثق بأن الله لن يخذلنا وأنه معنا دائمًا يمد لنا يد العون للمسير إليه والكمال والقوة.. هو أحرص منا على ذلك، غير أن هذه الهداية والجذب من الله قد تتجلى في أحيانٍ كثيرةٍ في شكل بلاءٍ ومعاناةٍ!

قد يرى الله -وهو اللطيف الخبير بنا- أن مصلحتنا في حرماننا بعضٍ ما نستحقه بمعايير الدنيا فيحرمنا منه، وقد يرى أن مصلحتنا في منحنا ما لا نستحقه بالمعايير الدنيوية فيمنحنا إياه تكرمًا منه ورأفة. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. (الملك، 14)

علينا في كل الحالات -مهما عانينا أو سُدَّت الأبواب في وجوهنا-ألا نفقد ثقتنا بالله، وأن نعلم يقينًا أنه سبحانه لن يتخلى عنا؛ لأنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. (الأنعام، 12)

إن الثقة بالله والتسليم لأمره سبحانه هو أَسَاس مفهوم التوكل على الله وروحه، وهو لا يعني -بأي

حال من الأحوال- التواكل بمعنى عدم بذل الجهد والتخطيط، فالثقة بالله تحفظ توازننا وهدوءنا، وتحمينا من الخوف والتوتر، وتمكِّننا من الانطلاق في الحياة بمعرفة وحكمة وقوة.

إن الإيمان بالله هدف رسالات الأنبياء جميعًا، ومن أهم ما يتضمن التوكل على الله وحده، وعدم اتخاذ الآخرين وكلاء من دون الله. ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـبَ وَجَعَلْنَـهُ هُدىً لِّبَنِى إِسْرَآءِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِى وَكِيلًا﴾. (الإسراء، 2)

## التوازن:

تصور شخصًا يُنَمِّي جسده بتمارين تقوية عضلات الذراع فقط! لا شك أنه بعد مرور فترة من الزمن سيتشوه جسمه بدلًا من أن يصبح رشيقًا ورياضيًّا، حيث سيبقى جسمه مترهلًا كما كان، بينما ستكون ذراعه معضلة مشدودة! هكذا الحال مع الإنسان؛ فلكي يتكامل عليه أن يطور وينمي جميع قدراته ويمارس حياته الإنسانية بتوازنٍ معقول، لا أن يركز على جانب ويغفل الجوانب الأخرى من شخصيته.

صحيحٌ أن هناك بعض الأعمال أكثر استحبابًا من أعمالٍ أخرى، لكن ينبغي التوازن بين مفردات الحياة ونشاطاتها المختلفة. ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾. (الرحمن 7-8)

وللأسف الشديد كثيرًا ما نلحظ في واقعنا الخارجي هذا الخلل؛ فالبعض منا يركز على الدراسة وطلب العلم باعتباره من أكثر الأعمال الإنسانية قوةً وجمالًا ومطلوبيةً من الله، مهملًا تزكية نفسه وإصلاحها، وممارسة الإصلاح الاجتماعي ودوره الرسالي مثلًا.

والبعض منا يُوَجِّه اهتمامه إلى ممارسة الإصلاح في المجتمع مهملًا نفسه والعناية بأفراد أسرته ورعايتهم كما ينبغي، وآخرون يركزون على التطور الوظيفي والمهني مهملين الجوانب الأخرى، والبعض يضع رعاية أسرته وإصلاح نفسه وتزكيتها نُصْبَ عينيه مهملًا الجوانب الأخرى.

فهل يُعْزَى تركيزنا على ممارسة جوانب محددة من حياتنا وتطويرها إلى ميولنا الشخصية تجاه هذه الجوانب التي نمارسها وتمكُّننا من ممارستها بسهولة؟

إن كان كذلك فلا بأس، لكننا لا ينبغي أن نتوقع الحصول من الله على نفس الفضل الذي يحصل عليه من يمارس حياته ويطور شخصيته مخلصًا لله.

نحن نأتي إلى الدنيا بحاجاتنا الناشئة من كلا البعدين: الروحي، والجسدي، فنحتاج إلى أن نأكل، ونشرب، ونلبس، ونمرح، ونحب، ونفكر، ونتعلم، ونتفاخر، وهكذا.

ولكي نسير إلى الله نحتاج أن نُشْبِع حاجات كلا البعدين فينا من دون إفراط أو تفريط، ولذا ندَّد الله بالرهبانية في الدين. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (الأعراف، 32)

وبكل تأكيد لن تتمكن من ممارسة مختلف نشاطات الحياة يوميًّا، وهو أمر غير مطلوب، بل المطلوب أن تحرص على ممارسة نشاطات حياتك المختلفة -بما فيها الترفيه عن نفسك، وتطوير جميع مناحي شخصيتك الإنسانية- بشكل دوري ومستمر حسب طبيعتك وقدراتك وظروفك.

عن الإمام موسى الكاظم (ع): "اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة اللَّه، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويُخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الساعات الثلاث".

## الإخلاص لله:

يمكـن أن تمـارس مختلـف نشـاطات حياتـك (باسـتثناء العبـادات) وتطـور شـخصيتك مدفوعًـا بأيـة نيـة وهـدف مـا دام طيبًـا وسـوف يثيبـك الله وتقتـرب منـه سـبحانه، لكـن هـذا الثـواب والقـرب ضئـيلان جـدًّا إذا مـا قُورِنَـا بالثـواب والقـرب الـذي يمكـن أن تنالهمـا حـال قيامك بالنشـاطات نفسـها بنية خالصة لله.

أضـف إلى ذلـك أن إخلاص النيـة للـه العامـل الأشـد تأثيـرًا فـي إفاضـة الله رحمتـه علينـا وجذبنـا إليـه سـبحانه، ولـذا فـإن قيامنـا بعملٍ بسـيطٍ مـع إخلاص النيـة للـه أشـد أثـرًا فـي تقريبنـا مـن الله سـبحانه مـن عمـل جبـارٍ عظيـم نقـوم بـه بنيـةٍ عاديـةٍ حسـنةٍ. عـن الرسـول الأعظـم ﷺ: "نيـة المؤمن خير من عمله".

## الرفق بالذات:

عـن الرسـول الأعظـم ﷺ: "إنّ الرفـق لـم يُوضَـع في شيءٍ إلا زانَه، ولا نُزِع مِن شيءٍ إلا شَانَه".

وأنـت متجـه إلى الله ربمـا يغريـك مـا تسـمعه عـن الكرامـات التـي يتلقاهـا بعـض أوليـاء الله الصالحيـن، أو ربمـا تشـعر بلـذة السـعادة والحـب الإلهـي فيدفعـك ذلـك إلى إرهـاق نفسـك بالعبـادات وأعمـال الخيـر، ولكـن مـهلًا، فهـذا خطأ جوهـري قـد يرتـدُّ عليـك بقـوة فتنكفـئ عـن مواصلـة السـير إلى الله، بـل ربمـا ترجـع إلى مـا كنـت عليـه سـابقًا. عـن النبـي الأعظـم ﷺ أنـه قـال: "روّحـوا القلـوب سـاعة بعـد سـاعة، فـإن القلـوب إذا كلَّـت عميـت"، وعـن الإمـام علـي (ع): "إن للقلـوب شـهوة وإقبـالًا وإدبـارًا، فَأْتُوهَـا مـن قِبَـلِ شـهوتها وإقبالهـا، فـإن القلـب إذا أُكـره عمي".

إن عـدم مراعـاة مبـدأ الرفـق بالـذات يعنـي أنـك لـم تفهـم بعـد عمليـة السـير إلى الله. إن السـير إلى الله إنمـا يتـم مـن خلال ممارسـتك الحيـاة بمختلـف نشـاطاتها ببسـاطةٍ ورفـقٍ وتـوازنٍ وإيجابيـةٍ وانفتاحٍ وشـغفٍ وفـق تعليمـات الشـريعة الإسلاميـة وقوانينها مدفوعًا بحبك وإخلاصك لله.

عـن رسـول الله ﷺ: "يـا علـيّ، إن هـذا الديـن متيـن فأوغـل فيـه برفـق، ولا تُبَغِّـض إلى نفسـك عبـادة ربـك، إن المنبـتَّ -يعنـى المفـرِّط- لا ظهـرًا أبقـى ولا أرضًـا قطـع، فاعمـل عمـلَ مـن يرجـو أن يمـوت هرمًـا، واحـذر حـذر مـن يتخـوف أن يمـوت غدًا".

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 18

**استخرج من الآيات التالية آية واحدة تشير لكل مبدأ من مبادئ السير إلى الله الخمسة المذكورة في الدرس خلال عشر دقائق:**

1. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (البقرة، 186)

.....

2. ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (النساء، 95)

.....

3. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. (القصص، 77)

.....

4. ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾. (التكاثر 1-2)

.....

5. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (آل عمرن، 31)

.....

6. ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. (الحشر، 20)

7. ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾. (النساء، 76)

8. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. (البينة، 5)

9. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. (البقرة، 286)

10. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. (الأنفال، 24)

# 19

# مغالطات شائعة عن السير إلى الله

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. (ق، 16)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
وهذا ما يجعل داخلنا
مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا
ويقينيًا بصاحب القوة
والـرحـمة الـمطلقة
مغالطات شائعة عن السير إلى الله
15:51

مما يؤسَف له أن ثقافتنا السائدة تحمل في طياتها كثيرًا من المغالطات ذائعة الصيت تعيق الإنسان عمليًّا عن السمو والسير إلى الله وتحبطه وتثبط من عزيمته.

ولذا علينا للانطلاق إلى الله سبحانه أن نصون أنفسنا عن الأفكار السلبية والوساوس التي يحاول الشيطان أن ينفثها في صدورنا، وأن ننطلق إليه عز وجل متجاهلين أي شيء آخر.

ولمعالجة هذه المغالطات الشائعة والوساوس الشيطانية واجتثاثها من أعماقنا يمكن استخدام طريقة "الإيحاء الذاتي"، كما يمكن اللجوء إلى التأمل والتفكر والتدبر في القرآن والنصوص الشرعية، وفيما يلي بعض المغالطات الشائعة.

## ضرورة وجود البيئة المؤمنة النقية

هناك مغالطة شائعة تكاد تكون مُسَلَّمَة في الثقافة العامة، وهي أن السير إلى الله إنما يكون في بيئةٍ مؤمنةٍ نقيةٍ شبه خاليةٍ من المغريات مثل المجامع العلمية الدينية المعروفة مثلًا، أما السير إلى الله في بيئةٍ مثل بيئاتنا فيكاد يكون مستحيلًا!

فبيئاتنا المُتخَمَة ببهارج الدنيا وملذاتها تكبلنا فيها شهواتنا وغرائزنا وأوهامنا وتحكمنا ممارساتنا الدنيوية المادية التي تعودنا عليها وأصبحت تسيطر على مشاعرنا وانفعالاتنا وترسم تصوراتنا وخرائطنا الذهنية، حتى وإن حاولنا في لحظة يقظة وانتباه أن نتغلب فيها على ذواتنا يضغط علينا النسق الاجتماعي وأعرافنا والمتطلبات اليومية لأسرنا لنعود لحياتنا اليومية المادية الرتيبة، هذا إن أبقى لنا الدوام الوظيفي بمتطلباته ومؤامراته وصراعاته بقيةً باقيةً في نفوسنا الطاهرة ولم يحولها إلى وحوش كاسرة تهدف للانتقام ممن ظلمنا أو على الأقل تفرح لأذاهم.

فـي بيئـةٍ كهـذه كل مـا تطمـح إليـه أن تحافـظ على الحـد الأدنـى مـن دينـك عسـى أن يغفـر الله لـك ويدخلك الجنة!

هـذا التفكيـر السـلبي إعلان للهزيمـة والفشـل قبـل بـدء المحاولـة، حيـث يبـدأ عقلنـا الباطـن التجـاوب مـع هـذه القناعـة والتحكـم فينـا على أساسـها، وبهذا تكون النتيجة الحتمية هي الفشل.

ليـس هـذا الـكلام خطـأ فحسـب، إنمـا العكـس هـو الصحيـح،؛ فالإنسـان الـذي ينشـأ فـي بيئـةٍ عاديـةٍ -مثـل بيئاتنـا- يكـون أكثـر مناعـةً وصحـةً ممـن نشـأ فـي بيئـةٍ معقمـةٍ مـن جراثيـم الفسـاد والشهوات.

الصحيـح أن بيئاتنـا هـذه بيئـات نموذجيـة لتطـور الإنسـان وسـيره إلى الله، لأننـا نحـن البشـر عندمـا نرغـب فـي تحقيـق هـدفٍ يلـح علينـا وتواجهنـا التحديـات والمصاعـب نتحفـز ونـؤدي أفضـل مـا عندنـا لتحقيـق مـا نسـعى إليـه، وعندمـا تعجزنـا الحيلـة لا نيـأس، وإنمـا نغـوص فـي أعماقنـا لنكتشـف مـا وهبنـا الله مـن قـدراتٍ نسـتطيع اسـتخدامها لتحقيـق مـا نصبـو إليـه، ونبقـى هكـذا فـي تفاعـل حيـوي مسـتمر مـع بيئاتنـا إلى أن نصل إلى مُبْتَغَانا.

ولكـن، أتعـرف أن هـذا التفاعـل والصـراع والكـدح المسـتمر هـو الطريـق إلى الله؟ فنحـن نسـمو ونسـير إليـه سـبحانه حتـى مـن دون أن نشـعر. ﴿يَاأَيُّهَـا الْإِنسـان إِنَّـكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّـكَ كَدْحًـا فَمُلَاقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6)

الفكـرة هنا أن إحساسـك بمدى الخشـوع والخضوع للـه ليـس وحـده ما يحـدد مدى قربك مـن الله -وإن كان واحـدًا مـن أهـم المعاييـر- وحتمًـا ليـس مـدى فقـرك، وليـس مـدى ابتعـادك عـن الدنيـا، وإنمـا مـدى مـا تملكـه مـن الحكمـة، والنضـج، والمعرفة، وقـوة العزيمـة والإرادة، وسـموّك وتطـور قدراتـك من همةٍ وحبٍّ وإحساسٍ بالجمال وغير ذلك.

المشـكلة أن الثقافـة اليوميـة التـي نتغذاهـا ونتنفسـها إنمـا رسـمت صـورة العـارف باللـه والسـالك إليـه فـي عقولنـا ودواخلنـا بطريقـةٍ رهبانيـةٍ علمائيـة وضعـت الحواجـز بيننـا وبيـن الوصـول إلى تلـك المقامـات؛ لأننـا لسـنا علمـاء ولا رهبانًا، وهنا يكمن الخطأ الفادح.

إن التعامل مع الحياة بواقعيتها ومرارتها ومغرياتها وملذاتها والخوض في تحدياتها وعبابها أسرع طريق إلى الله سبحانه إن وضعناه جلَّ جلاله نصب أعيننا وسعينا إليه سبحانه.

ناهيك عن أننا في هذه البيئة كلما واجهنا تحديًا أو مشكلًا لجأنا إليه سبحانه وتعالى بصدقٍ لمساعدتنا والتفريج عنا، وهذا عين العبودية، وهذا ما يجعل داخلنا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا ويقينيًّا بصاحب القوة والرحمة المطلقة.

كي نستفيد من هذه التحديات والبيئة المضطربة التي نعيشها بأفضل طريقةٍ للسير إلى الله سبحانه وتعالى علينا أن نغير نظرتنا إليها، فبدلًا من أن نعتبرها معوقاتٍ ومغرياتٍ وحُجُبًا عن الله فلننظر إليها بوصفها طرقًا وأدوات تمكننا من السير إلى الله، وأنها مكونات البرنامج التكويني الذي وضعه الله لنا للسير إليه عز وجل، وبالتالي فالطريق إليه سبحانه ليس عبر تحاشيها، وإنما عبر التفاعل معها بشكل إيجابيٍّ كما يريدنا الله أن نفعل.

## عبادة الأحرار

تعني هذه المغالطة أننا -نحن البشر عمومًا- إنما نعبد الله ونلتزم بالدين خوفًا من العقاب (عبادة العبيد) أو طمعًا في الثواب (عبادة التجار)، وأنه يندر أن يوجد بيننا من يعبد الله حبًّا له، وهي ما يسميها الإمام علي (ع) بـ "عبادة الأحرار"!

ربما تكون هذه المغالطة أكثر شيوعًا من المغالطة الأولى، وتكمن خطورتها فيما لها من أثر نفسيٍّ خفيٍّ سلبيٍّ شديد على سيرنا إلى الله يشبه أثر المغالطة الأولى.

الواقع أن كثيرًا منا يعبد الله حبًّا له، بل السر في حبنا للنبي الأكرم ﷺ وأئمة أهل البيت (ع) وأولياء الله الصالحين كونهم رجال الله سبحانه وتعالى.

وسبب ذلك أننا هكذا خُلِقْنا وخُلِقَتْ فطرتنا كبشر. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم، 30)، وأيضًا لأن حب الله استشرى في أعماقنا وعروقنا من

خلال الجلال الإلهي الذي يجسده النبي الأكرم ﷺ وأئمة أهل البيت (ع) ومن خلال شرايين محبتهم ﷺ.

نعم، إن حب الله راسخٌ في أعماقنا ومتوغلٌ في نفوسنا ومتجذرٌ في قلوبنا ومسيطرٌ لدرجةٍ كبيرةٍ على دواخلنا ومشاعرنا وأحاسيسنا وسلوكياتنا، رغم هذه المغالطة السلبية التي تحاول النيل من حبنا لله وتمنعنا من الانطلاق إليه سبحانه وتعالى.

غير أن اندكاكنا في الحياة المادية والترف قد يشكل حُجُبًا على هذه المحبة ويغلِّفها بأغطية سميكة تحجب نوره في حياتنا، وكل ما علينا فعله أن نزيل هذه الحُجُب تدريجيًّا وبرفق.

## السير إلى الله وإتيان الذنوب

من المغالطات شائعة الانتشار أنك لا تستطيع السير إلى الله ما لم تتوقف عن ارتكاب جميع المعاصي وتتخلى عن جميع الرذائل، وهذه المغالطة ربما تمنع الغالبية العظمى منّا من مجرد التفكير في السير إلى الله لعلمنا بما نرتكب من ذنوب وآثام.

غير أن الأمر ليس كذلك؛ فبعض الذنوب -بل بعض السلوكيات السيئة هنا وهناك- لا تعيقنا مطلقًا عن الانطلاق إليه سبحانه وتعالى إذا كانت بيئتنا النفسية العامة مؤمَّنة ومتجهة إلى الله والصلاح.

يمكن أن نتدرج في مدارج الكمال ونقترب منه سبحانه وتعالى لمراتب عالية مع الضعف والخور الذي يسيطر علينا تجاه أمور معينة ومع ضعف عبادتنا، فقد ورد عن الرسول ﷺ: "إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة".

قد يعاني البعض منا من داء الكذب أو الغيبة والعياذ بالله، وقد يكون مصابًا ببعض الآفات الخلقية الأخرى.. لا شك أن هذه الأمراض والحُجُب تحدُّ من حركتنا وسيرنا إلى الله، وتبطئ من سرعتنا للانطلاق إليه سبحانه، ولكنها لا تمنعنا عن ذلك. بل ربما تدفعنا إلى الله، فربما

يؤدي عذاب الضمير الذي يعترينا نتيجة ارتكاب هذه الذنوب إلى تحفيز دافعيتنا للانطلاق إليه سبحانه وتعالى طلبًا للراحة والمغفرة.

هناك كثير من النصوص الواردة عن أهل البيت (ع) أن المؤمن في حال المعاناة وحرارة الاندفاع والحرقة في التوجه إلى الله إن كان مذنبًا أفضل منه وهو في حال العُجْب بذاته وإن كان مستقيمًا وبعيدًا عن المعاصي. ورد عن الإمام الصادق (ع): "إن الله عَلِمَ أن الذنب خير للمؤمن من العُجْب، ولولا ذلك ما ابْتُلِيَ المؤمن بذنب أبدًا".

وورد في الحديث الشريف أن أصحاب الرسول ﷺ قالوا: "يا رسول الله، نخاف علينا النفاق"، فقال ﷺ: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجِلنا ونسِينا الدنيا وزهدنا حتى كأنّا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحوّل على الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنّا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقًا؟ فقال لهم الرسول ﷺ: كلا إن هذه خطوات الشيطان، فيرغبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقًا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم، إن المؤمن مفْتَتَن تواب. أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، 222)، وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبُوا إِلَيْهِ﴾. (هود، 52)

إننا كلما اتجهنا إليه سبحانه واقتربنا منه ازددنا قوةً وصفاءً وطُهرًا وعزيمةً وفهمًا، وذلك يجعلنا أقدر على التخلص من كثيرٍ من سلبياتنا وذنوبنا حتى من دون أن نشعر بذلك.

ولذا فالقرب من الله والانطلاق إليه سبحانه هو ما نحتاج إليه في كثيرٍ من الأحيان لكي نستطيع التخلص من نقاط ضعفنا إذا أعيتنا إرادتنا. لاحظ قوله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾. (العنكبوت، 45)

نعم، هناك مراتب عالية للقرب منه سبحانه وتعالى لا نستطيع أن نصل إليها قبل أن نتطهر

مـن ذنوبنـا، لكـن هـذه المراحـل لا يمكننـا تصورهـا فـي مسـتويات الإيمـان العاديـة، كمـا أننـا عندمـا نصـل إلى أعتـاب تلـك المراحـل نكـون قـد تخلصنا من ذنوبنا وسوء أخلاقنا بشكل تلقائي وطبيعي.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 19

**أولا: ذَكَرَ الله في القرآن عددًا من النسوة للتدليل على أن البيئة المؤمنة ليست شرطًا في سير الإنسان إلى الله. اذكر الآيات الدالة على ذلك خلال ست دقائق.**

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

**ثانيًا: وائم -خلال أربع دقائق- بين الآيات القرآنية الآتية وما يلائمها من المفاهيم الإسلامية الواردة بالدرس:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. (سبأ 34-35)

2. ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾. (محمد، 17)

3. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق، 6)

4. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الدِّيـنُ الْقَيِّـمُ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لا يَعْلَمُـونَ﴾.
(الروم، 30)

## المفاهيم الإسلامية:

- التعامـل مـع الحيـاة بواقعيتهـا ومرارتهـا ومغرياتهـا وملذاتهـا والخـوض فـي تحدياتهـا وعبابها هو طريق السير إلى الله سبحانه.
- اندكاكنـا فـي الحيـاة المادية والرفاهيـة والترف يشـكل حُجُبًـا على فطرتنـا المحِبـة للـه والديـن ويغلفها بأغطية سميكة تحجب نور الله عنا.
- فطـرة الإنسـان مجبولـة عـلى حـب الله والخيـر والدين.
- كلما اتجهنا إليه سبحانه واقتربنا منه ازددنا قوةً وصفاءً وطهرًا وعزيمةً وفهمًا يجعلنا أقدر على التخلص من كثيرٍ من سلبياتنا وذنوبنا.

# 20 طلب المعرفة

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.
(فاطر، 28)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
وكلما استحكـــم فينا الإيمان
بهـذه المعرفة ترسخت في أعماقنا
ووجداننا وعقلنا الباطن وشكلـــت
خـــرائطنا وتصوراتنا الذهنية
7:00
طلب المعرفة

تعد المعرفة أعظم الصفات الوجودية والقدرات المشكِّلة للإنسان ويتميز بها عن كل الكائنات والمخلوقات الأخرى، ويحتاج الإنسان إلى أن يطورها إذا أراد السعادة والقرب من الله عزَّ وجلَّ.

ولذا نلاحظ أن تطوير المعرفة الإنسانية كان الركن الأساس في الهدف من بعثة الأنبياء (ع) بجانب تزكية النفس. لاحظ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 151)

وأعظم المعارف على الإطلاق معرفتنا بالله وتوحيده الحقيقي، ومعرفتنا بأنفسنا وحقيقة عبوديتنا المطلقة والتامة لله عزَّ وجلَّ.

غير أن المعرفة التي نتحدث عنها هنا ليست المعرفة النظرية، وإنما المعرفة التامة الوجدانية التي تستولي على عقلك الباطن، وتسري في أعماقك وتستشري في جميع شراييك، وإلا فالشيطان كان عالمًا على المستوى النظري. تأمل ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين (ع): "أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ (سبحانه)، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ...".

من هنا كانت المعرفة الركن الأساس في السير إلى الله عز وجل، بل في كل حركة نقوم بها في الحياة. ورد في وصية أمير المؤمنين (ع) لصاحبه كميل: "ما مِن حركةٍ إلا وأنت محتاجٌ فيها إلى معرفة"، وعنه أيضًا (ع): "رحم الله امرًا ... علم من أين، وفي أين، وإلى أين". وعن الإمام جعفرٍ الصادق(ع): "الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا".

ولذا نلاحظ أن مسيرة البعثة النبوية وتنزيل القرآن الكريم إنما بدأت بآية ﴿اقرأ﴾ ربما لتبيان حقيقة أن خط السير إلى الله إنما يبدأ بالمعرفة وتأكيدها.

المعرفة النظرية تشكل القالب النظري لتصوراتنا وخرائطنا الذهنية، وكلما استحكم فينا الإيمان بهذه المعرفة ترسخت في أعماقنا ووجداننا وعقلنا الباطن وشكلت خرائطنا وتصوراتنا الذهنية.

كما أن المعرفة النظرية مع التأمل والتفكر هي ما نحتاجه لتمييز الواقعية في الحياة وإدراكها.

إن المعرفة التي نتحدث عنها ليست المعرفة الدينية وحسب، وإنما بوجه عام كل معرفة تفتح آفاقك وتوسع مداركك، وتمكنك من فهم نفسك وواقعك المحيط بك، وذلك يكاد يشمل كل التخصصات الإنسانية والمعرفية.

نعم، تبقى معرفة الله والعقيدة والنفس والفقه من أعظم المعارف على الإطلاق؛ لأنها أساس سيرك إلى الله، غير أنك لا تحتاج إلى أن تكون متخصصًا فيها، وإنما يكفيك منها على المستوى النظري ما ينير لك الدرب إلى الله في إطاره النظري، أما تصديق هذه المعرفة ومدى ترسخها في أعماقك ووجدانك وعقلك الباطن فهو رهين بمدى ممارستك للتأمل والتفكر وممارسة الحياة بإيجابية وواقعية وفق هذه المعرفة النظرية.

في مكتباتنا كثير من الكتب الجيدة تمدك بهذا المستوى من المعرفة النظرية، اقْتَنِ بعضًا منها واطَّلع عليها.

دَاوِمْ على قراءة القرآن والتدبر في معانيه ما أمكن وفهم تفسيره من أحد التفاسير الموثوقة، علمًا بأن هناك كثيرًا من تفاسير القرآن الموثوقة متوفرة في شكل تطبيق إلكتروني يمكن تنزيلها على هاتفك النقال.

دَاوِمْ على الركن الأساس لتشكل المعرفة التصديقية عند الإنسان ألا وهو التأمل والتفكر، سواء في ذاتك وما يعتمل فيها من أفكار ومشاعر، أو الدوائر المجتمعية المحيطة بك وما يجري فيها من أحداث، واربط بين هذه الأحداث متفكرًا في الخِلقة وفي الله ووحدانيته وصفات جلاله وجماله. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. (فصلت، 53)

لاحظ أنك لا تحتاج إلى تخصيص وقت محدد للتأمل والتفكر، وإنما يمكنك الاستفادة من أوقات فراغك القليلة هنا وهناك خلال جدولك اليومي المزدحم، سيشعرك هذا الأمر بالراحة والهدوء، كما يساعدك على تنضيج ممارساتك الحياتية واتخاذ القرارات الصائبة.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 20

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية، علمًا بأنه تم إيراد أكثر من آية واحدة لبعض المفاهيم:**

### المفاهيم الإسلامية:

1. أعظم المعارف على الإطلاق معرفتنا بالله وتوحيده الحقيقي.
2. نحن بحاجة للتأمل والتفكر لتمييز الواقعية في الحياة وإدراكها.
3. المعرفة التي تقرب الإنسان لله ليست هي المعرفة النظرية، وإنما المعرفة التامة الوجدانية التي تستولي على الإنسان ومشاعره وسلوكياته.
4. المعرفة التي نتحدث عنها ليست المعرفة الدينية وحسب، وإنما بوجه عام كل معرفة تفتح آفاقك وتوسع مداركك وتمكِّنك من فهم نفسك وواقعك.
5. المعرفة أعظم الصفات الوجودية والقدرات المشكلة للإنسان ويتميز بها عن كل الكائنات والمخلوقات الأخرى التي يحتاج الإنسان إلى أن يطورها إذا أراد السعادة والقرب من الله عز وجل.

### الآيات القرآنية:

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. (فاطر، 28)
- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. (طه، 114)
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (البقرة، 164)

- ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (يوسف، 40)
- ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. (إبراهيم، 52)
- ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. (النحل، 27)
- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران، 191)
- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (آل عمران، 18)
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. (الجمعة، 5)
- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾. (الإسراء 107-109)
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾. (السجدة، 24)

# 21

# الوعي الذاتي بالنفس

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء، 84)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
كل نفس إنسانية
تختلف في خصائصها
عن غيرها من نفوس البشر
الوعي الذاتي بالنفس
6:18

# لماذا الوعي الذاتي بالنفس؟

تختلف كل نفس إنسانية في خصائصها عن غيرها من نفوس البشر، وتتفرد بهذه الخصائص تفرد بصمة الإبهام، وتتشكل هذه الخصائص النفسية وفق الجينات التي نرثها، وطريقة تكوين أدمغتنا، وتتغير بشكل مستمر منذ يوم ولادتنا وفق أنماط التربية التي نحظى بها، والمجتمع الذي نعيش فيه، والتجارب التي نخوضها، والقرارات التي نتخذها، وسلوكياتنا، وأفكارنا، ومشاعرنا، وكيفية تفاعلنا وتعاطينا مع الحياة، إلى غير ذلك.

وكما ذكرنا في الدروس السابقة فهذه النفس هي مصدر أنشطتنا وسلوكياتنا وأفكارنا وردود أفعالنا والقرارات التي نتخذها والحركات التي نقوم بها والتوجهات التي نسلكها، وكل شيء يصدر منا. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. (الإسراء، 84)

لاحظ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف، 110)؛ إذ جاءت كلمتا "عملًا" و"صالحًا" بصيغة النكرة للدلالة على العموم، بمعنى أنه -فيما عدا الواجبات التي شرعها الله- لديك نطاق عريض من الأعمال الصالحة تختار من بينها ما يتسق مع شخصيتك ويحقق شغفك في الحياة وفق خصائصك النفسية ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾. (النمل، 19)

وقد تعرضت سورة الكهف لشخصيات بلغت القمة في إيمانها وقربها من الله رغم ما كان بينها من اختلاف من حيث خصائصها النفسية وممارساتها في الحياة الدنيا، (مثل: موسى، وأصحاب الكهف، والعبد الصالح، وذي القرنين، عليهم سلام الله جميعًا)، وكل هذه الشخصيات نجحت في تحقيق ذاتها وبلوغ أعلى مراتب الصدق الذاتي من خلال عملها الصالح المنسجم مع خصائصها النفسية رغم اختلاف طبيعة الأعمال الصالحة التي قامت بها.

إن قدرتك على ممارسة الأعمال الصالحة رهينة بخصائصك النفسية وشغفك، فاختر مسيرتك

فـي الحيـاة الدنيـا (ومن ثـمَّ الأعمال الصالحـة التي تفعلها) وفقًا لها.

ولهـذا كان مـن الضـروري أن يرتقي الإنسـان بوعيه الذاتـي؛ لأن ذلـك يمكنـه من السـيطرة بشـكل أكبر على ذاتـه بمـا يحقق التوافق والانسـجام في الأبعاد الأربعـة مـن تكوينـه: الجسـد (السـلوك بجميـع أنواعـه)، والعقـل (الأفـكار والمعتقـدات)، والقلـب (المشـاعر والأحاسـيس)، والـروح (الفطـرات الراسـخة فـي أعماقـه)، وبالتالـي تتسـم شـخصيته بالبسـاطة والقـوة والطمأنينـة والعظمـة، ويحظـى بالرضـا والقـرب من اللّه. عـن الإمام علـي (ع): "من عرف نفسه عرف ربه". [14]

والوعـي الذاتـي بالنفـس -كمـا يعرِّفه عالمـا النفس شـيلي دوفـال وروبـرت ويكلونـد- هـو "القـدرة على

14 غرر الحكم: 7946

التركيز على نفسك، ومعرفة مدى موافقة سلوكك وأفكارك وعواطفك لمعاييرك الداخلية، فإذا كنت شديد الإدراك لذاتك فيمكنك تقييم نفسك بموضوعية، وإدارة عواطفك، ومواءمة سلوكياتك مع قيمك، ومعرفة الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليك".

وكلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه ازدادات وتعاظمت قدرته على التحكم فيها وتوجيهها لما فيه خيره وسعادته في الدنيا والآخرة. عن الإمام علي (ع): "نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس".[15]

وتؤكد الدكتورة يوريش على هذا المعنى، فتذكر أن: "هناك بحوثًا عديدة أظهرت أن الأشخاص الذين يملكون وعيًا ذاتيًّا هم أكثر إنجازًا؛ فهم يملكون علاقات أقوى، وهم أكثر إبداعًا، وأكثر ثقة بأنفسهم، ولديهم قدرة أكبر على التواصل، وهم أقل قابلية للكذب أو الخيانة أو السرقة، وأكثر إنجازًا في العمل، وأكثر قابلية للترقي، بالإضافة إلى كونهم قياديين فعالين، ويملكون شركات تدر أرباحًا أكثر".[16]

15 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 3 - الصفحة 1876

16 https://youtu.be/tGdsOXZpyWE

## ما مدى معرفة الناس بأنفسهم؟

تجيب الدكتورة تاشا يوريش -وهي اختصاصية نفسية تنظيمية- بعد أن قضت أربع سنوات في دراسة الأشخاص الذين يحاولون البحث عن وعيهم الذاتي، وأجرت استطلاعًا كميًّا شمل آلاف الأشخاص وحللت ما يقارب 800 دراسة علمية قائلة: "لقد وجدنا أن 95% من الناس يعتقدون أنهم يمتلكون وعيًا ذاتيًّا، لكن الرقم الحقيقي للذين يمتلكون وعيًا ذاتيًّا هو ما بين 10% إلى 15%، وهذا يعني أن أكثر من 80% منا يكذبون على أنفسهم".[17]

17 https://youtu.be/tGdsOXZpyWE

# كيف يمكن للمرء أن يعزز معرفته بنفسه؟

وما يجعل الأمر مقلقًا حقًّا أنه بالرغم من أهمية معرفة النفس لسعادة الإنسان فهو أمر بالغ الصعوبة. تقول الدكتورة يوريش: "وجد الباحثون أنه مهما بلغنا من الجهد فلن يكون بإمكاننا التنقيب في أفكارنا ومشاعرنا ودوافعنا اللاواعية، ولأن الكثير يكمن في مخبأ عن إدراكنا الواعي، ينتهي بنا الأمر باختلاق إجابات تبدو حقيقية، إلا أنها غالبًا ما تكون خاطئة".[18]

وحقيقة الأمر ليس إما أن تملك وعيًا بنفسك أو لا تملكه، وإنما يكمن في مقدار ما تعرفه عن نفسك، فكل منا يملك وعيًا بنفسه ولو بدرجةٍ ما، لكن يندر أن يوجد في الكون من يعرف نفسه بشكل كامل ومطلق.

فيما يلي بعض الممارسات التي أكدتها النصوص الشرعية لتعزيز معرفة الإنسان بنفسه، ولكن ينبغي الحذر أثناء قيامنا بهذه الممارسات من خداع النفس وغرورها وعُجبها، فإنها أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، مهلكة لصاحبها إلا ما وفق الله.

## خصص وقتًا لتوضيح قيمك ومبادئك وأهدافك لنفسك

فكِّر فيها، وحددها، وعشها في منامك وقيامك، حتى تترسخ في أعماقك، ويتشكل منها عقلك اللاواعي. ناقشها مع أقرب أصدقائك، مع زوجتك، وربما أطفالك، واحلم بها، فإن لم تفعل ذلك توقع أن ينتهي بك المطاف في ملاحقة أهداف وهمية فرضتها علينا الثقافة والمجتمع المحلّي (سيارة فارهة، منزل كبير، شهادة جامعية، ارتباط في سنّ معيّنة...إلخ). وهي أهداف لا يُشعرنا تحقيقها -في كثير من الأحيان- بالرضا أو السعادة الحقيقية.

18 What is self-awareness, and why is it important? - April 21, 2021 - https://www.betterup.com/blog/what-is-self-awareness

اسأل نفسك وأنت تضع أهدافك: لماذا أنا هنا الآن؟ ما الذي خُلقتُ لتحقيقه وإنجازه في الحياة؟ وما الذي يحقق لي حياة مُرضية أشعر بالفخر لعيشها؟ ماذا أملك من مواهب تمكنني من تحقيق أهدافي العليا؟ وما السبيل إلى ذلك؟... إلخ. ثم خطط مسارك المهني وفق هذه الإجابات، وامض فيها، وعايشها وراجعها باستمرار.

حينها ستصبح أكثر وعيًا بذاتك وفهمًا لخفايا نفسك، سيصبح في وسعك فهم العالم من حولك، وبالتالي ستمتلك القدرة على التعامل معه بشكل أفضل ممّا يوصلك إلى أهدافك وطموحاتك. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران، 191)

## ادرس نفسك دراسة شاملة بشكل دوري

حيث يلاحظ المؤمن ذاته من خلال تجاربه السابقة معها وخبراته الطويلة بها، ويدرسها دراسة كاملة، ويحدد ما فيها من نقاط ضعف ونقاط قوة، ويركز ذلك في ذهنه، أو يسجله في مذكراته، وتشمل هذه الدراسة الجوانب كافة: الجانب الثقافي، والجانب الروحي، والجانب العلمي.. إلخ. قم بهذه الممارسة بشكل دوري مرة كل 3 أشهر مثلًا.

## اطلب النصيحة والتغذية الراجعة وتقبَّلها

إن ممارسة النصح من أعظم الممارسات الإسلامية فضلًا وأهمية، ولذا قيَّد الله النجاح في سورة العصر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر)، كما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: "من لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم"[19]، وعنه ﷺ قال: "إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه"[20]، وعنه ﷺ: "الدين النصيحة".

19 الترغيب والترهيب : 2 / 577 / 16 و ح 17
20 الكافي : 2 / 208 / 5

إن طلبك النصيحة لا يساعدك في الحصول على رأي موضوعي من شخص محايد فحسب، وإنما يساعدك في التفكير في نفسك بصوت مرتفع، مما يحفز عقلك الباطن، وينبهك إلى كثير من النقاط التي لم تكن تدركها عن نفسك.

وفيما يلي بعض النصائح لكيفية طلب النصح:

- **اطلب النصيحة ممن اختبرت صدقهم معك وحرصهم عليك:** نحن ننظر لأنفسنا في تقييم ذواتنا نظرة منحازة للذات وغير موضوعية، وننظر إليها من خلال تصوراتنا، وفهمنا الذي قد يكون مجانبًا للواقع في كثير من الأحيان، ولهذا علينا أن نتجرد من ذواتنا بأن نطلب النصح ممن حولنا من أصدقاء مخلصين وغيرهم ممن اختبرنا صدقهم وحرصهم على مصلحتنا. ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف، 51)، وعن الإمام علي (ع): "إنما سُمِّيَ الصديق صديقًا لأنه يصدقك في نفسك ومعايبك، فمن فعل ذلك فاستنم إليه فإنه الصديق."[21]
- **كن موضوعيًّا واضحًا ومحددًا فيما تطلبه من نصيحة:** لا تسأل عن أشياء عامة غير محددة وواضحة، وحاول أن تكون أسئلتك للناصح محددة وموضوعية قدر الإمكان، لكي تمكنه أولًا من الإجابة بشكل موضوعي، وتستطيع فهم إجاباته بشكل موضوعي واضح محدد بعيدًا عن استنتاجاتك وتأويلاتك.
- **قم بهذه الممارسة بشكل دوري:** من خلال دراسة نفسك دراسة شاملة، لا سيما عندما تواجه موقفًا صعبًا، وتشعر بأنك في حاجة إلى رأي موضوعي من شخص آخر بشأن ما صدر منك، أو ما أنت مقبل عليه، أو تشخيص موقف ما.
- **تقبل الانتقاد بروح رياضية:** تقبل الانتقاد بروح رياضية، وتجنّب اتخاذ الموقف الدفاعي بأيّ ثمن. عن الإمام علي (ع): "لا تردنَّ على النصيح"، فمن الطبيعي أن يسوءك ما قد تسمعه من انتقاد ربما يكون لاذعًا، خاصة أنك ربما قد لا تتفق مع الناصح في تقييمه للموقف ولما صدر منك. عن الإمام علي

21 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 2 - الصفحة 1589

زين العابدين (ع): "وحقّ الناصح أن تليّن له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه".[22] اشكر الشخص الذي قدّم النصح لك، ووضح له أنّك ستبذل جهدك للتعامل مع الجوانب السلبية فيك. عن الإمام علي (ع): "اسمعوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم".[23]

## راقب ذاتك، وركّز نظرك على نفسك في نشاطك اليومي

يتصرف العقل اللاواعي عادةً بصورة روتينية كرد فعل مباشر للأحاسيس المتولدة داخلنا باستمرار، أما العقل الواعي فهو الذي يسيطر على تدفق المشاعر ويمنعها من التأثير فيه من خلال مراقبتها ومراقبة الحواس الخمس وما تؤثر به في الإنسان، فكل ما تراه العين وتسمعه الأذن أو تلمسه اليد يولد فينا مشاعر مختلفة ومتضادة.

وتعد مراقبة النفس تحكمًا ذاتيًّا وليس خارجيًّا، وتساعد الإنسان في استخدام عقله للسيطرة على عواطفه والتفكير الجيد في العمل قبل ممارسته، ومن ثم ممارسة الأعمال الصحيحة، وترك الأعمال الخاطئة التي قد يكون لها نتائج غير مرضية.

لذا يمكننا القول: إن مراقبة النفس تعد تفكيرًا أو شعورًا داخليًّا يمنع الشخص -أو يتيح له- قول أمر معين أو فعله، ويمكن تعريف مراقبة الذات بأنها سمة شخصية تشير إلى القدرة على ضبط السلوك بما يلائم مختلف المواقف الاجتماعية وفق ما يرضي الله. ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدمَتْ لِغَدٍ﴾. (الحشر، 18)

### وسواس مراقبة الذات

مراقبة النفس سلاح ذو حدين؛ فهي كسلوك تدل على زيادة وعي الفرد بنفسه، لكن إذا أطلق الإنسان لنفسه العنان في الانخراط وراء كل ما يصدره العقل والخيال من أفكار فسوف

22 ميزان الحكمة - الري شهري - ج 1 ص 703
23 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 4 - الصفحة 3281

يـؤدي بـه فـي نهايـة المطـاف إلى الوسـاوس والصراعـات واللجـوء إلى الـعلاج النفسـي والأدوية، وفيمـا يلـي بعـض الخطـوات العمليـة لتجنـب آفات هذا السلوك:

- ثـق باللـه عـز وجـل وتـوكل عليـه فـي أمـورك كلهـا لتحمـي نفسـك مـن الخـوف مـن المستقبل.
- اسـتثمر حاضـرك مـن خـلال وضـع أهـداف محددة ووضع الخطط السليمة لتنفيذها.
- أحسـن إدارة الوقـت ولا تتـرك فرصـة للفـراغ تأخذك نحو الاسترسال في الأفكار.
- تجاهل الأفكار المتناقضة ولا تلتفت إليها.
- تحـرر مـن تأثيـر حواسـك الخمـس، وسـيطر على المشـاعر الدفينـة، وحرِّرهـا مـن أعماقـك، واسمح لها بالظهور.
- أَحـط نفسـك بأنـاس إيجابييـن، وابتعـد عـن الأشخاص السلبيين.

وفـي النهايـة ينبغـي أن تعلـم أن الفكـرة الأساسـية فـي مراقبـة النفـس والأشـياء هـي "التـوازن" فـي النظـر إلى مـا يحـدث داخلنـا مـن متغيـرات، فقـط عليـك مراقبـة الـذات والأفـكار بتجـرد وانتبـاه تـام، وراقـب بتركيـز كامـل أي شـيء وكل شـيء ينبـع من أعماقك، وستجد تأثيره يزول. [24]

24 مراقبة النفس سلاح ذو حدين | اكتشف تأثيرها على نفسك!، موقع طبيبي، مارس 19, 2022 https://tabieby.com/%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%82%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3

# حاسب نفسك

وهو ما يطلق عليه التقييم الذاتي للإنسان، ومن أهم التقنيات التي ترتقي بالإنسان وتمده بالسعادة والراحة وتحسّن من أدائه. عن الإمام علي (ع): "ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل خيرًا استزاده، وإن عمل شرًّا استغفر اللَّه".[25]

ولا يقصد بمحاسبة النفس تقريع الذات وجَلدها، وإنما تعني مراجعة موضوعية وتقييمًا ذاتيًّا هادئًا يقوم به الإنسان لنفسه في كل ليلة قبل النوم مثلًا ليحدد مواطن ضعفه ومواطن قوته، ويقيِّم ممارساته وإنجازاته ليحدد خطة تحركه وتطوره. عن الإمام علي (ع) عن النبي الأكرم ﷺ قال: "أكيس الكيِّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت"، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، كيف يحاسب نفسه؟ فقال الإمام علي (ع): "إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفسي، إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبدًا، والله يسألك عنه بما أفنيته، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدته؟ أقضيت حوائج مؤمن فيه؟ أنفَّسْت عنه كربه؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن؟ أأعنت مسلمًا؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيرًا استغفر الله وعزم على ترك معاودته".[26]

وأروع ما في الأمر أنك يمكن أن تحاسب نفسك وأنت تناجي الله، وبذا تجني أكبر الأثر في تفريغ طاقتك السلبية التي تتراكم في قلبك يوميًّا جراء ممارسة الحياة اليومية بكل صراعاتها وتحدياتها المتعبة، كما تُمَدُّ بطاقة إيجابية هائلة تُشْعِرُك بالسعادة والطمأنينة.

يمكن أن تحكي لله الأشياء الجميلة التي تقوم بها في يومك، وأنت ساجد لله قبل النوم، وأنت جالس قبل السجدة الأخيرة، وهذا سيكسبك شعورًا بالغبطة والسرور، مثلك في

25 رسائل الشهيد الثاني - ص151

26 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 1 - الصفحة 26

ذلـك مثـل الطفـل الصغيـر الـذي يحكـي لأبيـه جذلًا ما يفخر بفعله.

ثـم احْـكِ لـه -سـبحانه وتعـالى- كل مـا سـاءك القيـام بـه أو تركـه فـي يومـك حتـى لـو لـم يكـن خطـأً فـي حـد ذاتـه، وتأسَّـف إليـه واعتـذر منـه سـبحانه لذلـك، وعاهـده على أن تكـون أكثـر حرصًـا في المرة القادمة.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 21

**وائـم -خلال خمـس دقائـق- بيـن الآيـات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

### الآيات القرآنية:

1. ﴿يَأَيهَـا الذِيـنَ آمَنُـوا اتقُـوا اللّهَ وَلْتَنْظُـرْ نَفْـسٌ مَا قَدمَتْ لِغَدٍ﴾. (الحشر، 18)

2. ﴿الَّذِيـنَ يَذْكُـرُونَ اللَّـهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَـلَىٰ جُنُوبِهِـمْ وَيَتَفَكَّـرُونَ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـتَ هَـٰذَا بَـاطِلًا سُـبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران، 191)

3. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾. (النمل، 19)

4. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. (الإسراء، 84)

5. ﴿وَالْعَصْـرِ * إِنَّ الْإِنسَـانَ لَفِـي خُسْـرٍ * إِلَّا الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ وَتَوَاصَـوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (سورة العصر)

6. ﴿وَمَـا كُنـتُ مُتَّخِـذَ الْمُضِلِّيـنَ عَضُـدًا﴾. (الكهف، 51)

### المفاهيم الإسلامية:

- ☐ ممارسـة النصـح مـن أعظـم الممارسـات الإسلامية فضلًا وأهمية.
- ☐ النفـس هـي مصـدر أنشـطتنا وسـلوكياتنا وأفكارنـا وردود أفعالنـا والقـرارات التـي نتخذهـا والحـركات التي نقـوم بهـا والتوجهات التي نسلكها وكل شيء يصدر منا.

- [ ] علينا طلب النصح ممن حولنا من أصدقاء مخلصين وغيرهم ممن اختبرنا صدقهم وحرصهم على مصلحتنا.

- [ ] مراقبة الذات سمة شخصية تشير إلى القدرة على ضبط السلوك بما يلائم مختلف المواقف الاجتماعية وفق ما يرضي الله.

- [ ] لديك نطاق عريض من الأعمال الصالحة تختار من بينها ما يتسق مع شخصيتك ويحقق شغفك في الحياة وفق خصائصك النفسية.

- [ ] خصص وقتًا لتوضيح قيمك ومبادئك وأهدافك لنفسك.

﴿اللَّـهُ وَلِـيُّ الَّذِيـنَ آمَنُـوا يُخْرِجُهُـم مِّـنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (البقرة، 257)

# 22 تطوير قدراتنا

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
البيئة النفسة
لأي إنسان عدس
ينظر من خلالها إلى ا
ويتفاعل معه على مس
الحياة اليومية
تطوير قدراتنا
12:39

إن قدرتك على اكتساب القيم والقدرات الإنسانية (وأعظمها إدراك عبوديتنا لله) تستلزم وجود ثلاثة عناصر لديك؛ الأول: الرغبة، والثاني: الممارسة، والثالث: طبيعة بيئتك النفسية بما تمتلكه النفس من القدرات والملكات والمهارات والتصورات والخرائط الذهنية ومدى كونها صحية وإيجابية.

إن بيئتك النفسية بطبيعتها متحركة ومتغيرة باستمرار، إنها في الواقع محصلة جميع استجاباتك لكل المنبهات والمثيرات التي تتعرض لها في حياتك مهما بلغت من الصغر، سواء علمت بها أو لم تعلم. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. (الشمس 7-10)

إن البيئة النفسية لأي إنسان عدسة ينظر من خلالها إلى العالم ويتفاعل معه على مستوى الحياة اليومية. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾. (الإسراء، 84)

قد ترى البحر فترى فيه الجمال والخير وتسمع في أمواجه موسيقى رائعة تسكن لها نفسك وتطلق العنان لمخيلتك.

وعلى العكس من ذلك، ربما ترى فيه عملاقًا مرعبًا غامضًا تملؤك منه الرهبة والخوف، وتسمع في أصواته نشيج الحزن والنعي على كل من غرقوا في خضمه وكتم أنفاسهم بجبروته. وربما ترى فيه شيئًا آخر.. وهذا يعتمد على طبيعة بيئتك النفسية وتصوراتك وخرائطك الذهنية.

قد يعني لك غروب الشمس مصدر ضيق وألم فينقبض صدرك كلما رأيته، وربما يعني لك الهدوء والسكينة والراحة والجمال!

قد تكون في مكان ما فتسمع جوّال أحدهم يرنُّ برنة كانت رنة هاتفك فيما مضى، فتشعر

بالحزن الشديد إذا كانت هي رنة هاتفك عندما تلقيت نبأ وفاة شخص عزيز عليك، أثَّر فيك فقده، وقد تشعر بالراحة والسعادة إذا كانت هذه رنة هاتفك في فترة تلقيت فيها الكثير من الأخبار السارة، كل هذا مرتبط بتصوراتك وخرائطك الذهنية.

ليس ذلك فحسب، بل إن بيئتنا النفسية تحدد بتلقائية طبيعة استجاباتنا في مختلف قضايا الحياة اليومية، غير أننا نستطيع بإرادتنا القيام بممارسات مغايرة لما تمليه علينا بيئتنا النفسية سواء سلبًا أو إيجابًا.

خلاصة الأمر أنه إذا كانت بيئتك النفسية من الصفاء وقوة الإرادة وحب الخير بدرجة عالية ومنسجمة مع الفطرة مع عدم وجود معوقات وعقد نفسية لديك يمكنك اكتساب القيم والملكات الإنسانية -التي قلنا إنها الطريق إلى الله- بمجرد وجود الشوق لديك لقيمةٍ أو صفةٍ ما والالتفات إليها وإرادتك تملكها، غير أنها تشتد رسوخًا كلما مارستها عمليًّا. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. (فاطر، 10)

كما تُسَبِّب ممارستك المستمرة لقيمةٍ أو صفةٍ ما (إيجابية كانت أو سلبية) اكتسابَك لها حتى وإن لم ترغب فيها، لكن بالطبع تزداد هذه الصفة رسوخًا فيك -بل قد تصير جزءًا منك، وتتحد مع نفسك بحيث يستحيل انفكاكها عمليًّا- إذا رغبت في هذه الصفة وكانت بيئتك النفسية مساعدة. ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾. (البقرة، 81)

ولهذا نجد أن الإسلام يصحح من خلال القرآن الكريم وكتب الأدعية ومختلف العبادات التي نمارسها والتشريعات تصوراتنا وخرائطنا الذهنية ويجعلها إيجابية صحية تتسم بوحدانية العبودية لله عز وجل ونبذ المشاعر السلبية ومصادر الخوف والضعف والقلق، كما يحرص على جعل ممارساتنا اليومية الفردية والمجتمعية منبثقة عن هذه التصورات المتسمة بوحدانية العبودية لله. ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (المائدة 15-16)

إن هـذه العناصـر الثلاثـة تتأتـى للإنسـان مـن ممارسة الحياة اليومية بإيجابية من خلال الكدح فيها والسعي لزينتها من أموال وبنين وبيوت مريحة وراحة مادية ومعنوية، لكن بما ينسجم مع الفطرة، ويتفق وإرشادات الشريعة الإسلامية. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾. (الانشقاق، 6)

إننا بممارسة الحياة بإيجابية ننضج ونتعلم ونكتسب الحكمة فنسمو وتسمو أخلاقنا وأرواحنا فنحب الله ونحب صفاته وجلاله وجماله، ونشعر بعبوديتنا تجاهه بسبب الفطرة المغروسة فينا فنغدو أكثر إيجابية في الحياة وممارسةً للعبودية تجاه الله على مستوى التفاصيل اليومية، فنقابل مسؤولياتنا تجاه أسرنا ومحال عملنا ومجتمعاتنا وأنفسنا والإنسانية كلها بإيجابية وارتياح، ويزداد حبنا لكل البشر، بل لكل مفردات الكون، فنزداد سموًّا وصفاءً واستعدادًا لقبول الجمال والجلال والأخلاق الفاضلة، وتزول بشكل تلقائي الأدران من نفوسنا، وتزداد معرفتنا بالله، ويزداد عشقنا له ولجماله ولحبه لنا، فنخشع ونفنى فيه، فلا نرى في الكون غيره، ونرى كل شيء من خلاله سبحانه وتعالى، لا سيّما عندما ندرك أننا تجلياته وخلقه، وأنه يحبنا ويعتني بنا فردًا فردًا. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (التوبة، 105)

كما أننا بتعودنا في حياتنا اليومية على تقوية إراداتنا وعزائمنا تشتد قدرتنا على مجاهدة أنفسنا وتشكيلها كما نحب، أو قل: كما يحب الله.

إن زهدنا في الدنيا وعزوفنا عن ممارسة الحياة وتفرغنا الكامل للصلاة والصوم يحرمنا من فرصة السمو بأنفسنا وتزكيتها، وبالتالي القرب من الله سبحانه. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. (الأعراف، 32)

الاختبار أن تكدح في الدنيا بما أوتيت من قدرات لطلب الرزق الحلال لتستمتع به، وتوسع على أهلك، وتسجل أولادك في أحسن المدارس، وتسكن في بيت واسع مريح، وتقتني سيارة جميلة مريحة من دون ترف، ثم

لا تقع أسيرًا لهذه المتع واللذائذ، بل تزهد فيها، فلا يؤثر فيك نفسيًّا فقدانها واضطرارك إلى أن تعيش الفقر، لكن بشرط ألا يؤدي عدم تأثرك بفقد هذه المتع واللذائذ إلى النيل من سعيك الحثيث والإيجابي لتحسين ظروفك المالية وتحقيق أهدافك الدنيوية (في رضا الله). ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. (البقرة، 172)

إن هذا لا يتأتى للإنسان من دون طول ممارسة ومران، ولهذا خلق الله الأرض والدنيا لتكونا ميدان تدريب لنا. قال رسول الله ﷺ: "الدنيا مزرعة الآخرة"، وعن الإمام علي (ع): "إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غَنَاءٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا".

## طريقك المهني - مدخلٌ للسير إلى الله

انطلاقًا من فهمنا كيفية تطور قدراتنا ندرك أنه كلما تمكنا من ممارسة الحياة وأنشطتها وكلما ازدادت القرارات التي نتخذها والتحديات والصعوبات التي نواجهها بشتى أنواعها ازدادت فرصنا للرقي إلى الله عز وجل والقرب منه. ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. (الأنبياء، 35)

إن طريق التطور المهني والسعي فيه في الحياة المعاصرة هو في الواقع من أجمل ما حدث للإنسان في هذا الصدد.

فطريق التطور المهني يوفر منصة عملية تفاعلية جميلة لممارسة الحياة بإيجابية وفاعلية، ويتميز بتوفير زخمٍ هائلٍ من الدافعية، وتوفير عديد من الأهداف الموضوعية لتطوير الذات من كثيرٍ من جوانبها وحيثياتها، مع وجود مؤشرات واضحة لقياس الأداء، ونظام ثواب وعقاب مادي تلقائي ومحكم بدرجة كبيرة.

مـا يميـز حياتنـا الوظيفيـة والمهنيـة فـي هـذا العصـر عـن كل العصـور الماضيـة أنهـا لـم تعـد فـي معظمهـا يدويـة، وإنمـا ذهنيـة، أو ذهنيـة يدويـة، وبذلـك فـإن ممارسـتها تؤثـر تأثيـرًا بالغًـا على تشكّل الإنسان ومعارفه ونظرته للحياة.

تعتبـر الحيـاة الوظيفيـة والمهنيـة المحـور الأهـم فـي حيـاة الأفـراد عمومًـا، حيـث نقضـي فيهـا معظـم حياتنـا، فهـي تسـتغرق أكثـر مـن نصـف يومنـا الواعـي، وفـوق ذلـك تنسـج خيوطها لترسـم بقيـة معالـم حياتنـا وتفاصيلهـا، وحيـاة أسـرنا سـواء الاجتماعيـة أو الثقافيـة أو الماديـة أو التعليمية... إلخ.

مـن هنـا كان مـن الضـروري أن تخطـط بحـذر شـديد لحياتـك المهنيـة الوظيفيـة، لأن هـذا التخطيـط يؤثـر بشـكل مباشـر فـي جميـع مفـردات حياتـك الأخـرى وحيـاة أفـراد أسـرتك، وقبـل كل ذلـك يؤثـر فـي سـيرك إلى الله، لأن الحيـاة فـي الواقع سلسلة واحدة ذات حلقات مترابطة.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 22

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية، علمًا بأنه تم إيراد أكثر من آية واحدة لبعض المفاهيم:**

**المفاهيم الإسلامية:**

1. البيئة النفسية لأي إنسان عدسة ينظر من خلالها للعالم ويتفاعل معه على مستوى الحياة اليومية.

2. بيئتك النفسية بطبيعتها متحركة ومتغيرة باستمرار، إنها في الواقع محصلة جميع استجاباتك لكل المنبهات والمثيرات التي تتعرض لها في حياتك.

3. نستطيع بإرادتنا القيام بممارسات مغايرة لما تمليه علينا بيئتنا النفسية سواء سلبًا أو إيجابًا وبالتالي تغيير أنفسنا سلبًا أو إيجابًا.

4. الإسلام يعمل من خلال القرآن الكريم وكتب الأدعية ومختلف العبادات التي نمارسها والتشريعات على تصحيح تصوراتنا وخرائطنا الذهنية وجعلها إيجابية صحية تتسم بوحدانية العبودية لله عز وجل ونبذ جميع أنواع المشاعر السلبية ومصادر الخوف والضعف والقلق!

5. الإسلام يدعونا لممارسة الحياة بإيجابية، حيث ننضج ونتعلم ونكتسب الحكمة فنسمو وتسمو أخلاقنا وأرواحنا، فنحب الله، ونحب صفاته وجلاله وجماله، ونشعر بعبوديتنا تجاهه، فنغدو أكثر إيجابية في الحياة، ويزداد حبنا لكل البشر، بل لكل مفردات الكون، فنزداد سموًّا وصفاءً واستعدادًا لقبول الجمال والجلال والأخلاق الفاضلة، وتزول بشكل تلقائي الأدران من نفوسنا، وتزداد معرفتنا بالله، ويزداد عشقنا له ولجماله، ولحبه لنا.

## الآيات القرآنية:

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. (الكهف 103-104)

- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (المائدة 15-16)

- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (البقرة، 257)

- ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. (الأنعام، 122)

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. (الرعد، 11)

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. (الأنفال، 24)

- ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾. (فاطر، 8)

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. (النحل، 97)

- ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. (إبراهيم، 1)

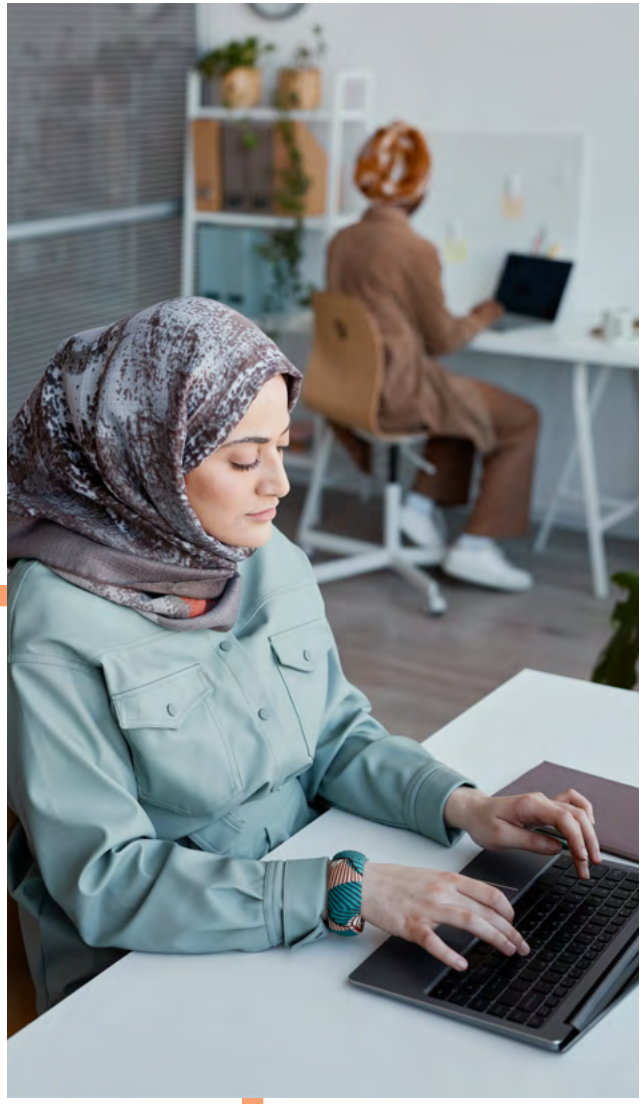

- ﴿قَـدْ جَاءَكُـم بَصَائِـرُ مِـن رَّبِّكُـمْ فَمَـنْ أَبْصَـرَ فَلِنَفْسِـهِ وَمَـنْ عَمِـيَ فَعَلَيْهَـا وَمَـا أَنَـا عَلَيْكُـم بِحَفِيظٍ﴾. (الأنعام، 104)

- ﴿قُـلْ كُلٌّ يَعْمَـلُ عَـلَى شَـاكِلَتِهِ فَرَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾. (الإسراء، 84)

- ﴿فِـي قُلُوبِهِـم مَّـرَضٌ فَزَادَهُـمُ اللَّـهُ مَرَضًـا وَلَهُـم عَـذَابٌ أَلِيـمٌ بِمَـا كَانُـوا يَكْذِبُـونَ * وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ لَا تُفْسِـدُواْ فِـي الأَرْضِ قَالُـواْ إِنَّمَـا نَحْـنُ مُصْلِحُـونَ * أَلا إِنَّهُـمْ هُـمُ الْمُفْسِـدُونَ وَلَكِـن لَّا يَشْعُرُونَ﴾. (البقرة 10-12)

- ﴿ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللَّـهَ لَـمْ يَـكُ مُغَيِّـرًا نِّعْمَـةً أَنْعَمَهَـا عَلَى قَـوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّـرُواْ مَـا بِأَنفُسِـهِمْ وَأَنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (الأنفال، 53)

- ﴿لَهَـا مَـا كَسَـبَتْ وَعَلَيْهَـا مَـا اكْتَسَـبَتْ﴾. (البقرة، 286)

23

# مودة النبي وأهل بيته (ع)

﴿قُـل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرًا إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. (الشورى، 23)

الرجوع لصفحة المحتويات

إن مكانة أهل بيت النبي ﷺ عظيمة جدًّا في المنظومة الفكرية الإسلامية، وقد حرص الإسلام بشدة على ربط المسلمين بأهل البيت (ع)، ففضلًا عن حديث الثقلين الذي مرَّ ذكره في درس "الشريعة الإسلامية"، هناك مئات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في فضائل أهل البيت (ع) في كتب المسلمين عامة السنة منهم والشيعة، ومنها قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب، 33)

إن حبَّ النبي ﷺ أهل بيته (ع) أحد أهم القيم الإسلامية مثله مثل المعرفة وقوة الإرادة التي تقربنا إلى الله سبحانه وتعالى وتحقق لنا السعادة والرضوان، كما أن حبَّنا لهم (ع) يجعلنا نرغب تلقائيًّا في الصفات والقيم التي يجسدونها ويدافعون عنها.

الإنسان بطبيعته وفطرته يميل إلى محاكاة من يحبهم ويعتقدهم مُثُلًا عُليا، وتفاعلنا وتعاطفنا معهم (ع) في مواقفهم ودفاعهم المستميت عن القيم الإلهية والذود عنها وتجسيدها في حياتهم -رغم كل الآلام والقتل والسبي والتشريد الذي واجهوه في سبيل ذلك- يغرس هذه القيم لا شعوريًّا في وجداننا مباشرةً ويجعل نظرتنا للحياة تصطبغ بها وتنطلق منها.

ولذا، فبقدر حبنا للرسول الأعظم ﷺ ولأهل بيته الطاهرين (ع) وتفاعلنا معهم نرتقي إلى الله ونسمو بأنفسنا، فقد ورد في صحيح الترمذي: "أن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة".

ولهذا اتفق المسلمون كافة على أن الله أوجب مودة أهل بيت النبوة (ع)، فقد تواترت النصوص الشرعية على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى، 23)، وما ذلك إلا لمنفعة الناس أنفسهم. ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ (سبأ، 47)، حيث إن حبهم يقرب الإنسان إلى الله. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلا﴾. (الفرقان، 57)

نحتاج إلى أن نعيش محبة الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته في حياتنا اليومية (ع) ونجسّدها عمليًّا؛ لأن محبتهم من أَجْلَى تجليات محبتنا لله باعتبارهم الأقرب إلى الله، كما أن تجسيد هذه المحبة يؤدي إلى تعظيمها وإلى تعظيم محبة الله عزَّ وجلَّ.

ومن بين الوسائل التي نُجَسِّد بها محبتنا للرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته مداومة الصلاة عليهم في أوقات الفراغ وأوقات العبادة، فقد جعلها الله جزءًا واجبًا في الصلوات الخمس اليومية تبطل من دونه الصلاة. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (الأحزاب، 56)

كما يمكن تعظيم هذه المحبة من خلال الاستذكار المستمر -سواء في قراءاتنا الفردية أو في اجتماعاتنا الأسرية أو في محيط مجتمعاتنا المحلية- لقصصهم وبطولاتهم والتضحيات التي قدموها لخير البشرية وترسيخ القيم الإلهية في الأرض، ومن أعظم هذه القصص والبطولات ملحمة عاشوراء، الملحمة الإنسانية الخالدة الفريدة من نوعها على مرِّ التاريخ الإنساني.

كما يمكن تجسيد هذه المحبة وتعظيمها من خلال زيارة قبورهم وأضرحتهم واستحضار القيم التي دافعوا عنها وضحُّوا في سبيلها.

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 23

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية، علمًا بأنه تم إيراد أكثر من آية واحدة لبعض المفاهيم:**

### المفاهيم الإسلامية:

1. ذكر القرآن فضائل لأهل البيت (ع) لتعظيم فضلهم ودعوة الناس إلى محبتهم والاقتداء بهم.
2. حبنا لأهل البيت (ع) يجعلنا نرغب تلقائيًّا في الصفات والقيم التي يجسدونها ويدافعون عنها.
3. لتوثيق عرى محبتنا وارتباطنا بالرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته (ع) وجبت الصلاة عليهم.
4. حب النبي ﷺ وأهل بيته (ع) أحد أهم القيم الإسلامية.
5. مكانة أهل بيت النبي ﷺ عظيمة جدًّا في المنظومة الفكرية الإسلامية،

### الآيات القرآنية:

- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (التوبة، 128)
- ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. (الشورى، 23)
- ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (المجادلة، 22)

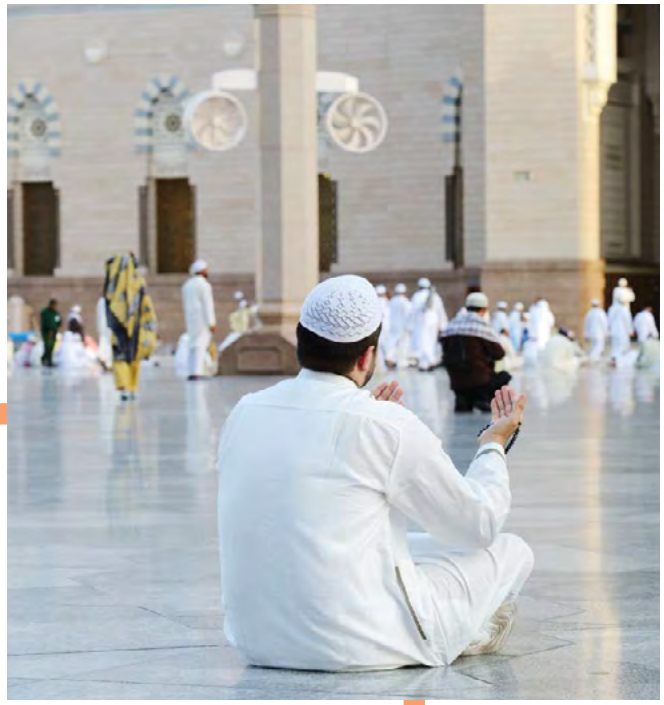

- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾. (الأحزاب، 21)

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب، 33)

- ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا﴾. (الإنسان 8-9)

- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (الأحزاب، 56)

- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (المائدة، 55)

# 24

# التواصل الاجتماعي

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحجرات، 13)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
تبين أن الأشخاص المرتبطين
أكثر اجتماعياً مع الأسرة
والأصدقاء والمجتمع هم
أكثر سعادة وأكثر صحة جسدياً
ويعيشون حياة أطول من
الذين هم أقل ارتباطاً
7:14
الدكتور روبرت والدينجر
التواصل الاجتماعي

إنّ العيش في جماعة ممّا جُبل عليه الإنسان في أصل الخلقة، فالإنسان اجتماعي بالفطرة؛ أي أنّه خُلق منذ خلق وهو جزء من كلٍّ وجُبل على الانجذاب نحوه؛ لأن التفاعل والتواصل والترابط الاجتماعي ضرورة لتحقيق هدف الإنسان الذي خُلق من أجله وهو السير الى الله. قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات، 13)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾. (الفرقان، 54)، حيث تشير هذه الآية بوضوح إلى أنّ صلة القرابة النسبية والسببية من الأُمور التي وُلدت مع الإنسان وعُجنت في فطرته وخلقته. قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. (الزخرف، 32)

ويمكن تصور أهمية الحياة الاجتماعية بالنسبة للإنسان من ناحيتين:

## الحياة الاجتماعية ضرورة ليشعر الإنسان بالطمأنينة والاستقرار والسعادة

فهي ضرورة فطرية عميقة في وجدان الإنسان يحتاج لإشباعها ليشعر بالطمأنينة والاستقرار والسعادة، شأنها شأن سائر الفطر الإنسانية.

وتحدد نظرية تقرير المصير (Self-determination Theory) الدوافع الداخلية التي تدفع الإنسان إلى العمل في ثلاثة عناصر، أحدها العلاقات الاجتماعية (Relatedness)، وتتمثل في حاجتنا إلى الانتماء والتعلق بالأشخاص الآخرين.

في هذا السياق ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: "صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار"، وعنه ﷺ: "إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم، فتنمي أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبرارًا بررة؟".

وهذا ما تؤكده دراسة هارفارد لتنمية البالغين التي أجريت على مدار 75 عامًا وركزت على النواحي الجسدية والنفسية لمجموعتين من السكان بلغ عددهم 724، يقول مدير الدراسة الدكتور روبرت والدينجر: "تبين أن الأشخاص الأشد ارتباطًا اجتماعيًّا مع الأسرة والأصدقاء والمجتمع أكثر سعادة وأكثر صحة جسدية، ويعيشون حياة أطول من الذين هم أقل ارتباطًا، أما الآخرون الأكثر عزلة فهم أقل سعادة، وتتراجع صحتهم بسرعة في منتصف العمر، كما يتراجع أداء أدمغتهم عاجلًا، ويعيشون حياة أقصر من الذين يحاطون بأحبائهم".[27]

## الحياة الاجتماعية هي الميدان العملي لسير الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى

حيث أنها هي الميدان الذي يمارس فيه الإنسان مواهبه وقدراته ليتطور ويتخلص من ضعفه والظلمات التي تشده إلى الدنيا ليرتقي ويسلك إلى الله سبحانه وتعالى.

27 https://youtu.be/wGXSbZ7ipMk

ولهذا فإن الإسلام يدعو إلى مجتمع فيه المحبة والتواصل والتعاون والإخاء والتكافل، مجتمع لا حواجز نفسية أو اجتماعية بين أبنائه، مجتمع متشابك داخليًّا، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ"، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. (آل عمران، 103)

ولهذا شُرعت كثير من الأحكام والتشريعات الإسلامية لتعزيز الروابط الاجتماعية والارتقاء بالإنسان إلى الله عز وجل؛ فشُرعت صلاة الجماعة، وجاء الحث عليها بشدة. ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ (النساء، 102)، وشُرعت صلاة الجمعة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة، 9)، وصلاة العيدين، وشُرع الحج والصوم والزكاة وكثير من الأحكام والشعائر الإسلامية الأخرى التي تحقق التواصل والتراحم والتلاقي والتكاتف والتضامن بين أفراد المجتمع. ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (الأنفال، 63)

كما شددت الشريعة الإسلامية على مراعاة الجيران، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"، وحثت على اتخاذ الأصحاب والإخوان. ورد في نهج البلاغة عن الإمام علي (ع) أنه قال: "أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم"، وحثت على التزاور، فعن الرسول الأكرم ﷺ: "من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ له: أنت ضيفي وزائري، عليّ قراك"، وشددت على وجوب صلة الرحم، وعدَّت قطيعتها من الكبائر: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد 22-23)، وأوجبت بر الوالدين، وعدَّته مكافئًا لعبودية الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. (الإسراء، 23)

ووضعت الضوابط الشرعية لمختلف أنواع العلاقات، وحرمت كثيرًا من المفاسد الأخلاقية

التـي تهـدم العلاقـات الاجتماعيـة وتفسـدها وعدَّتهـا مـن الكبائـر، مثـل: التكبـر، والحسـد، والنميمـة، وشـهادة الـزور، والغيبـة، والسـباب، وانتقـاص الآخريـن، والتنابـز بالألقـاب، وإيـذاء المؤمـن، وإفشـاء سـره.. إلـخ، مثـل قولـه تعـالى: ﴿يَأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لَا يَسْـخَرْ قَـوْمٌ مِّـن قَـوْمٍ عَسَـىٰ أَن يَكُونُـوا خَيْـرًا مِّنْهُـمْ وَلَا نِسَـاءٌ مِّـن نِّسَـاءٍ عَسَـىٰ أَن يَكُـنَّ خَيْـرًا مِّنْهُـنَّ ۖ وَلَا تَلْمِـزُوا أَنفُسَـكُمْ وَلَا تَنَابَـزُوا بِالْأَلْقَـابِ ۖ بِئْـسَ الِاسْـمُ الْفُسُـوقُ بَعْـدَ الْإِيمَـانِ ۚ وَمَـن لَّـمْ يَتُـبْ فَأُولَٰئِـكَ هُـمُ الظَّالِمُـونَ﴾. (الحجرات، 11)

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 24

**وائـم -خلال خمـس دقائـق- بيـن الآيـات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

### الآيات القرآنية:

1. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (الحجرات، 11)

2. ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾. (النساء، 102)

3. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾. (محمد 22-23)

4. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحجرات، 13)

5. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾. (الفرقان، 54)

6. ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (الأنفال، 63)

### المفاهيم الإسلامية:

- ☐ الإسلام يدعو إلى مجتمع المحبة والتواصل والتعاون والإخاء والتكافل، مجتمع ليس فيه حواجز نفسية أو اجتماعية بين أبنائه، مجتمع متشابك داخليًّا.

- صلة القرابة النسبية والسببية من الأُمور التي وُلدت مع الإنسان وعُجنت في فطرته وخلقته.
- وضع الله الضوابط الشرعية لمختلف أنواع العلاقات، وحرم الكثير من المفاسد الأخلاقية التي تهدم العلاقات الاجتماعية وتفسدها، وعدَّها من الكبائر.
- شُرِعَت كثير من الأحكام والتشريعات الإسلامية لتعزيز الروابط الاجتماعية.
- العيش الاجتماعي ممّا جُبل عليه الإنسان في أصل الخلقة، فالإنسان اجتماعي بالفطرة.
- شدد الله على وجوب صلة الرحم، وعد قطيعتها من الكبائر.

# 25 الإصلاح

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.
(هود، 88)

الرجوع لصفحة المحتويات

يُعَدُّ المؤمن الصالح فردًا فاشلًا -في التقدير الإلهي- إذا تقوقع وتمحور حول ذاته؛ إذ يشترط لنجاح الفرد أن يهتم بالمجتمعات الإنسانية من حوله ليرشد غيره لما فيه الصلاح والخير "التواصي بالحق"، ويساعده عمليًّا من خلال التواصي بالصبر على الحق. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (العصر 1-3)

وبالرغم من أن كل كلام الله صدق وحق من دون أية شبهة فإن الله أقسم بالعصر، واستخدم عددًا من أدوات التأكيد لتبيان هذا المعنى وأفرد له سورة كاملة، مما يدل على عِظَمِ هذه الحقيقة وأهميتها.

إن الإنسان الناجح في المفهوم الإلهي هو الإنسان الرسالي الذي يحمل رسالة الخير لكل من حوله من البشر، يقول سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران، 110). إن حمل رسالة الصلاح والخير للبشر تجعل الإنسان يعيش خارج محور ذاته ويحمل هموم غيره، مما يحميه من التقوقع على ذاته، ويؤدّي تلقائيًّا إلى تقمصه قيم الخير والملكات الإنسانية والفضائل التي يدعو إليها.

ولهذا علينا ألا نتقوقع على أنفسنا في هذه الحياة، وإنما علينا أن ننطلق في هذه الحياة، لنمارس الإصلاح فيها على جميع المستويات ابتداءً من أسرنا وأزواجنا وأطفالنا، وانتهاء بالمجتمع العالمي كله.

# التولي والتبري

ليست كل الأفكار والمعتقدات التي نظن أنها إيجابية يمكن أن تسبب لنا السعادة، وإنما يجب أن تتوافق وتنسجم مع الروح والفطر المغروسة فيه لكي نشعر بالطمأنينة والسعادة، وإلَّا فإن عقلنا اللاواعي سيبقى يتألم ويعاني ويتوجع.

وحيث إن عقلنا اللاواعي يسجل كل شيء نمر به أدركناه أو لم ندركه ويتفاعل معه علينا – بالإضافة إلى تثقيف أنفسنا وتصحيح قناعاتنا، والقيام بالممارسات الايجابية المنبثقة منه - التأكد من أن البيئة المحيطة بنا صحية إيجابية بناءة لكي نضمن أن جميع المدخلات إلى عقلنا الباطن إيجابية تساعد في ترسيخ المعتقدات الإيجابية، ولا تلوثه بالمدخلات السلبية.

وحيث إن هذا الأمر في العالم المختلط المعقد الذي نعيشه أشبه بالمستحيل، فعلينا أن نمرّن أنفسنا وعقولنا اللاواعية على التعاطف والتفاعل الإيجابي مع الأحداث الطيبة التي نتعرض لها والمدخلات الجميلة الصحيحة الإيجابية التي تتناسب مع فطرنا، وعلى التفاعل السلبي بالاستهجان والاستنكار مع كل الأحداث الخاطئة التي نتعرض لها والمدخلات السلبية التي تشوه عقولنا وأنفسنا، وهو ما نسميه في ثقافتنا الإسلامية بـ "التولي والتبري".

من جهة أخرى، فإن عملية الإصلاح والتغيير لا يُتوقع لها أن تنجح أو تؤتي أكلها -على مستوى الفرد المصلح، أو على مستوى المجتمع- ما لم تكن نابعة بصدق وإخلاص من قلب الإنسان المصلح.

كما أن الإسلام لا يهدف إلى إيجاد مجموعة من المصلحين هنا وهناك، إنما يهدف إلى تكوين أمة مصلحة دأبها الإصلاح والتغيير. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، 104)، لذا يسعى الإسلام إلى أن تكون حركتنا الإصلاحية ذاتية فينا نابعة من أعماقنا، ومن هنا عمل على ترسيخ الولاء النفسي والعملي في الإنسان تجاه كل قيم الإنسانية ورموزها (التولي)،

وعلى ترسيخ البراءة والرفض النفسي والعملي تجاه كل قيم الفساد وأنواع الظلم ورموزها حتى ولو كانوا أقرب الناس إلينا (التبري).

إن المقصود بالتبري عدم موالاة أعداء الله تعالى أو نصرتهم أو مودتهم أو محبتهم. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. (المجادلة، 22)

أما الإحسان إلى الآخرين من غير أعداء الله والمحاربين للإسلام ولرموزه فهو أمر محبب حتى وإن كانوا ملحدين. ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (الممتحنة 8-9)

هناك عشرات الأحاديث المروية عن الرسول الأعظم ﷺ تُرَسِّخ مبدأ ولاية أهل البيت (ع) والبراءة من أعدائهم، وهذا الأمر من العناصر الرئيسة لترسيخ ثقافة الانتظار في وجدان المسلمين، منها -مثلًا- ما ورد في مسند أحمد ومستدرك الصحيحين: "نظر النبي ﷺ إلى عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: "أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم".

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

على صعيد المجتمع يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظامًا رقابيًّا وتقويميًّا ضروريًّا لما يتسم به من فاعلية ومرونة عالية تجعله قابلًا للممارسة في مختلف الظروف الاجتماعية لوقاية المجتمع من الانحراف عن خط الله بالتحرر والانغماس في الظلمات والفساد، وذلك بسبب ارتكازه على تقويم الانحرافات الفردية أولًا بأول. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران، 104)

عن الإمام علي (ع): "لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليفتحنّ الله عليكم فتنة تترك العاقل منكم حيرانَ، ثمّ ليسلّطنّ الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم، ثمّ من وراء ذلك عذاب أليم".

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محور ملحمة عاشوراء الخالدة وروحها، كما قال بطلها الإمام الحسين (ع): "إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي رسول الله ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"، كما أنه نفسه محور ثقافة انتظار المهدي (ع) وروحها كما سنذكر في الدروس التالية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس ممارسة سلبية عنيفة كما تعودنا أن نراها في بعض المجتمعات ولدى بعض الدعاة والمصلحين، وإنما ثقافة إيجابية بنّاءة ملؤها الرحمة والرغبة في الخير للآخرين. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران، 159)، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (النحل، 125)

## نشاط
## مقالي (خارجي)

**اكتب بحثًا (من 500 كلمة إلى 1000 كلمة) عن كيفية المساهمة بشكل عملي لتحقيق الرسالة الإسلامية، وجعل العالم مكانا أفضل.**

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 25

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (الممتحنة 8-9)

2. ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (النساء، 114)

3. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران، 104)

4. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (العصر 1-3)

5. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. (المجادلة، 22)

6. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. (التوبة، 23)

7. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (النحل، 125)

## المفاهيم الإسلامية:

- ☐ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس ممارسة سلبية عنيفة كما تعودنا أن نراها في بعض المجتمعات ولدى بعض الدعاة والمصلحين، وإنما ثقافة إيجابية بنّاءة ملؤها الرحمة والرغبة في الخير للآخرين.
- ☐ الإسلام لا يهدف إلى إيجاد مجموعة من المصلحين هنا وهناك، إنما يهدف إلى تكوين أمة مصلحة دأبها الإصلاح والتغيير.
- ☐ الله يحثنا على حمل رسالة الخير والصلاح بين الناس.
- ☐ التبري هو عدم موالاة أعداء الله تعالى أو نصرتهم أو مودتهم أو محبتهم.
- ☐ يُعَدُّ المؤمن الصالح فردًا فاشلًا في التقدير الإلهي إذا تقوقع وتمحور حول ذاته.
- ☐ الإحسان إلى الآخرين من غير أعداء الله والمحاربين للإسلام ولرموزه أمر محبب حتى وإن كانوا ملحدين.
- ☐ من الخطأ أن نتخذ أولياء من غير المسلمين مهما بلغت علاقتنا بهم، حتى وإن كانوا آباءنا وإخواننا.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر، 9)

# 26 العطاء والإيثار

الرجوع لصفحة المحتويات

إن سعينا وراء إشباع حاجاتنا الحيوانية الغرائزية -كالأكل والشهوة- وسعينا إلى تطوير أنفسنا إنما يعزِّز حبنا لذواتنا وتمحورنا حولها وتحكمها بنا، لكنَّ الله يريدنا ألا نقع في هذه المصيدة كيلا تكون ذواتنا -من حيث لا نشعر- حاجبًا يحجبنا عن الله كما حدث مع الشيطان اللعين، ولذا يأمرنا الله بالعطاء وإيثار الآخرين على أنفسنا. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر، 9)

ورد عن الإمام الصادق (ع): "لَقَضَاءُ حاجة امرئ مؤمن أحبُّ إلى الله من عشرين حجَّة كل حجَّة ينفق فيها صاحبها مائة ألف".

إننا عندما نحج نمارس عبادة عظيمة جدًّا لأيام عديدة ونقترب فيها من الله كثيرًا، وعندما نقضي حاجة مؤمنٍ قد لا يستغرق ذلك منا دقائق معدودة، لكن أهميتها وقيمتها عند الله أعظم من عشرين حجَّة!

إن للعطاء والإنفاق والإيثار أثرًا كبيرًا في جلب السعادة للإنسان والرقي به إلى الله فردًا ومجتمعًا؛ فهو يخلصنا من التمحور حول ذواتنا، ومن ثم يؤدي إلى فنائنا في الله عز وجل. ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (التغابن، 16)

وفي حياتنا المعاصرة كثير من القنوات الجميلة والمؤسسات الخيرية التي تعمل على ترشيد عملية الإنفاق وتنضيجها، وعادةً ما يكون إنفاقنا عبر التحويل إلى حسابات بنكية.

هذا الأمر جميلٌ في حد ذاته، لكنه -من جهة أخرى- يحرمنا من الاستمتاع بلذة العطاء والشعور به.

لذا يمكننا أن نقوم -إلى جانب هذا الأمر- بممارسة عمليةٍ تطهرنا وترقى بنا، وهذه الممارسة مستوحاةٌ من حُكْمٍ شرعه الله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المجادلة، 12)، ثم نَسَخَه فيما بعد.

الممارسة أن تلتزم بأسرة فقيرة تعرفها شخصيًّا ثم تتفق مع رب تلك الأسرة الفقيرة بأن تتسلم الصدقة التي ستخرجها أنت كلما رغبت في ذلك وكالةً عنه، بحيث تعطيه المبلغ المجموع لديك شهريًّا مثلًا.

والآن وبينما أنت تمارس حياتك العملية ومنهمك في خِضمّ صراعاتها وانشغالتها اليومية كلما واجهت مشكلةً أو تحدِّيًا فاتجهت تدعو الله للتفريج عنك وقضاء حاجتك أخرج قبل ذلك صدقةً من محفظتك لذلك الفقير، وتسلمها وكالةً عنه، وَضَعْهَا في الجيب الآخر أو الجانب الآخر من المحفظة.

وكلما حدث لك أمر جميلٌ أدخَلَ السرور إلى قلبك اشكر الله بإخراج صدقة لذلك الفقير، وتسلمها وكالةً عنه. لا يهم مقدار الصدقة التي تخرجها، فالصدقة فضلها عظيم عند الله وإن كان المبلغ صغيرًا. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (البقرة، 286)

الفكرة أن تربط حياتك بتحدياتها ونجاحاتها بالله وبالعطاء في سبيله، وهذا ما يعمل

تدريجيًّا على تطهير نفسك والارتقاء بها كثيرًا إلى الله وإن لم تشعر بذلك.

وهناك نوعٌ آخر من الإنفاق لا يكلفك شيئًا لكن أثره في كثيرٍ من الأحوال يكون أعظم من صدقة المال، ألا وهو الصدقة بالكلمة الطيبة. عن الرسول الأكرم ﷺ في وصيته لأبي ذر: "يَا أَبَا ذَرٍّ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ".

في خضم واقعنا المعاصر والصراعات والصعوبات التي تكتنفه والأمراض النفسية المتفشية فيه أصبح الناس -جميع الناس- في أمسّ الحاجة إلى كلمةٍ طيبةٍ صادرةٍ من قلبٍ مخلصٍ طيبٍ محبّ لكي تشعر بالراحة ونوعٍ من الهدوء.

صحيحٌ أنك بكلمتك الطيبة ربما لا تساعد الشخص في حل مشكلته بشكلٍ مباشر، لكن هذه الكلمة الطيبة المخلصة الصادرة من قلبك تدخل في وجدان من تُلقيها إليه لتمدّه بنوعٍ من الراحة والقوة، -بل ربما البصيرة أحيانًا- مما قد يمكنه من حل مشكلته. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾. (إبراهيم 24-26)

ربما تكون متخصصًا في مجالٍ ما يحتاجه الناس، وفي هذه الحال يمكنك أن تتصدق بجزءٍ من وقتك (يومًا في الأسبوع أو في الشهر مثلًا) في خدمة المجتمع والناس، لا سيّما إلى أولئك الذين لا يملكون أن يدفعوا لقاء هذه الخدمات التخصصية الاستشارية، واجعل ذلك في المسجد -إن أمكن- لتربط عطاءك ونفسك والناس الذين يستفيدون من خدماتك المجانية بالله عزَّ وجلَّ.

وأخيرًا -وهو الأمر الأشد صعوبةً في صدقة الكلمة الطيبة- تعوَّد أن تدرأ بالسيئة الحسنة، فإذا أساء أحدهم إليك بكلمةٍ جارحةٍ مثلًا فأحسن إليه. ﴿والَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾. (الرعد، 22)

إنهـا عمليـة ترويـض للنفـس وتخلـص مـن هيمنتهـا وأنانيتهـا وشـحّها لتنطلـق إليـه سـبحانه وتعـالى مـن دون أن تكـون مكـبلًا ومقيـدًا بذاتـك ونقصها وعجزها.

تأمـل كيـف أن الله يصـف مـن يسـتطيعون تحقيـق ذلـك بأنهـم أصحـاب حـظٍّ عظيـم، أفلا نريـد أن نكـون منهـم؟ ﴿وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّـذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّـهُ وَلِـيٌّ حَمِيـمٌ * وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّذِيـنَ صَبَـرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيـمٍ﴾. (فصلت 34-35)

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 26

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

### الآيات القرآنية:

1. ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾. (الإسراء، 53)

2. ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. (البقرة 2-4)

3. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (التوبة، 103)

4. ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (التغابن، 16)

5. ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة، 268)

6. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. (فصلت 34-35)

### المفاهيم الإسلامية:

- ☐ الله يأمرنا بأن نتحدث إلى الناس بأحسن الكلام، كيلا نسمح للشيطان بإيقاع الفتن وإيغار قلوب الناس.

- تصدُّق الإنسان وإنفاقه موجبان لتطهيره والرقي به إلى الله.
- للعطاء أثرٌ كبير في جلب السعادة للإنسان والرقي به إلى الله؛ فهو يخلصنا من تمحورنا حول ذواتنا.
- يعمل الشيطان على تخويف الناس من الفقر إذا هم أرادوا التصدق والإنفاق في الخير.
- الأمر الأشد صعوبةً في صدقة الكلمة الطيبة والفعل الطيب هو أن ترد على من يسيء إليك بالإحسان إليه، وهو سلوك وصف الله أصحابه بأنهم أصحاب حظٍّ عظيم.
- الإنفاق في سبيل الله واحد من خمس صفات مميزة للمتقين.

# 27

# الغرور والثقة بالنفس

﴿فَـإِذَا عَزَمْـتَ فَتَـوَكَّلْ عَلَى اللّـهِ إِنَّ اللّـهَ يُحِـبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، 159)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
الغرور والثقة بالنفس
16:35

حين تشق طريقك نحو الكمال، وتكتسب الفضائل بما تبذله من جهد ومران وتركيز ويرزقك الله به من نعم، فإنك تلقائيًّا تتميز عن أقرانك بمجموعة من الفضائل الظاهرة على الأقل، مما يؤدي إلى سماعك وتلقيك الثناء والمديح ممن حولك، وهذا يجعلك تشعر بالفخر والزهو بما تملك من مواهب وفضائل، وبمرور الوقت ربما يتسلل الغرور والعُجب إلى قلبك.

الغرور والعجب والأنا كلها تدور معًا، وهي من أعدى أعداء الإنسان وأشدها خطورة عليه، فهي كفيلة بتدميرنا من الداخل، وتدمير كل شئ جميلٍ من حولنا في الدنيا وفي الآخرة، ولذا نهى الله عنها بشدة، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. (لقمان، 18)

إن التاريخ البشري يحدثنا عن كثير ممن يصفونهم بـ "العظماء" سقطوا إلى الحضيض عندما سيطر عليهم شعور بعظمة ذواتهم، ولهذا فالمنهج الإسلامي يأمرنا دائمًا باستصغار أنفسنا واستشعار عظمة أنفسنا من حيث عبوديتنا لله عز وجل. تأمل مناجاة الإمام علي (ع): "إلهي، كفى بي عزًّا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًّا".[28]

وإذا لم يتسلل الغرور والعجب إلى قلبك فإن نجاحاتك المتوالية وتميزك بمجموعة من الفضائل -مثل: القوة البدنية، أو الذكاء، أو الحكمة، أو المعرفة، أو القدرة على القيادة، أو غيرها- تجعلك تشعر بالثقة في نفسك وفيما تملكه من قدرات تستخدمها في تحقيق مآربك وأهدافك، ولا شك أن هذه الثقة

28 شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 20 - الصفحة 255

بالنفس -إن كانت مبنية على أسس علمية موضوعية- أمر رائع، ولكن، هل يمكن أن تكون كذلك؟ أم أنها مجرد وهم وغرور؟

لا شك أنها وهم وغرور، رغم ما تدعيه جميع كتب تطوير الذات من كونها مسألة ضرورية وأساسية لنجاحك واستقرارك النفسي، إذ: كيف نستطيع علميًّا أن نثق في أنفسنا وفي معرفتنا بها وأنها صحيحة وواقعية وموضوعية بعد كل ما عرفنا عن النفس الإنسانية في الفصول السابقة وبعد أن عرفنا أن 95% من الناس يعتقدون أنهم يمتلكون وعيًا ذاتيًّا ولكن أكثر من 85% منهم يكذبون على أنفسهم؟

وإذا كنا من بين تلك القلة التي تستطيع معرفة قدراتها بدقة وموضوعية عالية يظل من المؤكد أننا مجرد عامل واحد في لعبة القدر، وهناك كثير من العوامل والقوى الخارجية الواقعية الموضوعية التي تعمل باتجاهات شتى وأحيانًا بعكس ما نعمل من أجله، ولذا من المحتمل ألا يتحقق ما نسعى إليه بتأثير هذه القوى.

إذًا: أن تثق في قدراتك معتقدًا أنها قادرة على تحقيق طموحاتك وأهدافك متجاهلًا العوامل والقوى الأخرى الخارجية الموضوعية الواقعية وتأثيراتها على تحقيق أهدافك، متجاهلًا نفسك الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان هو نوع من الغرور والوهم والجهل، وهذا ما يحذرنا الله من أن نقع فيه؛ لأنه شديد الخطورة. ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف، 53)، وعن الرسول الأعظم ﷺ: "إلهي.. لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، وأبعد من الخير"[29]، وقال الإمام علي (ع): "الثقة بالنفس من أوثق فرص الشيطان".[30]

إذا كان الأمر كذلك، فهل هناك من بديل واقعي موضوعي صحيح عن ثقة الإنسان بنفسه يدفع الإنسان إلى الانطلاق في هذه الحياة بكل قوة وجرأة وثقة وطمأنينة من دون أي قلق أو خوف مهما اجتمعت وتآزرت مختلف العوامل الخارجية والقوى ضده وضد

29 وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج 19 - الصفحة 261
30 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 4 - الصفحة 3665

أهدافه يل يمضي بقلب قوي مملوء بالعزم واليقين والثقة؟

والجواب: نعم بكل تأكيد، وليتضح الأمر نمسك بجميع جوانب المسألة قطعة تلو أخرى ونركبها مثل قطع البازل لتركب لنا لوحة منطقية مترابطة ورائعة الجمال.

## القطعة الأولى: المعرفة الموضوعية العلمية لا بديل عنها للانطلاق في الحياة

يقول الإمام علي (ع) لصاحبه كميل: "يا كميل، ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة"[31]. إن أساس حركتك وانطلاقك في الحياة المعرفة الموضوعية وليس الجهل والوهم أيًّا كان مبرره، ولذا فعلينا أن نتعرف قدراتنا ومواهبنا وما فضلنا الله به من نعم بشكل موضوعي بعيدًا عن تأثيرنا النفسي لنبني عليها في تخطيطنا لحياتنا. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى، 11)، لاحظ قول نبي الله يوسف (ع) لفرعون: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. (يوسف، 55)

علينا أن نتعرف نقاط قوتنا ونقاط ضعفنا والفرص المتاحة لنا لتحقيق أهدافنا والتهديدات التي تعترض طريقنا (ما نسميه في التخطيط الإستراتيجي بتحليل سوات)، وقبل ذلك علينا أن نحدد أهدافنا وما نسعى إلى تحقيقه. عن الإمام جعفر الصادق (ع): "الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُه سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا".[32]

## القطعة الثانية: الثقة بالنفس أمر غير مبرر علميًّا وإن امتلكت القدرة

إن معرفتنا بنقاط قوتنا وفضائلنا وعَمَلَنا على اكتسابها -وإن كان يزيد بشكل واقعي خارجي وفق السنن التي خلقها الله- يعزز فرص نجاحنا

31 تحف العقول - ابن شعبة الحراني - الصفحة 171

32 الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، صحّحَهُ وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1363هـ. ش، ط5، ج1، ص43

فـي تحقيـق أهدافنـا، ولكنـه لا يضمـن تحققهـا؛ إذ إننـا مجـرد عامـل واحـد فـي لعبـة القـدر، وهنـاك كثيـر مـن العوامـل والقـوى الخارجيـة الواقعيـة الموضوعيـة التـي قـد تفشـل مـا نسـعى نحـن لتحقيقه كما قلنا.

ولـو اجتمعـت جميـع القـوى والعوامـل الخارجيـة على تحقيـق أمـر مـا وأراد البـاري عـز وجـل أمـرًا آخـر سـيتحقق مـا أراده الله وليـس سـواه. ﴿إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئًا أَن يَقُـولَ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ﴾ (يـس، 82). قـال تعـالى: ﴿يَاأَيُّهَـا النَّـاسُ ضُـرِبَ مَثَـلٌ فَاسْـتَمِعُوا لَـهُ ۚ إِنَّ الَّذِيـنَ تَدْعُـونَ مِـن دُونِ اللَّـهِ لَـن يَخْلُقُـوا ذُبَابًـا وَلَـوِ اجْتَمَعُـوا لَـهُ ۖ وَإِن يَسْـلُبْهُمُ الذُّبَـابُ شَـيْئًا لَّا يَسْـتَنقِذُوهُ مِنْـهُ ۚ ضَعُـفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾. (الحج، 73)

## القطعـة الثالثة: توكّل على اللـه، وثـق بـه دون غيره

ذكرنـا فـي الـدروس السـابقة أن القـرب مـن الله يعنـي تحقـق عنصريـن؛ الأول: ازديـاد قدراتنـا وفضائلنـا (وجودنـا)، والثانـي: ازديـاد إحساسـنا وإدراكنـا لعبوديتنـا للـه، وأن الله هـو الغنـي ونحـن الفقـراء إليـه. ﴿يَاأَيُّهَـا النَّـاسُ أَنتُـمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللَّـهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. (فاطر، 15)

ولهـذا فـي الوقـت الـذي يدعـو فيـه الله الإنسـان لتطويـر قدراتـه وفضائلـه ووجوداتـه (العنصـر الأول) عـن طريـق الكـدح فـي الدنيـا بالأخـذ بقانون السـببية (القطعـة الأولى) شـرع التـوكل عليـه وحـده لا سـواه. ﴿أَلَّا تَتَّخِـذُوا مِـن دُونِـي وَكِيـلًا﴾ (الإسـراء، 2) لترسـيخ عنصـر العبوديـة فينـا (القطعة الثالثة).

فبـدلًا مـن الثقـة بنفسـك وبمـا تملكـه وبأسـباب الدنيـا الأخـرى والاعتمـاد عليهـا فـي تحقيـق أهدافـك يريدنـا الله أن نركـن إليـه وأن نتـوكل عليـه وحـده. ﴿مَّـن كَانَ يُرِيـدُ ثَـوَابَ الدُّنْيَـا فَعِنـدَ اللَّـهِ ثَـوَابُ الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّـهُ سَـمِيعًا بَصِيـرًا﴾ (النسـاء، 134)، مـع بذلنـا الجهـد والسـعي المعقـول والأخـذ بالأسـباب فـي تحقيـق أهدافنـا، فعنـه ﷺ: "أعقلهـا وتـوكل"، فهـو مسـبب الأسـباب، وهـو على كل شـيء قديـر. ﴿قُـل لَّـن يُصِيبَنَـا إِلَّا مَـا كَتَـبَ اللَّـهُ لَنَـا هُـوَ مَوْلَانَـا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (التوبة، 51)

علينا أن نثق بالله، ونوقن أنه معنا دائمًا يمدُّ لنا يد العون لخيرنا وصلاحنا، غير أن هذا الخير والصلاح قد يتجلى في بعض الأحيان في شكل بلاءٍ ومعاناةٍ! لكن مهما عانينا في حياتنا ومهما سُدَّت الأبواب في أوجهنا علينا ألا نفقد ثقتنا بالله، وأن نعلم يقينًا أنه سبحانه لن يتخلى عنا؛ لأنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. (الأنعام، 12)

والثقة بالله والتوكل عليه عز وجل هما سر قوة القلب والعزيمة الجبارة والطمأنينة والإحساس بالعزة التي يمتاز بها المؤمن المرتبط بالله. لاحظ ثقة نبي الله موسى وطمأنينته عندما حوصر هو وقومه بين جنود فرعون والبحر، فقال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء، 61)، فرد عليهم (ع): ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء، 62). عن الإمام علي (ع): "أصل قوة القلب التوكل على الله".[33]

ولهذا، فالمؤمن بثقته بالله وتوكله عليه يشعر بالعزة والقوة، ولا يجزع من تكاثر التحديات والمواجهات، فهو موقن بالله، راضٍ بقضائه وقدره، ومسلِّم أمره إليه، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، 139)، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (المنافقون، 8)

إن شعور المؤمن المرتبط بالله بالاعتزاز والقوة وثقته بالله ليس ناشئًا عن الشعور بأن الله سيحقق له أغراضه الدنيوية التي يسعى إليها، بل أعظم من ذلك بكثير، فهو موقن بأن الله سيختار له الأفضل له وأنه سيحققه له، حتى وإن تآزرت الدنيا على غير ذلك. عن الزهراء (ع): "من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عز وجل له أفضل مصلحته".[34]

## القطعة الرابعة: تواضع لله

إن اكتسابك الفضائل والقدرات والنعم -سواء كانت بالوراثة، أو التربية أو بفضل جهودك الخاصة، أو الحظ- إنما هو نعمة ساقها الله

33 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 3 - الصفحة 2617

34 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 2 - الصفحة 882

إليك، شأنها شأن المنصب الوظيفي في عالم الدنيا، وهو مسؤولية بقدر ما يمثل متعة ولذة، فبقدر فضائلك وقدراتك تكون عبوديتك لله، ويكون عليك حق أدائها. عن الإمام علي (ع): " لكل شئ زكاة، وزكاة العقل احتمال الجهال".[35]

ولهذا، فإن أنت قصرت أو تهاونت في ذلك فقد تهاونت في عبوديتك لله، وهذا ما يجعلك تشعر بالانكسار والتواضع الداخليين جراء ثقل المسؤولية والخوف من التقصير في أدائها، مما يدفعك بشكل أكبر إلى الاستماتة في التقرب من الله، والجهاد في سبيله، وشكره على نعمه ومننه عليك، وبالطبع هذا يكون انعكاسه عليك في مزيد من النعم والعروج في درب الصدق الذاتي والقرب من الله عز وجل. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم، 7). تأمل دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (ع): "إلهي.. وَلا تَرفَعنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِندَ نَفسِي مِثلَهَا، وَلا تُحدِث لِي عِزًّا ظَاهِرًا إلاّ أَحدَثتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِندَ نَفسِي بِقَدَرِهَا".

35 ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 2 - الصفحة 1151

ونحن -مهما بلغ إيماننا- مقصرون في حق أداء عبودية الله وشكره على عظيم مننه، وإن كان الله بلطفه ورحمته يقبل منا أقل القليل. يقول الإمام الحسين (ع) في دعاء يوم عرفة: "لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الأعصارِ وَالأحْقابِ -لَوْ عُمِّرْتُها- أَنْ أُؤَدِّيَ شُكْرَ واحِدَة مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلِكَ إلاّ بِمَنِّكَ الْمُوجَبِ عَلَيَّ بِهِ شُكْرَكَ اَبَدًا جَديدًا، وَثَنآءً طارِفًا عَتيدًا".

وبهذه العقيدة والفهم لا يمكن أن يسبب لك امتلاك المزايا والفضائل إحساسًا بالفخر والغرور، وإنما بالتواضع والانكسار الداخليين تجاه الله والخشية منه سبحانه وتعالى. لاحظ مناجاة الإمام علي زين العابدين (ع): "إلهي، إليك أشكو نفسًا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسَّها الخير تمنع، وإن مسها الشر تجزع، ميالة إلى اللعبة واللهو، مملوءة بالغفلة والسهر". (مناجاة الشاكين)

## القطعة الخامسة: تواضع للناس

التواضع للناس يعني ألا تشعر بأنك أعلى منزلة ودرجة من الآخرين مهما أوتيت من قدرات ومواهب ونعم، ومهما أنجزت من أعمال وبطولات، ومهما تميزت روحيًّا أو قلبيًّا أو عقليًّا أو جسديًّا، ومهما كان هؤلاء الآخرون سيئين وناقصين من وجهة نظرك.

والسبب الموضوعي لهذا التواضع أن معيار رفعة المنزلة والدرجة كما حدده الله هو التقوى وحده دون سواه. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، 13)، ولهذا فالنعم والقدرات والمواهب التي يمنُّ الله بها عليك ليس فيها أي دلالة على مدى كرامتك لدى الله وعلو منزلتك، فالله يمنُّ بالفضائل والنعم على الجميع -مسلمين كانوا أو كافرين- كرمًا منه وعطاءً ولطفًا. ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. (الإسراء، 20)

أما علو منزلتك ودرجتك فهو منوط بمدى تقواك التي تعني -بشكل عملي- مدى الجهد الذي تبذله في سبيل أداء حق عبوديتك لله، وأهم منه النية (الوعي) التي تدفعك إلى بذل الجهد.

ولهذا قد تعلم أنك أكثر علمًا وثقافةً وعطاءً وخدمة للناس من شخص آخر، ولكنك لا يمكن أن تطمئن إلى أن مقامك أرفع من مقامه ومنزلتك أعلى من منزلته؛ لأن هذا الآخر حتى وإن كان أقل منك في الظاهر إلا أنه ربما بسبب تركيبة دماغه أو جيناته أو التربية التي كبر عليها أو بسبب ظروف بيئية أو جسدية أو عقلية أو نفسية تخصه يبذل جهود جبارة أكثر مما تبذلها أنت للقيام بالأعمال العظيمة التي تقوم بها وبنية ربما تفوق نيتك إخلاصًا، وصدقًا ووعيًا ليمنع نفسه من الانزلاق إلى الهاوية، أو ليقهر نفسه للقيام ببعض أعمال الخير البسيطة، وبهذا ربما يكون أعلى منك منزلة ومقامًا عند الله، رغم أنه يبدو سيئًا وناقصًا في ظاهره، ومن هنا يحكي القرآن الكريم عن بعض أهل النار قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ (ص 62-63)، وعن الإمام علي (ع) : "إن الله أخفى أربعة في أربعة.. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرون عبدًا من عبيد الله، فربما يكون وليه، وأنت لا تعلم".[36]

36 مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) - الميرجهاني - ج 3 - الصفحة 187

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس

**وائـم -خلال عشـر دقائـق- بيـن النصـوص الشرعية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

**النصوص الشرعية:**

1. عـن الرسـول الأعظم ﷺ: "إلهـي.. لا تكلني إلى نفسـي طرفـة عيـن أبـدًا، فإنـك إن تكلنـي إلى نفسي أقرب من الشر، وأبعد من الخير".
2. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. (لقمان، 18)
3. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام 12).
4. عـن الإمـام علـي (ع): "إلهـي، كفـى بـي عـزًّا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًّا".
5. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. (يوسف، 55)
6. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾. (الحج، 73)
7. ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. (الشعراء، 62)
8. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (التوبة، 51)
9. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. (آل عمران، 139)
10. ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. (الإسراء، 20)

**المفاهيم الإسلامية:**

- ☐ الثقـة باللـه والتـوكل عليـه عـز وجـل همـا سـر قـوة القلـب والعزيمـة الجبـارة والطمأنينـة والإحسـاس بالعـزة التـي يمتـاز بهـا المؤمـن المرتبط بالله.

- [ ] بدلًا من الثقة بنفسك، وبما تملكه، وبأسباب الدنيا الأخرى والاعتماد عليها في تحقيق أهدافك، يريدنا الله أن نركن إليه، وأن نتوكل عليه وحده.

- [ ] ثقتك بنفسك واعتقادها بأنها قادرة على تحقيق طموحاتك وأهدافك نوع من الغرور والوهم والجهل، وهذا ما يحذرنا الله من أن نقع فيه.

- [ ] النعم والقدرات والمواهب التي يمنُّ الله بها عليك ليس فيها أي دلالة على مدى كرامتك لدى الله وعلوِّ منزلتك؛ فالله يمنُّ بالفضائل والنعم على الجميع -مسلمين كانوا أو كافرين- كرمًا منه وعطاءً ولطفًا.

- [ ] المؤمن بثقته بالله وتوكله عليه يشعر بالعزة والقوة، ولا يجزع من تكاثر التحديات والمواجهات، فهو موقن بالله، راضٍ بقضائه وقدره، ومسلم أمره إليه.

- [ ] الغرور والعجب والأنانية كلها تدور معًا، وهي من أعدى أعداء الإنسان وأشدها خطورة عليه، فهي كفيلة بتدميرنا من الداخل وتدمير كل شيء جميلٍ من حولنا في الدنيا وفي الآخرة، ولذا نهى الله عنها بشدة.

- [ ] يدعونا الإسلام إلى تعرف قدراتنا ومواهبنا وما فضَّلنا الله به من نعم بشكل موضوعي بعيدًا عن تأثيرنا النفسي لنبني عليها في تخطيطنا لحياتنا.

- [ ] مهما عانينا في حياتنا ومهما سُدَّت الأبواب في أوجهنا علينا ألا نفقد ثقتنا بالله، وأن نعلم يقينًا أنه سبحانه لن يتخلى عنا.

- [ ] لو اجتمعت جميع القوى والعوامل الخارجية على تحقيق أمر ما، وأراد الباري عز وجل أمرًا آخر سيتحقق ما أراده الله وليس سواه.

- [ ] المنهج الإسلامي يأمرنا دائمًا باستصغار أنفسنا واستشعار عظمة أنفسنا من حيث عبوديتنا لله عز وجل.

# 28 العبادات

﴿وَمَـا أُمِـرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِيـنَ لَـهُ الدِّيـنَ حُنَفَـاءَ وَيُقِيمُـوا الـصَّلَاةَ وَيُؤْتُـوا الـزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. (البينة، 5)

الرجوع لصفحة المحتويات

إن تفاصيل هذه العبادات مذكورة في كتب فقهاء المسلمين المنتشرة في المكتبات حول العالم، وهي بشكل عام محل إجماع بينهم، والاختلاف فيها إنما هو في بعض تفاصيل أدائها، وهو الباب المفتوح للاجتهاد في الفكر الإسلامي.

تتفق المذاهب الإسلامية في أعداد الفرائض اليومية في الحضر والسفر وأذكارها، وكذا في صوم رمضان ومفطراته، والزكاة وموادها ومصارفها، والحج والعمرة وأقسامهما وواجباتهما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، إنما تختلف في بعض التفاصيل، كإضافة "الصلاة خير من النوم" للأذان، وإسبال اليدين أو عدم إسبالهما في الصلاة.

إن العبادات -بما تشمله من صلاة وقراءة القرآن ودعاء وحج وصوم وزكاة وغيرها من الشعائر العبادية- أحد أهم مرتكزات الشريعة الإسلامية، وقد شدَّد الإسلام على أهميتها بين المسلمين ورغّب فيها أيَّما ترغيب. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات، 56)

تسمو العبادات بشكل فعّال بالإنسان وتدفعه نحو المحاور الأربعة سالفة الذكر في الدروس الماضية من خلال حيثيتين:

الأولى: أنها تعمق في نفوسنا حال الإحساس بالعبودية لله، وبذا تصبح نفوسنا أكثر صفاء وقوة وجمالًا وأقل تأثرًا بالشهوات والقوى

الغضبيـة وأشـد رغبـة فـي القيـم والصفـات الإلهيـة (العنصـر الثانـي مـن معادلـة القـرب إلى الله جـلّ جلالـه). هـذا مـا تعبـر عنـه الآيـة الكريمـة: ﴿وَأَقِـمِ الـصَّلاةَ إِنَّ الـصَّلاةَ تَنْهَـى عَـنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. (العنكبوت، 45)

أمـا الثانيـة فهـي أن العبـادات -مـن صلاة وصـوم وحـج وقـراءة القـرآن ودعـاء وغيرهـا- تغطـي معظـم أوقاتنـا خلال السـنة وخلال اليـوم، وتمـر بنـا بأنـواع متعـددة مـن الأنشـطة البصريـة والسـمعية والجسـدية والروحيـة والعقليـة مـن خلال مختلـف المشـاعر، كالحـب، والخـوف، والرجـاء، والعبوديـة للـه، والرحمـة، والتضامـن مـع المؤمنيـن، وإنـكار الـذات، والرغبـة فـي العطاء، وغيرها.

هـذه العبـادات تشـتمل على جميـع القيـم والصفـات الإلهيـة والمفاهيـم الإسلاميـة، وبالتالي فعنـد تفاعلنـا معهـا وممارسـتنا لهـا تتسـرب هـذه القيـم وهـذه المفاهيـم إلى وجداننـا وكل جنبـة فينـا، وتصبـح جـزءًا مـن بنائنـا النفسـي (العنصـر الأول من معادلة القرب إلى الله جلّ جلاله).

وهـذا يعتمـد على مـدى تفاعلنـا مـع هـذه العبادات وخشـوعنا فيهـا، وقـد أكـد القـرآن هـذا المعنـى لـدى تناولـه منسـك الأضحيـة فـي فريضـة الحـج، فقـال سـبحانه وتعـالى: ﴿لَـن يَنَـالَ اللَّـهَ لُحُومُهَـا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾. (الحج، 37)

## ترسـيخ العبوديـة للـه في وجداننا

هنـا نتنـاول السـؤال الـذي طرحنـاه فـي الـدرس الفائـت (استشـعار العبوديـة للـه)، وهـو: كيـف يمكننا عمليًّا ترسيخ العبودية لله في وجداننا؟

نحـن لا نحتـاج إلى أن نبتكـر الحلـول، فاللـه لـم يتركنـا سـدى. ﴿أَيَحْسَـبُ الْإِنسـان أَنْ يُتْرَكَ سُـدًى﴾ (القيامـة، 36)، بـل شـرع لنـا مـن الحلـول والممارسـات مـا يضمـن لنـا النجـاح والطمأنينـة، وكل ما نحتاج إليه هو الانتباه لها.

بشـكل عـام هنـاك مسـتويان مـن الحلـول، أو فلنقل: سلتان من الممارسات شرعها الله لنا:

## 1. سلة الحد الواجب من الممارسات

تتمثل في العبادات والأذكار الواجبة بما فيها الصلوات الخمس وغيرها، هذا الحد أكثر من كافٍ في نفسه ليجعل الإنسان سعيدًا ومطمئنًا في حياته، لكن بشرط أن يؤديها بنوع من الانتباه والإدراك والتأمل.

فليس المطلوب منك (مثلًا) أن تصلي بخشوع أولياء الله الصالحين، ولا أن تفهم معنى كل ما تقول في صلاتك، لكن وأنت تصلي استشعر -ولو بمقدار- أنك بين يدي الله، وأنه هو من دعاك، ثم استشعر تلك القيم الإلهية التي تعلمها عن رحمة الله وعظمته.

حاول أن تُحلّقَ في سماء حبك لله.. تذكر أن حبه سبحانه وتعالى مغروس فينا بالفطرة، وأنه سبحانه مَنْ غرس فينا حبه، ولذا لا تستحي، وأتح الفرصة لهذا الحب الجميل أن يظهر إلى عقلك الظاهر، ثم استمتع واستلذّ به.

خَاطِب الله من أعماق قلبك بما تشاء وانطلق في وصف ما تريد، فهو يسمعك ويراك، وهو معك ولا يغفل عنك وإن أنت غفلت عنه.

ولكن مهلًا.. لا تعنِّف نفسك ولا تكرهها على ذلك، وإنما خذها باللين والرقة واللطف كما لو أنها طفلٌ صغيرٌ جامحٌ، وإلا فسوف تتمرد عليك.

سيشرد ذهنك مرارًا إلى عالم الدنيا وصراعاتها وملذاتها.. لا بأس بذلك، فهذا طبيعي ومتوقع، وهو تقريبًا حال كل الناس، فلا تقسُ على نفسك ولا تؤنِّبها، لا سيما أن الشيطان يبذل غاية جهده ليوسوس لك ويلهيك عن ذكر الله. ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (المجادلة، 19)، بل عُدْ مرة أخرى إلى رشدك، واستشعر عظمة الله وحبه لنا ورحمته بنا.

ربما ستخطر على بالك وأنت تصلي بعض الأفكار الدنيوية النيرة وحلول لبعض المشكلات العصية، وقد تستغرق في التفكير فيها ساهيًا عن ذكر الله، وحين الانتهاء من الصلاة سيؤنبك الشيطان ويقنعك بأن الدنيا متحكمةٌ فيك، وأنه لا أمل لك لكي تنطلق إلى الله وأنت مرتبطٌ بالدنيا.

إن الشيطان يتعامل معك بمكر وخُبث، فكن أذكى منه واعتبر أن هذه الأفكار النيرة التي راودتك في الصلاة إلهام وهِبةٌ من الله، ولذا اسجد لله شكرًا وامتنانًا، حينها سيخسأ الشيطان اللعين، ويرتد على عقبه.

ستتذكر كل مشاغل الدنيا وأنت تهم بالصلاة، وستشعر أنك على عجلة من أمرك للقيام بمشاغلك الكثيرة، كأن ترعى ابنك الصغير، أو تقابل المقاول، أو تلتقي بأصدقائك القادمين لزيارتك وهلم جرًّا، ولكن، مهما كانت أهمية الأمر الذي تخطط للقيام به بعد صلاتك لا تتعجل في صلاتك.. دع الدنيا وكل انشغالاتها عند عتبة باب الغرفة، وانزعها من عقلك كما تنزع النعل من قدميك عندما تهم بالصلاة. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فأولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (المنافقون، 9)

امنح نفسك وقتًا لتستمتع بالصلاة، ولكن لا تجبرها على البطء في الصلاة، وإنما اسمح لها بالوقت الذي تحتاجه للصلاة.

وهكذا تَعَامَلْ مع كل عبادة بتأمل وهدوء حتى تمكّن مضامينها ومعانيها وأهدافها من التسلل إلى أعماقك ووجدانك، ولا تنسَ أن مَنْ فرضها هو الله عز وجل صانع الإنسان والعليم بما يصلحه ويفسده. تأمل قول الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. (العنكبوت، 45)

### 2. سلة أصحاب الطموح:

تتمثل في العبادات والأذكار المستحبة، بما فيها صلاة الليل وغيرها، فالله الذي خلقنا يعلم أن بعضًا منا أصحاب همةٍ وطموحٍ للأفضل، ولهؤلاء وضع الله هذه السلة.

بالطبع يكاد يكون من المحال أن تأتي بجميع ما ورد في هذه السلة من الممارسات، ولكن خذ منها بقدر يلائم نفسك وقدراتك وظروفك وهمتك وحاجاتك.

## نشاط
## مقالي (خارجي)

**اكتب بحثًا (من 500 كلمة إلى 1000 كلمة) عن الآليات والوسائل التي ترى أنه يمكن للمجتمعات المسلمة اتباعها لترسيخ قيم العيش المشترك والتسامح بين المذاهب الإسلامية المختلفة.**

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 28

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية، علمًا بأن هناك آيات قرآنية ليست ذات علاقة مباشرة بهذه المفاهيم:**

### المفاهيم الإسلامية:

1. خَاطِب الله من أعماق قلبك بما تشاء وانطلق في وصف ما تريد، فهو يسمعك ويراك وهو معك، ولا يغفل عنك وإن أنت غفلت عنه.

2. شرع الله العبادات والشعائر لا حاجة منه سبحانه إليها، وإنما لتعزيز حال التقوى والخشوع وإحساسنا بالعبودية له.

3. التهاون في الصلاة والاستهانة بها واتباع الشهوات يؤدي بالإنسان إلى أن يصبح من أولياء الشيطان.

4. الله ينهى الإنسان عن أداء صلاته وهو منشغل بأمور الدنيا وزينتها.

5. تُعَمِّق العبادات في نفوسنا حال الإحساس بالعبودية لله، وبذلك تصبح نفوسنا أكثر صفاء وقوة وجمالًا وأقل تأثرًا بالشهوات والقوى الغضبية وأشد رغبة في القيم والصفات الإلهية.

6. الشيطان يبذل غاية جهده ليوسوس للإنسان ويُلْهِيه عن ذكر الله.

### الآيات القرآنية:

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. (البقرة، 172)

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. (الفاتحة، 5)

- ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. (مريم، 59)
- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾. (الحج، 37)
- ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. (آل عمران، 51)
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (البقرة، 186)
- ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾. (المجادلة، 19)
- ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (يونس، 104)
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (المنافقون، 9)
- ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. (العنكبوت، 45)
- ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. (الأنعام، 56)
- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (المائدة، 76)

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الحشر، 21)

# 29 قراءة القرآن الكريم

الرجوع لصفحة المحتويات

إن القرآن الكريم أحد مصدري الشريعة الإسلامية اللذين نستمد منهما ديننا وتشريعاتنا. ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام، 155)، وهو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على الرسول الأعظم ﷺ، وفيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (النحل، 89)

وهو معجزة الرسول ﷺ الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف على مرِّ الزمن، فالقرآن الذي بين أيدينا في هذا الزمان هو نفس القرآن المنزَّل على النبي ﷺ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحجر، 9)

إن مداومة الإنسان على قراءة القرآن تُشْرِبه مفاهيم القرآن وثقافته، وتسهم في تكوين بنائه النفسي وفقها (العنصر الأول في معادلة القرب إلى الله)، كما أن التزامنا بقراءة القرآن خضوعًا للأوامر الإلهية ورغبة في رضا الله يعمق لدينا إدراكنا لعبوديتنا لله (العنصر الثاني في معادلة القرب إلى الله). ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (الأعراف، 52)

وفي هذا العصر مع اضطراب الدنيا وتسارع وقع الحياة وتعاظم التحديات والصعوبات والتغيرات التي تعصف بحياة الناس أضحى الناس في أمسِّ الحاجة إلى ما يخفف عنهم محن الدنيا ويرشدهم إلى كيفية السعي فيها لبلوغ النجاح والطمأنينة والقوة، وقد أنزل الله عز وجل القرآن؛ إرشادًا وهداية للناس لما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وشفاء لما في صدورهم، وتزكية وتطهيرًا لأنفسهم. قال الله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء، 82)، وعن الإمام علي (ع): "واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُو النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ ...

فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ... واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ".

لكن الثقافة السائدة في العالم باعدت بيننا وبين القرآن؛ فأصبحنا نقرؤه -حين نقرؤه- من دون تأمل في معانيه أو تدبُّر في آياته أو تصديق لها، وفي مقابل ذلك راجت كثير من كتب ومحاضرات تطوير الذات المبنية على الفكر غير الإسلامي التي تستهدف مساعدة الإنسان في تحقيق السعادة والنجاح.

وللأسف، فإننا نجد إقبالًا شديدًا عليها حتى من قبل المسلمين بسبب ميكنة الترويج والإعلام العالمية، حيث التففنا حول كتب ومحاضرات غير المؤمنين بالله الجاهلين بحقيقة الحياة نستلهم ونستمد منها دواء أزماتنا ومشكلاتنا النفسية، ونتعلم منها كيفية تطوير ذواتنا وإدارتها، واتَّبعناها دون نقاش أو تدبر، وروَّجنا لها في مجتمعاتنا وبين أطفالنا وأسرنا، وانسقنا لها رغم اختلافها الشديد مع المنهج الإلهي، وتحولت بذلك أسرنا ومجتمعاتنا تدريجيًّا إلى مجتمعات مسلمة في ظاهرها غربية في ثقافتها.

قد تحقق هذه المدارس بعض أهدافها بشكل محدود، لكن مساوئها والكوارث التي تسببها أعظم من منافعها، ويبقى القرآن الكريم الكتاب الوحيد الذي بإمكانه هداية الناس وإرشادهم لتحقيق النجاح وبلوغ السعادة بشكلها التام والصحيح، ولذا علينا أن نحذر، وأن ننبه من حولنا من بناء قناعاتنا النفسية ومداركنا المعرفية المتعلقة بتطوير الذات وتحقيق السعادة والنجاح على المستويين الفردي والمجتمعي على غير الحقائق القرآنية أو -على أقل تقدير- المنسجمة معها. ﴿أَفَمَن يَّهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى﴾. (يونس، 35)

يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء، 82). إن القرآن بما يحتويه من مفاهيم وممارسات إلهية دواء ناجع لكل الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والنفسية إن فُهِمَ واتُّبِعَ بشكل صحيح، ليس ذلك فحسب، بل إنه رحمة للمؤمنين يمنحهم الطهر والتزكية للرقي بهم إلى أعلى مراتب السعادة والنجاح، كما أن بناء الإنسان على المفاهيم والعقيدة الإلهية

يجعل نفسه مطمئنة راضية قوية شغوفة، وبناء المجتمع وفق هذه المفاهيم يمنحه الاستقرار والنماء.

وليس كل ما في القرآن صحيحًا وحقًّا فحسب، بل إن فيه كل الحقائق التي تحتاجها البشرية -أفرادًا وجماعات- للوصول إلى الاطمئنان والاستقرار والسعادة والنجاح، ودور الرسول الأعظم ﷺ تبيان هذه الحقائق للناس وتبشيرهم بسعادة الدنيا والآخرة إن هم التزموا بهداه، وإنذارهم بالشقاء إن لم يلتزموا به. ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. (الإسراء، 105)

ولذا احرص على أن تصحب القرآن أينما كنت، وأن تخصِّص لنفسك يوميًّا دقائق تقرأ فيها ما تيسر من القرآن ولو من هاتفك النقال ولو آية أو آيتين بتدبر وتأمل لتستوحي ما يدعوك إليه في حياتك، وما يُمِدُّكَ به من معارف، وسِرْ في حياتك على هداه، والتمس فيه دواء لأدوائك، واستعن بهداه على الدنيا، وتذكر قول الرسول ﷺ: "من التمس الهدى في غيره أضله الله".

اقرأ ما تيسر لك من الذكر الحكيم حتى لو كان آيتين أو ثلاث آيات في الوقت الذي يناسبك خلال يومك، واحرص على أن يكون وقتًا فيه ذهنك أقل ما يكون انشغالًا بأمور الدنيا، كأن يكون بعد صلاة الفجر مثلًا.

وإن شَقَّ الأمر عليك، تعوَّد أن تستمع إلى إذاعة القرآن الكريم وأنت تقود من بيتك للدوام، ثم أنصت لآيات الذكر الحكيم ولو لبضع دقائق.

تواجهنا مشكلة وهي أننا تعودنا قراءة القرآن أو سماعه ونحن هائمون في عوالمنا الأخرى.. اكسر هذه العادة بإرادة بسيطة تبذلها بالانتباه التام للذكر الحكيم ولو لبضع دقائق في يومك.

اقرأ القرآن أو أنصت له وأنت مقبلٌ عليه، متأملٌ في معانيه، مصدقٌ له، وإذا استطعت فمتفاعلٌ معه.. دع المعاني القرآنية التي تسمعها أو تقرأها تدخل وعيك، ومنها تتسلل تلقائيًّا وتدريجيًّا وبلطفٍ إلى عقلك اللاواعي كأنك تلميذٌ صغيرٌ تتعلم من أستاذٍ عظيمٍ، أو طفلٌ صغيرٌ يستمع إلى أبيه.. لا تكابر.

وإذا مررت بآيةٌ واضحةٌ وصريحةٌ في معنًى ما لا تجده في حياتك فصدّق القرآن، وغالط نفسك؛ لأن الله لا يقول غير الحق، فعندما يقول لك الله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر، 60) لا تفلسف الأمور، وثق تمامًا بأنك إذا دعوت الله فإنه سيستجيب لك، وإن ظهر لك غير ذلك.

الأمر أشبه ما يكون بابنك عندما يرى سرابًا فيعتقده ماءً، ولكنك -وأنت العارف بالأمر- تطلب منه أن يغالط عينيه ويثق بكلامك بأن ما رآه سرابٌ وليس ماءً، مع أنك مجرد إنسان معرض للخطأ، بينما الله لا يخطئ ولا يقول غير الحق، ولذا لم يكن اعتباطًا أن شرع الله قول "صدق الله العظيم" بعد الفراغ من قراءة القرآن.

أقترح أن نتعود قراءة القرآن من هواتفنا في أي فرصة فراغ تتاح لنا.. في صالونات الانتظار مثلًا، أو عندما نتوقف في إشارة المرور مثلًا إلى غير ذلك من الأوقات، كما أقترح أن نُحَمِّل في هواتفنا النقّالة تطبيق "مختصر تفسير الميزان" أو التفسير الذي نرجع إليه لنبحث فيه بسهولة ويسر عن تفسير الآيات التي تثير فضولنا لمعرفة تفسيرها.

قراءة
## اختيارية

# مـــاذا قيـــل في القـــرآن من غير المسلمين؟

**أستاذ/ كيث مور، الكندي، أستاذ ورئيس قسم التشريح بجامعة تورنتو، صاحب كتاب "EMBRYOLOGY IN THE KORAN AND THE HADITH"**

"يقـول القـرآن: ﴿وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنسـان مِـن سُلَالَـةٍ مِّـن طِيـنٍ * ثُـمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِـي قَـرَارٍ مَّكِيـنٍ * ثُـمَّ خَلَقْنَـا النُّطْفَـةَ عَلَقَـةً فَخَلَقْنَـا الْعَلَقَـةَ مُضْغَـةً فَخَلَقْنَـا الْمُضْغَـةَ عِظَامًـا فَكَسَـوْنَا الْعِظَـامَ لَحْمًـا ثُـمَّ أَنشَـأْنَاهُ خَلْقًـا آخَـرَ ۚ فَتَبَـارَكَ اللَّهُ أَحْسَـنُ الْخَالِقِيـنَ﴾ (المؤمنون 12-14) لقـد اندهشـت مـن الدقـة العلميـة لهـذا البيـان الـذي تـم فـي القرن السـابع بعـد المـيلاد. **من الواضـح لـي أن هـذا البيـان لا بـد وأنـه قـد نـزل على محمـد مـن الله لأن معظم هذه المعلومات لـم تكـن معروفـة لعـدة قـرون بعـد ذلـك**، وهـذا يثبت لي أن محمدًا رسول الله".

**الدكتور/ موريس بوكاي، جراح فرنسي، عالم، باحث ومؤلف كتاب " THE QUR'AN AND SCIENCE"**

"لقد استُخلصت أفكار هذه الدراسة من وجهة نظر علمية خالصة، وهي تؤدي إلى حقيقة مفادها أنه من غير المعقول لإنسان عاش في القرن السابع بعد الميلاد أن يكون قد أتى من نفسه ببيان في القرآن عن مواضيع متنوعة جدًّا لم تكن مشهورة في زمانه، وأنها كانت متوافقة مع ما اكتشفه بعد قرون، **بالنسبة لي فليس هناك تفسير بشري للقرآن،** وبالنظر إلى مستوى المعارف المتوفرة في أيام محمد فإنه من غير المعقول أن كثيرًا من تلك البيانات في القرآن التي تتعلق بالعلم هي من

فعل البشر، ولكن من المعقول تمامًا أن القرآن ليس تعبيرًا عن الوحي فحسب، وإنما له مكانة خاصة باعتبار ضمانه لصحة البيانات العلمية التي عندما تتم دراستها اليوم تظهر كتحدٍّ لتفسير وجودها بالمستوى البشري".

**الدكتور / بيرسود .T.V.N PERSAUD، الكندي المؤلف، أستاذ ورئيس قسم التشريح بجامعة مانيتوبا، كندا، من الفيلم الوثائقي "الحقيقة"**

"الطريقة التي فهمت بها أن محمدًا كان شخصًا عاديًّا جدًّا لم يكن يستطيع القراءة والكتابة، في الحقيقة كان أميًّا، ونحن نتحدث عن ألف ومائتي سنة (بالأحرى ألف وأربعمائة سنة) مضت، لديك شخص أميٌّ يتكلم بكلام عميق ومدهش ودقيق علميًّا عن الطبيعة، وأنا شخصيًّا لا أستطيع أن أرى كيف يمكن أن يكون ذلك نتاج الصدفة، هناك كثير من الأمور الدقيقة (في كلامه)، ومثل الدكتور/ مور **فإنني لا أجد صعوبة في التفكير أن هذا نتاج وحي إلهي**".

**البروفسور/ تجاتات تجاسن، رئيس قسم التشريح في جامعة شيانغ ماي، تايلاند، المؤتمر الطبي السعودي - الثامن**

"خلال السنوات الثلاث الأخيرة أصبحت مهتمًّا بالقرآن... من خلال دراستي وما تعلمته من هذا المؤتمر، **فإنني أعتقد أن كل شيء مسجل بالقرآن منذ ألف وأربعمائة سنة هو الحقيقة التي يمكن إثباتها بالطرق العلمية**.

وحيث إن النبي محمدًا لم يكن يستطيع القراءة والكتابة، فإن محمدًا لا بد أن يكون رسولًا نقل هذه الحقائق التي أوحيت إليه كبصيرة من قبل الخالق، وهذا الخالق هو الرب، ولذلك فإنني أعتقد أن هذا هو الوقت للقول بأنه ليس هناك إله نعبده إلا الله وأن محمدًا رسوله، إن أعظم شيء كسبته من قدومي لهذا المكان هو شهادة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وتحولي إلى الإسلام".

**د. إي مارشال جونسون، بروفيسور أمريكي للتشريح والأحياء التطورية في جامعة ثوماس جيفيرسون بالولايات المتحدة الأمريكية، من الفيلم الوثائقي "الحقيقة"**

"لا يصف القرآن فقط تطور الشكل الخارجي، بل أيضًا المراحل الداخلية للجنين وخلقته وتطوره، ويؤكد على الأحداث الكبرى التي تعرف عليها العلم المعاصر. كعالم، فإنني أستطيع فقط أن أتعامل مع الأشياء التي أراها بالتحديد، وأستطيع أن أفهم علم تطور الجنين والأحياء التطورية، أستطيع فهم الكلمات التي تمت ترجمتها لي من القرآن، وإن كان لي أن أرجع بنفسي إلى ذلك الزمن وأن أكون أعلم ما أعلمه اليوم وأن أصف الأشياء فإنني لن أكون قادرًا على وصف الأشياء التي تم وصفها، إنني لا أجد دليلًا على أن محمدًا قد تعلَّم تلك المعلومات من أي مكان، **ولذا فلست أجد هنا أي شيء يتعارض مع وجود تدخل إلهي فيما كان قادرًا على رؤيته**".

**المصدر**

(Mercy To The World: Muhammed (PBUHF), Br. Asifuddin Muhammed, 2012, Published by: Islamic Academy For Comparative Religion) https://archive.org/details/ProphetMUHAMMMPeaceBeUponHim/page/n3?q=history+of+Islam+may+be+entirely+derived

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 29

**وائـم -خلال خمـس دقائـق- بيـن النصـوص الشرعية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

**النصوص الشرعية:**

1. ﴿وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ فَاتَّبِعُـوهُ وَاتَّقُـوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (الأنعام، 155)

2. ﴿أَفَمَـن يَّهْـدِي إِلَى الْحَـقِّ أَحَـقُّ أَن يُتَّبَـعَ أَم مَّـن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى﴾. (يونس، 35)

3. ﴿وَلَقَـدْ جِئْنَاهُـم بِكِتَـابٍ فَصَّلْنَـاهُ عَـلَىٰ عِلْـمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (الأعراف، 52)

4. ﴿وَبِالْحَـقِّ أَنزَلْنَـاهُ وَبِالْحَـقِّ نَـزَلَ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. (الإسراء، 105)

5. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾. (الإسراء، 82)

6. ﴿إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُـونَ﴾. (الحجر، 9)

**المفاهيم الإسلامية:**

- ☐ القـرآن الـذي بيـن أيدينـا فـي هـذا الزمـان هـو نفس القرآن المنزل على النبي ﷺ.
- ☐ القـرآن بمـا يحتويـه مـن مفاهيـم وممارسـات إلهيـة دواء ناجـع لـكل الأمـراض الاجتماعيـة والأخلاقيـة والنفسـية إن فُهِـمَ واتُّبِـعَ بشـكل صحيح.
- ☐ القـرآن الكريـم هـو أحـد مصـدري الشـريعة الإسلاميـة اللذيـن نسـتمد منهمـا ديننـا وتشريعاتنا.

- مداومة الإنسان على قراءة القرآن تُشْرِبه مفاهيم القرآن وثقافته وتسهم في تكوين بنائه النفسي وفقها.

- ليس كل ما في القرآن صحيح وحق فحسب، بل إن فيه كل الحقائق التي تحتاجها البشرية أفرادًا وجماعات للوصول إلى الاطمئنان والاستقرار والسعادة والنجاح، ودور الرسول الأعظم ﷺ تبيان هذه الحقائق للناس.

- علينا أن نحذر، وأن ننبه من حولنا من بناء قناعاتنا النفسية ومداركنا المعرفية المتعلقة بتطوير الذات وتحقيق السعادة والنجاح على المستويين الفردي والمجتمعي على غير الحقائق القرآنية أو -على أقل تقدير- المنسجمة معها.

# 30

# ذكر الله عز وجل كثيرًا

﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اذْكُـرُوا اللَّـهَ ذِكْـرًا كَثِيـرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. (الأحزاب 41-42)

الرجوع لصفحة المحتويات

لا شك أن مواجهات الحياة وصعوباتها وتحدياتها لا تميز بين الإنسان المؤمن وغيره، ولا شك أن هذه التحديات -وما تفرضه على الإنسان من توترٍ واضطرابٍ وانشغال البال بها والسيطرة على مزاجه وعقله وروحه- إنما تبعد الإنسان عن الله وعن ذكره بشكل طبيعي، بل قد تفرض نفسها عليه وهو واقف يصلي بين يدي الله، فلا ينتبه للصلاة إلا بعد أن يفرغ منها، وهكذا يفعل عند تلاوته للقرآن وترديده للأذكار والأدعية.

وإزاء هذا الواقع يتمكن بعضنا -بتوفيق من الله- من الاعتماد على إرادته للتخفف من أعباء الدنيا والتفرغ -ولو نسبيًّا- لعبادة الله وذكره سبحانه، وللأسف الشديد فإن الأمر قد يصل ببعض هؤلاء إلى تجنب المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والإنسانية عمومًا.

بينما تنخرط الغالبية العظمى منا في مشاغل الحياة وصراعاتها التي لا تهدأ، ربما ليس طمعًا في زخرفها وزبرجها، وإنما بحثًا عن لقمة العيش الكريمة والحياة العزيزة.. ننخرط في الحياة حتى لا نكاد نجد وقتًا لأنفسنا وأسرنا وأطفالنا فضلًا عن ربنا، فإذا صلينا فإنما هو واجب نؤديه وإن كنا ساهين شاردي الذهن أثناء تأديتها.

فإذا حاول أحدنا في لحظة يقظة وعزيمة أن ينتشل نفسه من هذا الضياع ومن دوامة الرحى التي تطحنه يجد نفسه مكبلًا بها بقيود النسق الاجتماعي ومعادلاته التي شكَّلناها بأنفسنا، والأسوأ من ذلك يجد نفسه مكبلًا بقيود الأوهام والقناعات الخاطئة والخرائط الذهنية المشوهة الراسخة في أعماقنا ووجداننا.

لكن الثمن الذي ندفعه لهذا الانخراط في هذه الحياة المادية باهظ، يتمثل في التوتر والتشنج والضغط النفسي والقلق والاكتئاب وكثير من الأمراض النفسية التي نعاني منها، ويتجسد كثير منها في شكل أمراض وآلام عضوية، ناهيك عن الأمراض الاجتماعية والتفكك الأسري.. والقائمة تطول.

## فما العلاج إذًا؟ وكيف السبيل إلى التخلص من الضغوط والأمراض النفسية المختلفة؟

يكمن العلاج في أن تعتاد الارتباط بالله وذكره واستشعار عبوديتك له سبحانه وأنت تعيش وسط الناس والحياة بكل مفرداتها وتناقضاتها وتحدياتها، فتتفاعل معها، فتدفعها وتدفعك، وتنخرط في مشاغلها وصراعاتها بكل جدية واهتمام فتبدع فيها وتتفوق، ولكنك في كل ذلك مطمئن النفس، هادئ القلب، مرتاح البال، لا يكاد يعنيك ما يحصل من حولك، فأنت في سكينة مهما كانت النتائج، فأنت لا ترى غير ربك وغير عبوديتك له، غير أن حال العبودية والسكينة هذه لا تشغلك عن ممارسة الحياة بكل ما فيها، وإنما تدفعك إليها دفعًا بغاية الإيجابية، وبطاقة إلهية تفوق كل تصور. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد، 28)

## كلامٌ جميلٌ، ولكنه أشبه ما يكون بوصفة علاج غامضةٍ لا تنفع من لا يعرف كيف يُرَكِّبُها.

فكيف نستطيع عمليًّا أن نمارس الحياة وننخرط في مشاغلها وصراعاتها البغيضة بينما ننعم بحال الارتباط بالله بكل ما يعنيه من سكينة وطمأنينة وهدوء وراحة بل سعادة ليس لها مثيل؟

الجواب أن ذكر "الله" لا يقصد به ذكر كلمة "الله"، وإنما ذكر الله بذاته -جلَّ جلاله- بكل ما ينطوي عليه من حقيقة الوحدانية لله على مستوى فهمنا النظري في الحد الأدنى.

تذكر واستشعر أن الله هو ربك ومالكك ومالك كل ذرة في هذا الكون، وأن كل شيءٍ بقبضته، وأنه لا تخفى عليه خافية، وأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون..

تذكـر واستشـعر أنـك عبـده وخلقـه الـذي يحبـه جـلَّ جلالـه، وأنـه أرأف بـك مـن أمـك عليـك، وأن ما يصيبك إنما هو بعلمه ولمصلحتك..

تذكـر أن التواصـل بينـك وبينـه -سـبحانه- مباشـر، وأنـه لا ينقطـع طرفـة عيـن، وأنـك أنـت مـن تغفـل عـن هـذا التواصـل، وإلا فإنـك تسـتطيع التحـدث مـع الله بمـا تشـاء ومتـى مـا تشـاء وكيفمـا كنـت، وتسـتطيع أن تدعـوه وأن تبثـه سـرك ونجـواك فيسمعك ويسخر الكون لخدمتك.

إن تذكرنـا واستشـعارنا لـكل هـذه الحقائـق -وإن كان مـن دون إطـار لغـوي محـدد- وتصديقنـا لهـا وإيماننـا بهـا وتركنـا إياهـا تتسـلل بهـدوء بمـرور الوقـت إلى أعماقنـا كلهـا أمـور كفيلـة بـأن تطـرد مـن أعماقنـا الأوهـام والقناعـات الخاطئـة والخرائط الذهنيـة المشـوهة الراسـخة فينـا.. وكلمـا تمكنـت هـذه المبـادئ والقيـم الإلهيـة منـك ومـن وجدانـك سـيزداد إحساسـك بالطمأنينـة مهمـا كان هـذا الذي يجري من حولك.

كمـا أنـك فـي خضـم حياتـك اليوميـة المزدحمـة وأنـت تواجـه كثيـرًا مـن التحديـات والإحباطـات

والنجاحات والمفاجآت وتضطرم في داخلك مختلف المشاعر والأحاسيس تكون في أمسِّ الحاجة إلى من تتحدث إليه وتناجيه وتبثه ما في سرك، ولكن يصعب عليك أن تجد من يسمعك، ويصعب إن سمعك أن يعينك.

ولذا استفد من هذه الفرصة، وتعوَّد أن تحكي لله وأن تناجيه وتبثه كل ما أهمك وكل ما يسعدك أو يشقيك.. التجئ إلى الله عز وجل ما أمكنك. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. (البقرة، 200)

وبالرغم من أن جدولك مزدحم، فإن هناك الكثير من أوقات الفراغ لديك بين مكونات جدولك المزدحم، مثلًا عندما تمشي من مكتبك لقاعة الاجتماعات، وعندما تقود من مكان عملك لبيتك، وعندما تنتظر في ردهة الاستقبال لمقابلة مديرك أو لمقابلة عميلٍ ما ... إلخ. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (الجمعة، 10)

لا تضيّع هذه الأوقات هباءً، بل استفد منها في مناجاة الله، فأنت أحوج ما تكون لذلك لتبثه مخاوفك ومشاعرك، وتطلب منه العون، ولأن جدولك مزدحمٌ ومليءٌ بالتحديات فإن لديك الكثير لكي تناجي به الله عز وجل وتحكي له. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (البقرة، 186)

ربما تشعر بنوع من التكلف في البداية، فنحن لم نتعود مخاطبة الله سبحانه بغير عبارات الأدعية الواردة، ولكنك خلال فترةٍ بسيطةٍ ستتعود على ذلك، وتنسجم معه، ومن ثم تتفاعل معه، وتتلذذ به.

سيمدَّك ذلك بالطمأنينة والقوة، فأنت متصلٌ مع الله خالق كل شيءٍ، ورويدًا رويدًا ستبدأ بالاعتماد والتوكل عليه والثقة فيه والالتذاذ بمناجاته، وهكذا ستتعمق في وجدانك المبادئ والقيم الإلهية ومحبة الله عز وجل. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد، 28)

"إن تجاوز الأشياء الحاضرة المتناهية والعيش الشعوري مع الله تعالى يخلقان حال التسامي في شخصية الإنسان المسلم، وهذه الحال تعد من أكبر مميزاته الشخصية وسماته الذاتية، فإن من يعش حلاوة الذكر ويتنعم باستشعار الله تعالى يتسامى على صغائر الأمور وجزئيات الحياة التي تشغل بال الناس وتقع موردًا لتنافسهم وتصارعهم.

وهذا التجاوز الشعوري والتعالي والتسامي في المشاعر والمدركات يخلق في شخصية الإنسان المسلم حالًا أخرى هي الاطمئنان والاستقرار النفسي والسكينة والوقار.

ولأن الحياة الدنيا أشبه ما تكون ببحر عاصف يزداد هياجًا وعنفًا كلما ازددت أنت قوة واستقرارًا، يتعرض الإنسان المؤمن في مسيرته إلى الله في هذه الدنيا إلى ألوان من المكاره والمضايقات والوحدة والغربة، وهنا قد ينتهي به المطاف إلى ضيق نفسي يمنع عقله من الحركة، ونفسه من الانطلاق، وإرادته من الثبات والصمود، وقد ينتهي به هذا الضيق إلى اليأس والتشاؤم والشعور بالضعف والانكسار، وذكر الله واستشعار معيته والإحساس به يعالج هذه الحال، ويبعث في النفس الانفتاح والتفاؤل، ويجدد لها حيوتها ونشاطها، ويدفعها في حقول العمل لله والجهاد في سبيله، كما يوجه إلى ذلك ويدل عليه الإعداد القرآني للرسول ﷺ في لحظات المعاناة من التكذيب. اقرأ هذه الآيات المباركة، ولاحظ كيف تعالج حال الضيق النفسي بذكر الله تعالى واستشعاره والإحساس به. ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾. (طه، 13) " [37]

37 نظرات في الإعداد الروحي، الشهيد حسين معن - بتصرف

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 30

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية والمفاهيم الإسلامية التالية علمًا بأن بعض الآيات الواردة ليست ذات علاقة بالمفاهيم المذكورة:**

### المفاهيم الإسلامية:

1. سعي الإنسان وراء الحياة المادية بكل ما فيها من نعم أحلَّها الله لعباده يبعده عن ذكر الله وعبادته، وهذا شيء كارثي وخطير.

2. ذَكَرَ الله تعالى خمس صفات للمؤمنين، أولها: وَجَل القلب عند ذكر الله.

3. ذكر "الله" لا يقصد به ذكر كلمة "الله"، وإنما ذكر الله بذاته -جلَّ جلاله- بكل ما ينطوي عليه من حقيقة الوحدانية لله والتفكر في ذلك وفي عبوديتنا لله.

4. انخراط الإنسان في مشاغل الحياة ومباهجها ومشكلاتها بعيدًا عن ذكر الله والارتباط به يسبب للإنسان التوتر والتشنج والضغط النفسي والقلق والاكتئاب وكثيرًا من الأمراض النفسية التي نعاني منها.

5. الله يريد لحياتنا في الدنيا أن يتمازج فيها سعينا للدنيا وطلب ملذاتها ومباهجها مع ذكرنا المستمر له والارتباط به سبحانه واستشعار عبوديتنا له عزَّ وجلَّ، ونحن نعيش وسط الناس والحياة بكل مفرداتها وتناقضاتها وتحدياتها.

### الآيات القرآنية:

- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. (النور، 37)

- ﴿وَاللَّـهُ الْغَنِـيُّ وَأَنتُـمُ الْفُقَـرَاء وَإِن تَتَوَلَّـوْا يَسْـتَبْدِلْ قَوْمًـا غَيْرَكُـمْ ثُـمَّ لا يَكُونُـوا أَمْثَالَكُـمْ﴾. (محمد، 38)

- ﴿فَـإِذَا قَضَيْتُـم مَّنَاسِـكَكُمْ فَاذْكُـرُواْ اللَّـهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُـمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْـرًا فَمِـنَ النَّـاسِ مَـن يَقُـولُ رَبَّنَـا آتِنَـا فِـي الدُّنْيَـا وَمَـا لَـهُ فِـي الآخِـرَةِ مِـنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُـم مَّـن يَقُـولُ رَبَّنَـا آتِنَـا فِـي الدُّنْيَـا حَسَـنَةً وَفِـي الآخِـرَةِ حَسَـنَةً وَقِنَـا عَذَابَ النَّـارِ * أُوْلَئِـكَ لَهُـمْ نَصِيـبٌ مِّمَّـا كَسَـبُواْ وَاللَّـهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (البقرة 200-202)

- ﴿لَّـن يَسْـتَنكِفَ الْمَسِـيحُ أَن يَكُـونَ عَبْـدًا لِّلَّـهِ وَلَا الْمَلَائِكَـةُ الْمُقَرَّبُـونَ وَمَـن يَسْـتَنكِفْ عَـنْ عِبَادَتِـهِ وَيَسْـتَكْبِرْ فَسَيَحْشُـرُهُمْ إِلَيْـهِ جَمِيعًـا﴾. (النساء، 172)

- ﴿أَلْهَاكُـمُ التَّكَاثُـرُ * حَتَّـى زُرْتُـمُ الْمَقَابِـرَ﴾. (التكاثر 1-2)

- ﴿الَّذِيـنَ يَذْكُـرُونَ اللَّـهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَـلَىٰ جُنُوبِهِـمْ وَيَتَفَكَّـرُونَ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـتَ هَـذَا بَـاطِلًا سُـبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران، 191)

- ﴿وَمَـنْ أَعْـرَضَ عَـن ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَنكًا﴾. (طه، 124)

- ﴿فَـإِذَا قُضِيَـتِ الصَّـلاةُ فَانتَشِـرُوا فِـي الأَرْضِ وَابْتَغُـوا مِـن فَضْـلِ اللَّـهِ وَاذْكُـرُوا اللَّـهَ كَثِيـرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (الجمعة، 10)

- ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ كُلُـواْ مِـن طَيِّبَـاتِ مَـا رَزَقْنَاكُـمْ وَاشْـكُرُواْ لِلَّـهِ إِن كُنتُـمْ إِيَّـاهُ تَعْبُـدُونَ﴾. (البقرة، 172)

- ﴿سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْـرَىٰ بِعَبْـدِهِ لَيْـلًا مِّـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الْأَقْصَـى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـا ۚ إِنَّـهُ هُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. (الإسراء، 1)

- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾. (فاطر 15-17)

- ﴿إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِيـنَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّـهُ وَجِلَـتْ قُلُوبُهُـمْ وَإِذَا تُلِيَـتْ عَلَيْهِـمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُـمْ إِيمَانًـا وَعَلَى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُـونَ * الَّذِيـنَ يُقِيمُـونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. (الأنفال 2-3)

# 31 الدعاء

﴿وَاسْـأَلُوا اللَّـهَ مِـنْ فَضْلِـهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِـكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء، 32)

الرجوع لصفحة المحتويات

كثيـرًا مـا تضطـرب بنـا الحيـاة بشـدة، ونكـون فيها أشبة بسفينة صغيرة وسط إعصار هائج، وتكـون قدرتنـا فـي التحكـم بحيواتنـا ودفـع البلاء عنهـا وجلـب المصلحـة لهـا ضئيلـة ومحـدودة بقـدر مـا نسـتطيع تفعيلـه عمليًّـا مـن القـدرات والمواهب التي وهبنا إياها الله عز وجل.

أضـف إلى ذلـك أن الإنسـان بطبيعتـه عجـول ضيِّـقُ الأفـق محـدود المعرفـة، وكثيـرًا مـا يسـعى فـي طلـب الشـر والشـقاء لنفسـه ظنًّـا منـه أن فيهمـا خيـرًا كثيـرًا، ولـذا تجـده يُلِـح فـي طلـب الشـر ويسـعى إليـه سـعيًا حثيثًـا، ويدعـو الله مـن كل أعماقـه وبـكل آمالـه أن يحققـه لـه. ﴿وَيَـدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّـرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْـرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُـولًا﴾ (الإسراء، 11)، ولـو قضـى الله حاجتـه وبلغـه مـراده لـكان وبـالًا عليـه. ﴿وَعَسَـىٰٓ أَن تَكْرَهُـوا شَـيْـًٔا وَهُـوَ خَيْـرٌ لَّكُـمْ ۖ وَعَسَـىٰٓ أَن تُحِبُّـوا شَـيْـًٔا وَهُـوَ شَـرٌّ لَّكُـمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة، 216)

ومـع كل هـذا فهدفنـا الـذي خلقنـا الله مـن أجلـه فـي الحيـاة ليـس أن نسـتقر ونعيـش فـي الدنيـا حيـاة هانئـة وآمنـة وحسـب، وإنمـا أن نرقـى، وأن نرتقـي بمـن حولنـا والعالـم كلـه إن أمكـن نحـو الله

عـز وجـل، ونسـير إليـه جـل شـأنه، ونتخـذ مـن الدنيـا بشـرها وخيرهـا مطيـة نمتطيهـا للقـرب منه سـبحانه وتعـالى، ورغـم وضـوح الطريـق والمنهـج نحـوه سـبحانه، إلا أن تفاصيـل معتـرك الحيـاة ومـا يحـدث فيهـا يجعلنـا فـي أحيـان كثيـرةٍ عاجزيـن عـن معرفـة واتخـاذ القـرارات الصحيحـة، وسلوك درب الله.

ولـذا لـم يكـن الله ليلقـي بهـذه المسـؤولية الثقيلـة التـي عجـزت عـن حملهـا السـماوات والأرض علينـا ويتركنـا سـدى مـن دون دعـم ولطـف منـه سـبحانه لتمكيننـا مـن النجـاح فـي مسـؤوليتنا. ﴿أَيَحْسَـبُ الْإِنسـان أَن يُتْـرَكَ سُـدًى﴾. (القيامـة، 36)

وفـي قصـة العبـد الصالـح (ع) مـع نبـي الله موسـى (ع) فـي قولـه: ﴿وَمَـا فَعَلْتُـهُ عَـنْ أَمْـرِي﴾ (الكهـف، 82) يظهـر بوضـوح أن إرادة الله ورعايتـه لعبـاده وقضائـه لحوائجهـم ودفـع البـلاء عنهـم موجـودة واقعًـا، وأنهـا كثيـرًا مـا تجـري على أيـدي أنـاس مـن دون إعجـاز ليُعْلِمَنـا الله أن المـدد الإلهـي متداخـل بشـكل طبيعـي وسـلس مـع القوانيـن الطبيعيـة التـي تحكـم حياتنـا وتسـيِّرها لتحقـق لنـا مبتغانـا ومقصدنـا الحقيقـي فيهـا وفـق القانـون الـذي وضعـه الله سـبحانه وتعـالى. ﴿مَّـن كَانَ يُرِيـدُ الْعَاجِلَـةَ عَجَّلْنَـا لَـهُ فِيهَـا مَـا نَشَـاءُ لِمَـن نُّرِيـدُ ثُـمَّ جَعَلْنَـا لَـهُ جَهَنَّـمَ يَصْلَاهَـا مَذْمُومًـا مَّدْحُـورًا * وَمَـنْ أَرَادَ الْآخِـرَةَ وَسَـعَىٰ لَهَـا سَـعْيَهَا وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾. (الإسراء 18-19)

مـن هنـا يتضـح جليًّـا أهميـة الدعـاء وكونـه ضـرورة قصـوى لنجـاح حياتنـا فـي الدنيـا والآخـرة. قال الله عـز وجـل: ﴿قُـلْ مـا يَعْبَـؤُا بِكُـمْ رَبِّـي لَـوْ لا دُعاؤُكُـمْ﴾ (الفرقـان، 77)، وورد عـن الرسـول الأعظـم ﷺ: "الدعـاء سلاح المؤمـن، وعمـود الديـن، ونـور السماوات والأرض". (ميزان الحكمة)

إن الدعـاء فـي حقيقتـه ليـس طلبًـا لسـانيًّا ظاهريًّـا يدعـو بـه الإنسـان ربه وربمـا يكـون سـاهيًا أو غافلًا عمـا يطلـب بـل غيـر مريـدٍ لـه، وإنمـا هـي حـال حقيقيـة وجوديـة تسـتولي على العبـد وتجعله يتجه بوجدانـه كلـه نحـو الله ليطلـب منـه حاجاتـه، إيمانًـا منـه أن الله وحـده هـو مسـبب الأسـباب وقاضـي الحاجـات، وأن العلل الظاهرية والأسـباب الطبيعية هـي إنمـا أمرهـا بيـده سـبحانه وتعـالى وحـده لا شريك له.

"الدعاء تعبير طبيعي عن إحساس نفسي وشعور حي لدى الإنسان، الذي يدرك وجود حقيقتين في حياته: الله، والإنسان، ويدرك النسبة الحقيقية بين الوجودين: وجود الله الذي هو مصدر الغنى والكمال والإفاضة في هذا العالم، ووجود الإنسان الذي هو وعاء الفقر والحاجة والمسكنة المتقوّم بالإفاضة والعطاء المستمر".[38]

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: "إن حقيقة الدعاء والسؤال هو الذي يحمله القلب ويدعو به لسان الفطرة دون ما يأتي به اللسان الذي يدور كيفما أدير صدقًا أو كذبًا جدًّا أو هزلًا حقيقة أو مجازًا، و لذلك ترى أنه تعالى عدَّ ما لا عمل للسان فيه سؤالًا، قال تعالى: ﴿وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم، 34)، فهم فيما لا يحصونها من النعم داعون سائلون ولم يسألوها بلسانهم الظاهر، بل بلسان فقرهم واستحقاقهم لسانًا فطريًّا وجوديًّا".

ولهذا جعل الله الدعاء له سبحانه وتعالى مساوقًا لإيمان العبد به وتسليم أمره له سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ (المؤمن، 60)، وقال تعالى: "فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" (المؤمن، 14)، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. (الأعراف، 55)

ونهى -سبحانه وتعالى- بشدة لجوء العبد إلى الأسباب والعلل الظاهرية التكوينية من دون الله، فقال عز وجل: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين﴾ (يونس 106)، وقال عز وجل : ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾. (الأعراف، 197)

وذلك -كما يذكر السيد الطباطبائي في ميزانه- "ليس إبطالًا لسببية الأسباب الوجودية التي جعلها اللّه تعالى وسائل متوسطة بين الأشياء وبين حوائجها الوجودية، لا عللًا فياضة مستقلة دون اللّه سبحانه، وللإنسان شعور باطني بذلك، فإنه يشعر بفطرته أن لحاجته سببًا معطيًا لا

38 الدعاء في الصحيفة السجادية (قراءة نفسية)، أ.د. حيدر كريم سكر وأ.م. فرحان محمد حمزة البيضاني، 29 يناير 2019، https://imamhussain.org/arabic/24040

يتخلف عنه فعله، ويشعر أيضًا أن كل ما يتوجه إليه من الأسباب الظاهرية يمكن أن يتخلف عنه أثره، فهو يشعر بأن المبدأ الذي يبتدئ عنه كل أمر، والركن الذي يعتمد عليه ويركن إليه كل حاجة في تحققها ووجودها غير هذه الأسباب، ولازم ذلك ألا يركن الركون التام إلى شيء من هذه الأسباب بحيث ينقطع عن السبب الحقيقي ويعتصم بذلك السبب الظاهري".

بهذا الفهم نستطيع أن ندرك معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (البقرة، 186)

يذكر السيد الطباطبائي في ميزانه عن هذه الآية أنها "أحسن بيان لما اشتمل عليه من المضمون وأرق أسلوب وأجمله، فقد وضع أساسه على التكلم وحده دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بالأمر، ثم قوله: "عِبادِي"، و لم يقل: "الناس" وما أشبهه يزيد في هذه العناية، ثم حذف الواسطة في الجواب، حيث قال: فإني قريب، ولم يقل: "فقل إنه قريب"، ثم التأكيد بإن، ثم الإتيان بالصفة دون الفعل الدال على القرب ليدل على ثبوت القرب ودوامه، ثم الدلالة على تجدد الإجابة واستمرارها، حيث أتى بالفعل المضارع الدال عليهما، ثم تقييده الجواب، أعني قوله: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ بقوله: إِذا دَعانِ، وهذا القيد لا يزيد على قوله: دَعْوَةَ الدَّاعي المقيد به شيئًا بل هو عينه، وفيه دلالة على أن دعوة الداعي مجابة من غير شرط وقيد، كقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (المؤمن، 60)، فهذه سبع نكات في الآية تنبئ بالاهتمام في أمر استجابة الدعاء و العناية بها، مع كون الآية قد كرر فيها على إيجازها ضمير المتكلم سبع مرات، وهي الآية الوحيدة في القرآن على هذا الوصف".

"غير أن تحقق الاستجابة مشروط بتحقق الدعاء (إِذا دَعانِ)، "فقوله تعالى: إذا دعان، يدل على أن وعد الإجابة المطلقة إنما هو إذا كان الداعي داعيًا بحسب الحقيقة مريدًا بحسب العلم الفطري والغريزي مواطئًا لسانه قلبه" - تفسير الميزان.

"فالسؤال الفطري من اللّه سبحانه لا يتخطى الإجابة، فما لا يستجاب من الدعاء ولا يصادف

الإجابة فقد أحد أمرين، وهما اللذان ذكرهما بقوله: دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ.

فإما أن يكون لم يتحقق هناك دعاء، وإنما التبس الأمر على الداعي التباسًا، كأن يدعو الإنسان فيسأل ما لا يكون وهو جاهل بذلك أو ما لا يريده لو انكشف عليه حقيقة الأمر"، كأن يدعو مثلًا بحصوله على منصب ما، ولو علم أن في هذا المنصب هلاكه لما طلبه.

"وإما أن السؤال متحقق لكن لا من اللّه وحده، كمن يسأل اللّه حاجة من حوائجه وقلبه متعلق بالأسباب العادية أو بأمور وهمية توهمها كافية في أمره أو مؤثرة في شأنه فلم يخلص الدعاء للّه سبحانه فلم يسأل اللّه بالحقيقة، فإن اللّه الذي يجيب الدعوات هو الذي لا شريك له في أمره، لا من يعمل بشركة الأسباب والأوهام، فهاتان الطائفتان من الدعاة السائلين لم يخلصوا الدعاء بالقلب وإن أخلصوه بلسانهم" - تفسير الميزان.

وفي وصية للإمام علي (ع) لابنه الحسين (ع): "ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرًا منه عاجلًا أو آجلًا أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفي عنك وباله، والمال لا يبقى لك ولا تبقي له" – نهج البلاغة.

# قـــــراءة في الأدعيـــــة الإسلامية [39]

مـن يتأمـل نصـوص الأدعيـة الـواردة على لسـان الأنبيـاء فـي القـرآن الكريـم وفـي المأثـور مـن دعـاء الرسـول ﷺ وأهـل بيتـه (ع) يستشـعر أهمية الدعاء وقيمتـه الفكريـة والروحيـة والنفسـية التـي تأخـذ طريقهـا في حياة الإنسـان لتنصب سـلوكًا ومواقف إنسـانية فـي محيـط الفـرد والجماعـة البشـرية، وبالتأمـل فـي المأثـور عـن أهـل البيـت (ع) بمـا بين أيدينـا مـن أدعيـة ومناجـاة نـدرك أنّ المدرسـة الإسلاميـة اتخذت طابعًا خاصًا في الدعاء والمناجاة فصـارت منهجًـا للأخلاق والعقيـدة والمفاهيـم والسلوك.

وباسـتقراء وتحليـل مـا ورد عـن أهل البيـت (ع) من أدعيـة ومناجـاة نسـتطيع أن نكتشـف البعـد الفكري والهدف التربوي والمعاني الفكرية والتربوية الآتية:

أولًا: التعريـف بالعقيـدة، وعرض مفاهيمهـا، وتركيز مبادئها في النفوس، كالتوكل، والشـكر، والتقديس، والتعريـف بالله تعالى، وبصفاته، وعظمته، ومحاولة شدّ المسلم بكل وجوده واتجاهه إلى الله سبحانه.

ثانيًا: تربية الضمير، وذلك بتنمية الإحسـاس بالخطأ، والاعتـراف بالذنـب، مـع توفيـر جَـوّ يُشْـعِر بالراحـة والتخلـص مـن التبعـات، بالاسـتغفار والضراعـة إلى الله، وطلب الاستقامة والتسديد منه تعالى .

ثالثًـا: تربيـة الأخلاق، وتقويـم السـلوك، وتنمية مشـاعر الحـب والخير فـي النفس الإنسـانية، وهكذا نشـاهد أصالـة الـروح الإسلاميـة ونقاءهـا يبـرزان بوضـوح فـي أدعيـة أهـل البيـت (ع) ومناجاتهـم الكثيـرة التـي فاضـت بهـا كتـب الأدعيـة والمناجـاة المأثـورة عنهـم، وهـي ترسـم صـورة وعيهـم وعمـق فهمهـم للإسلام، فـكان دعاؤهـم (ع) رشـحات نفوسهم، وإشعاع وعيهم، وعطاء ذواتهم.

وكان دعاؤهـم (ع) ثـروة فكريـة وروحيـة بيـن يـدي الأجيـال المسـلمة، ودعـوة أخلاقيـة وتربويـة رائعـة تسـتهدف بناء الشـخصية المسـلمة، وتتوخّى شـرح فكرة الإيمان بنقائها وأصالتها القرآنية السليمة .

39 الدعـاء فـي الصحيفـة السـجادية (قـراءة نفسـية)، أ.د. حيـدر كريم سـكر وأ.م. فرحـان محمـد حمـزة البيضانـي، 29 ينايـر 2019، https://imamhussain.org/arabic/24040

## نشاط
## مقالي (خارجي)

تخير مناجاة من المناجات الخمس عشرة للإمام علي زين العابدين (ع). اقرأها بتدبر لمعانيها، واكتب فيما بين 250 إلى 500 كلمة أهم الأفكار التي شدتك فيها وأثارت انتباهك.

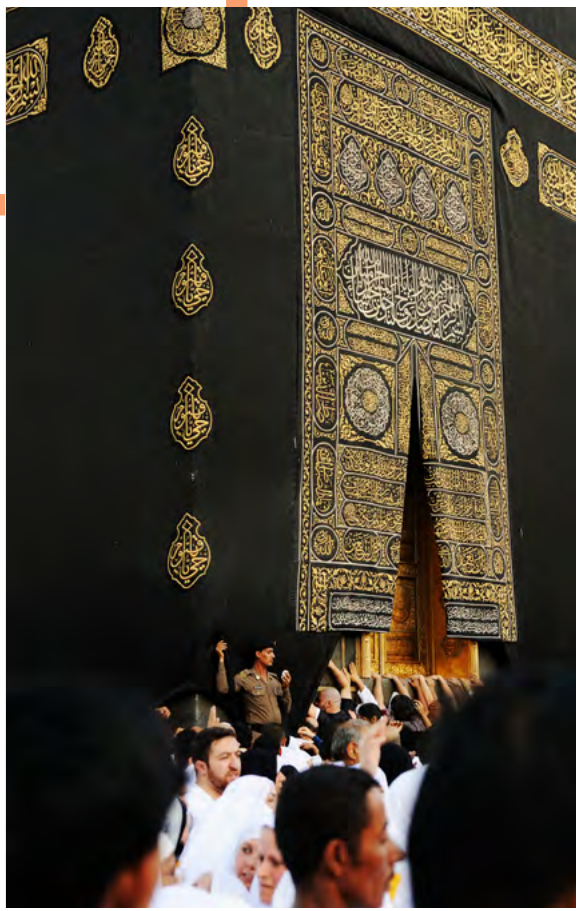

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 31

**وائـم -خلال عشـرة دقائـق- بيـن النصـوص الشرعية والمفاهيم الإسلامية التالية:**

**النصوص الشرعية:**

1. ﴿ولا تـدع مـن دون الله مـا لا ينفعـك ولا يضـرك فـإن فعلـت فإنـك إذًا مـن الظالمين﴾. (يونس، 106)

2. ﴿قُـلْ مـا يَعْبَـؤُا بِكُـمْ رَبِّـي لَـوْ لا دُعاؤُكُـمْ﴾. (الفرقان، 77 )

3. ﴿وَآتاكُـمْ مِـنْ كُلِّ مـا سَـأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَـتَ اللَّـهِ لا تُحْصُوهـا إِنَّ الْإِنْسـانَ لَظَلُـومٌ كَفَّارٌ﴾. (إبراهيم، 34)

4. ﴿مَّـن كَانَ يُرِيـدُ الْعَاجِلَـةَ عَجَّلْنَـا لَـهُ فِيهَـا مَـا نَشَـاءُ لِمَـن نُّرِيـدُ ثُـمَّ جَعَلْنَـا لَـهُ جَهَنَّـمَ يَصْلَاهَـا مَذْمُومًـا مَّدْحُـورًا * وَمَـنْ أَرَادَ الْآخِـرَةَ وَسَـعَىٰ لَهَـا سَـعْيَهَا وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ فَأُولَٰئِـكَ كَانَ سَـعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾. (الإسراء 18-19)

5. ﴿وَيَـدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّـرِّ دُعَـآءَهُۥ بِٱلْخَيْـرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾. (الإسراء، 11)

6. ﴿أَيَحْسَـبُ الْإِنسـان أَن يُتْـرَكَ سُـدًى﴾. (القيامة، 36)

7. ﴿وَقـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُونِـي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّذِيـنَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبادَتِـي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّـمَ داخِرِينَ﴾. (المؤمن، 60)

**المفاهيم الإسلامية:**

- ☐ لـم يكـن الله ليلقـي بهـذه المسـؤولية الثقيلـة التـي عجـزت عـن حملهـا السـماوات والأرض علينـا ويتركنـا سـدى من دون دعـم ولطف منه سبحانه لتمكيننا من النجاح في مسؤوليتنا.

- المـدد الإلهـي متداخـل بشـكل طبيعـي وسـلس مـع القوانيـن الطبيعيـة التـي تحكـم حياتنـا وتسـيِّرها لتحقـق لنـا مبتغانـا ومقصدنـا الحقيقـي فيهـا وفـق القانـون الذي وضعه الله سبحانه وتعالى .

- جعـل الله الدعـاء لـه سـبحانه وتعـالى مسـاوقًا لإيمـان العبـد بـه، وتسـليم أمـره لـه سـبحانه وتعالى.

- الدعـاء ضـرورة قصـوى لنجـاح حياتنـا دنيـا وآخرة.

- الإنسـان بطبيعتـه عجـول ضيِّـقُ الأفـق محـدود المعرفـة، وكثيـرًا مـا يسـعى فـي طلـب الشـر والشـقاء لنفسـه ظنًّـا منـه أن فيه خيرًا كثيرًا.

- نهـى سـبحانه وتعـالى بشـدة عـن لجـوء العبـد إلى الأسـباب والعلـل الظاهريـة التكوينيـة من دون الله.

- حقيقـة الدعـاء والسـؤال مـا يحملـه القلـب ويدعـو بـه لسـان الفطـرة، دون مـا يأتـي بـه اللسـان الـذي يـدور كيفمـا أديـر صدقًـا أو كذبًا جدًّا أو هزلًا حقيقة أو مجازًا.

# 32

# المهدي المنتظر (ع)

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. (الأنبياء، 105)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
الإمام المهدي (ع) وثقافة الانتظار
3:03

# الإيمـــــان بالمهـــــدي المنتظر (ع)

يكاد المسلمون يُجمعون على الإيمان بما بَشَّر به الرسول ﷺ من ظهور رجل من أهل بيته في آخر الزمان يلقب بالمهدي، يثور على الباطل، وينشر العدل والرخاء والمساواة، ويقضي على الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم كله.

جاء في موقع الدرر السنية: "قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرِّ الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويُسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتمُّ بالمهدي في صلاته".

وخرَّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم: أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والبزار، والحاكم، والطبراني، وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل: علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وعبد الله بن الحارث بن جزء.

قال القاضي الشوكاني في الفتح الرباني: (الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثًا وثمانية وعشرون أثرًا، ثم سردهم مع الكلام عليها) ثم قال: (وجميع ما سُقْناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع).

وقال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري في كتاب (مناقب الشافعي): (وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه)".

# ثقافة انتظار المهدي المنتظر (ع)

إن ثورة الإمام المهدي لا تستهدف أنظمة الحكم وحسب، وإنما تستهدف تغيير الثقافة الإنسانية لتحقيق الرسالة الإسلامية، وجعل العالم بيئة آمنة إيجابية بنّاءة يمكن لجميع الكائنات فيها أن تتكامل لسعادتها المنشودة متمثلة في القرب إلى الله.

ونجاح ثورة كهذه ليس منوطًا بعظمة القائد فحسب، وإنما منوط بوصول الإنسانية إلى حال عالية من الرقي والكمال تكون فيها جاهزة لاحتضان ثورة شاملة.

إن العمل على تحقيق هذا الهدف وإيصال الإنسانية إلى هذا المستوى من الرقي والكمال مسؤولية مباشرة تقع على عاتق الأمة الإسلامية. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، 104)، وهذا ما يطلق عليه "ثقافة الانتظار".

إن "ثقافة الانتظار" تُشْعِرُ الأمة بالمسؤولية تجاه الإنسانية جمعاء للرقي بها وإيصالها إلى حال عالية من الكمال تكون فيها جاهزة لاحتضان ثورة الإمام المهدي الإنسانية والحضارية الشاملة. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران، 110)

إن تفاعل الإنسان مع "ثقافة الانتظار" يؤثر بشدة على روعة حياته وجمالها، فعندما يلهمك هدف عظيم تسمو روحك وعقلك وتجد نفسك في عالم رائع وتنبعث القوى الكامنة في أعماقك لتتحول إلى طاقة إيجابية لتحقيق هذا الهدف، وبسمو هدفك ونُبْله تكون أنت، وما من هدف ورؤية أعظم من أن تجد نفسك جزءًا من البشرية كلها، بل من منظومة الخلق كلها، وأن تسعى نحو رقيها وكمالها وجمالها وقربها إلى الله باذلًا ذاتك في سبيل ذلك.

من هنا رسَّخ الله ثقافة الانتظار في جميع الشرائع السماوية فضلًا عن الإسلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. (الأنبياء، 105)

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 32

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية التالية وتفاسيرها:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. (التوبة، 33)

2. ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (الأعراف، 128)

3. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾. (النور، 55)

4. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. (الأنبياء، 105)

5. ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. (القصص، 5)

**تفسير الآيات:**

- المراد من وراثة الأرض: انتقال التسلط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات قد تكون دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا كالتمتع الصالح بمتعها وزيناتها، فيكون مؤدى الآية أن الأرض ستطهر من الشرك والمعصية ويسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا.

- المراد به: إيراث الأرض وتسليط قوم عليها بعد قوم، فالمراد بالذين من قبلهم المؤمنون من أمم الأنبياء الماضين الذين أهلك الله الكافرين والفاسقين منهم ونجى الخلَّص من مؤمنيهم كقوم نوح وهود وصالح وشعيب، فهؤلاء الذين أخلصوا لله فنجاهم فعقدوا مجتمعًا صالحًا وعاشوا فيه حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

- الظرف كان ظرف علو فرعون وتفريقه بين الناس واستضعافه لبني إسرائيل استضعافًا يُبيدهم ويفنيهم، والحال أننا نريد أن ننعم على هؤلاء الذين استضعفوا من كل وجه نعمة تثقلهم، وذلك بأن نجعلهم أئمة يُقتدى بهم فيكونوا متبوعين بعد ما كانوا تابعين، ونجعلهم الوارثين لها بعد ما كانت بيد غيرهم، ونمكِّن لهم في الأرض بأن نجعل لهم مكانًا يستقرون فيه ويملكونه بعد ما لم يكن لهم من المكان إلا ما أراد غيرهم أن يبوِّأهم فيه ويقرهم عليه.

- تدل على أن الله أراد انتشار الإسلام بين جميع البشر.

- هذا من موسى (ع) دعوة لبني إسرائيل واستنهاض لهم على الاستعانة بالله على التخلص من ظلم آل فرعون لهم، ثم دعوة لهم على الصبر على الشدائد التي يهددهم بها فرعون من ألوان العذاب. إن فرعون لا يملك الأرض حتى يمنحها من يشاء، بل هي لله يورثها من يشاء، وقد جرت السنة الإلهية أن يخص بحسن العاقبة من يتقيه من عباده، فإن استعنتم بالله وصبرتم في ذات الله على ما يهددكم من الشدائد أورثكم الأرض التي ترونها في أيدي آل فرعون.

# 33

# عاشوراء ... الملحمة الإنسانية الخالدة

عـن أم الفضـل قالـت: "وضعـت الحسـين فـي حِجر النبـي ﷺ، ثم حانـت منـي التفاتـة، فـإذا عينـا رسـول الله تهريقـان مـن الدموع، فقلـت: يـا نبـي الله، بأبـي أنـت وأمـي، ما لك؟ قـال: أتانـي جبريل فأخبرنـي أن أمتـي سـتقتل ابنـي هـذا، فقلـت: هـذا؟ فقـال: نعـم، وأتاني بتربته حمراء" (المستدرك على الصحيحين)

الرجوع لصفحة المحتويات

شاهد الفيديو
عاشوراء، الملحمة الإنسانية الخالدة
10:15

عاشوراء ملحمة إنسانية خالدة تجسد أروع قيم العظمة والنبل والتضحية في التاريخ ولا يزال صداها يتردد حتى اليوم؛ لأنها تتمحور حول طلب الإصلاح في العالم لتحفز الإنسان عاطفيًّا وعقليًّا لتحرير نفسه والعالم من حوله وتفعّل ثقافة الانتظار.

## ما قبل يوم عاشوراء

في سنة 61 للهجرة (680 م) عندما توفي معاوية بن أبي سفيان وَلِيَ ابنه يزيد حكم العالم الإسلامي عدوانًا، فرفض الإمام الحسين ابن الإمام علي (ع) وسِبط الرسول الأعظم ﷺ مبايعته قائلًا: "يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله".

عندما وصلت مقولة الإمام الحسين (ع) إلى يزيد أعطى الإمام الحسين خيارًا قاسيًا: إما المبايعة، أو القتل، لقد كان اختيارًا فظيعًا؛ لأن الإمام عرف أنه بكلمات قليلة يمكن أن ينجوَ بنفسه وأهله وأصحابه من غضب الطاغية، لكنه لم يضعف، وتمسّك بالشرف والمباديء لتكون واجبًا مقدسًا حمل رايته، شيء أكثر قيمة حتى من حياته وحياة أسرته كلها، فكان رد الإمام الحسين (ع) قاطعًا ليتخذه الأحرار في العالم شعارًا للإباء: "ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة، والذلّة، وهيهات منّا الذلّة!".

إن تردي أوضاع الأمة الإسلامية وحكم الطاغوت ودخول الناس في سبات عميق وغياب الضمير دفع بالإمام (ع) لقيادة عملية الإصلاح معلنًا: "إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي رسول الله ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"، مستنهضًا ضمير الإنسانية: "إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ".

غير أن الإمام الحسين (ع) كان يدرك أن استنهاض الأمة يحتاج إلى ملحمة عظيمة تتجسد فيها كل معاني البطولة والتضحية أمام كل مظاهر الخنوع والإجرام، فقرر أن يقضي شهيدًا هو ومن معه وأن تُسبى أسرته قرابين لله وللإنسانية، فأعلن عن عزمه هذا لكيلا يتبعه إلا من وَطَّن نفسه

للشـهادة، فقـال (ع): "مـن كان بـاذلًا فِينَـا مهجتَـه وموطِّنًـا على لِقَـاء اللّه نفسـه فلْيَرْحَـل مَعَنـا"، وقـال: "مـن لحـق بنـا استشـهد، ومـن تخلّـف عنّـا لم يبلغ الفتح".

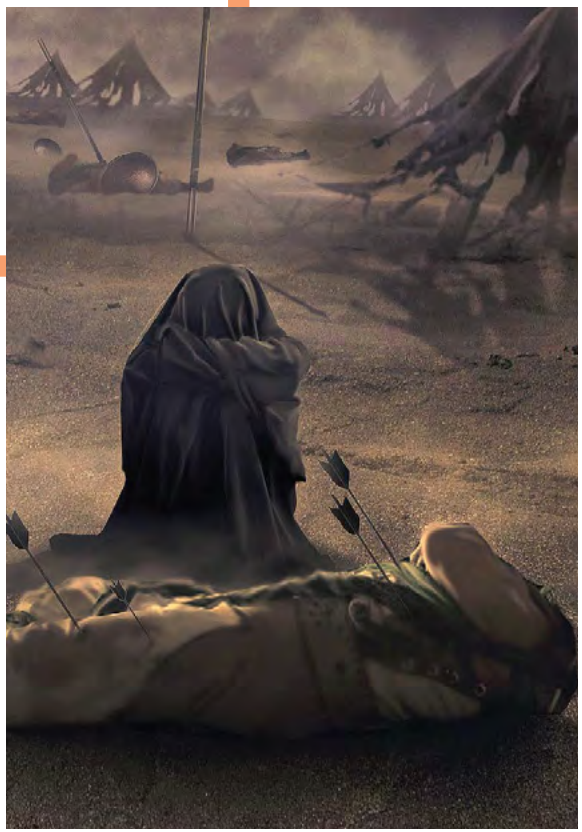

## يوم عاشوراء

فـي العاشـر مـن شـهر المحـرم سـنة 61 مـن الهجـرة ذُبِـح الإمـام الحسـين سِـبط الرسـول ﷺ واثنـان وسـبعون فـردًا مـن أهـل بيتـه وأطفالـه وأصحابـه ظلمًـا بأبشـع الصـور وأكثرهـا إرهابًـا بعـد حصـار دام ثلاثـة أيـام مُنِعُـوا فيهـا مـن المـاء مـن قِبَـل جيـش يزيـد بـن معاويـة الـذي بلـغ عـدده أكثر من 30 ألف مقاتل.

ومـن خلال تضحيتـه (ع) ومقاومتـه وولائـه الثابـت للإسلام غـدت عاشـوراء ملحمـة عظيمـة خالـدة بـكل مـا جـرى فيهـا مـن مواقـف فاقـت كل معانـي الإنسـانية والبطولـة والكرامـة وجسَّـدتها كما لم تُجسَّدْ من قبل.

## ما بعد يوم عاشوراء

لـم تنتـهِ الملحمـة فـي يـوم عاشـوراء، وإنمـا استـمرت بتضحيـة أهـل بيـت رسـول الله ﷺ مـن الأطفـال والنسـاء، حيـث سـاقوهم سـبايا مقيديـن على الجمـال بغيـر رحـل ولا وطـاء وبـكل مظاهـر الإذلال والهـوان، تعلـو بجانبهـم رؤوس الإمـام وأصحابـه مرفوعـة على رمـاح طويلـة.. وطافـوا بهـم مـن الكوفـة والعـراق إلى دمشـق مـرورًا بكبريـات المـدن الواقعـة بيـن الكوفـة والشـام على طريـق الساحل، معلنين للناس أنهم خوارج عن الدين!

كاد الأمـر ينتهـي هنـا لـولا حفيـدة الرسـول ﷺ "زينـب بنـت الإمـام علـي (ع)" -التـي كانـت مـن المسـبيات- حيـن تمثلـت كل القيـم والمعانـي الإنسـانية العظيمـة التـي اختزلتهـا ثـورة الحسـين (ع) التـي أراد بثَّهـا فـي وجـدان الأمـة الإسلاميـة والإنسانية جمعاء.

فكانـت (ع) تبثهـا بقـوة وتلقائيـة وحـرارة فـي كل حركـة مـن حركاتهـا ومواقفهـا وزفراتهـا لتدخـل إلى قلـوب النـاس ووجدانهـم فـي العالـم كلـه فتهزهـم وتوقـظ ضمائرهـم فيثـوروا على ذواتهـم لينعكـس ذلـك فـي ثـورات وثـورات ضـد الظلـم والفسـاد على مرِّ التاريخ.

فـي يـوم عاشـوراء رفعـت جسـد أخيهـا الحسـين وهـو مقطـوع الـرأس ومـمـزق إربًـا إربًـا وهـي تلقـي بطرفهـا إلى السـماء مخاطبـة الله تعـالى: "اللهـم تقبل منا هذا القربان".

## وماذا الآن؟

كأن كلمـة "زينـب" لامسـت كل القلوب وشـاطرها مئـات الملاييـن حـول العالم تضحيتهـا. الآن -ومنذ ذلـك الحيـن- يقيـم مئـات الملايين من المسـلمين في مختلف دول العالم في كل سـنة مراسـم العزاء بمناسـبة عاشـوراء لفتـرة تمتـد لشـهري المحـرم وصفـر، فيقيمون المآتـم ليلًا، ويسـتحضرون ذكرى يـوم عاشـوراء بـكل مـا تحتويـه مـن مصائـب وبطـولات ودروس، ويبكـون على مـا أصـاب الإمـام الحسـين (ع) وأهـل بيتـه وأصحابـه وانتهـاك الحـق فـي أجلى صـوره، ويعاهدونـه على المضي قُدُمًا في طريقـه والتضحيـة فـي سـبيله والثـأر مـن الباطـل للحق الذي انتُهِك والظلم الذي تفشَّى.

تشمل هذه المراسم قائمة طويلة من الممارسات الشعائرية، بعضها ورد الحث عليه من قبل أئمة أهل البيت (ع)، كالزيارة والجلوس وتذاكر في أمور أئمة أهل البيت وعلومهم، والبكاء وقراءة المراثي، وبعضها لم يرد بشأنه حث، وإنما انبثقت على مر الأزمان نتيجة تفاعل ثقافات بعض المجتمعات الشيعية مع مفهوم إحياء عاشوراء، وتختلف من مجتمع إلى آخر، مثل: التطبير، وضرب السلاسل، وإقامة المسارح، والتبرع بالدم، وغيرها، وبعض هذه الممارسات أثارت جدلًا واعتراضًا واسعين في المجتمع الشيعي، بل حُرِّم بعضها من قبل بعض العلماء.

ولا تقتصر فترة استذكار عاشوراء على شهرين في السنة، إنما تمتد طوال السنة، من خلال زيارة الحسين (ع) وإقامة المآتم الحسينية في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية.

نردد عند زيارتنا للحسين (ع) في كل مناسبة: "السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، والسلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليكم يا وارث محمد حبيب الله"، فيغرس ذلك في وجداننا وأعماقنا أن خط الله والهدف الرسالي هو نفسه على مر التاريخ، وهو إيصال الإنسان لله تعالى.

إن ثورة الأنبياء كانت ثورة على الانحراف عن خط الله والخضوع للطاغوت والظلمات بأشكالها المتنوعة، وكذلك كانت ثورة الإمام الحسين لتوقظ العالم على مر التاريخ إلى يوم الدين، وتخلق في قلوب البشر حرارة ودفقًا يهز وجدانهم ويدفعهم للأمام نحو الإصلاح مهما بلغت التضحيات وإنكار الذات، وتجعل من هذه المشاعر المتدفقة عهدًا نعاهد به الإمام الحسين (ع) ونحن نزوره: "أنا سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم".

# أسئلة التقييم
## القسم الثالث | الدرس 33

**وائم -خلال عشر دقائق- بين الآيات القرآنية التالية وتفاسيرها:**

**الآيات القرآنية:**

1. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب، 33)

2. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. (الأحزاب، 57)

3. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾. (الإنسان 7-11)

4. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (آل عمران، 61)

5. ﴿قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. (الشورى، 27)

**تفسير الآيات/ مناسبات النزول:**

- ☐ مَنْ آذى الله ورسوله بقتل الحسين (ع) أو برضاه عن قتله فقد استحق لعنة الله في الدنيا والآخرة.
- ☐ تثبت طهارة الإمام الحسين التامة والمطلقة من الرجس.

- الحسين (ع) أحد الأربعة الذين أمر الله رسوله ﷺ بأن يأخذهم معه لمباهلة النصارى.
- يمتدح الله الحسين (ع) في عطائه وإيثاره.
- أمر الله في القرآن المسلمين بمحبة الحسين (ع) ومودته.

# نبذة عن الكاتب

عباس هو عضو اللجنة الاقتصادية والمالية في مجلس الدولة (2023-2027) والمؤسس والرئيس التنفيذي لمجموعة مريت. يتمتع بخبرة تقارب ثلاثة عقود في القيادة المتميزة وتحقيق نمو عالي في مؤسسات عالمية مرموقة. معترف به عالميًا كقائد مفكر، خبير تكتيكي وإستراتيجي، ومستشار أعمال موثوق به، متخصص في تحليل وتطوير وتنفيذ الإستراتيجيات. يتميز بمهاراته في إدارة المخاطر والتغيير وتطوير الموارد البشرية، ويوجه الحكومات والمؤسسات لتحقيق تطلعاتها الاقتصادية عبر قطاعات متنوعة.

أكثر من 23 عامًا من الخبرة العملية في العمل في العديد من المناصب القيادية كرئيس تنفيذي، ورئيس إستراتيجية لمجموعة استثمارية، ورئيس المدققين الداخليين لمجموعة حكومية؛ مع الحرص على تحقيق الربحية المالية والنمو المستدام دائمًا.

تم انتخاب عباس، أول مواطن خليجي، من قبل المجموعة العالمية "مزارز" ليتم إدراجه كشريك ملكية في المجموعة العالمية (بمكاتبها التي تزيد عن 300 مكتب متواجد في أكثر من 100 دولة)، وذلك في مؤتمر شركاء كارل (شركاء المجموعة) الذي عقد في برلين في ديسمبر 2017. "مزارز" هي مؤسسة متعددة الجنسيات متخصصة في التدقيق والمحاسبة والضرائب، والخدمات الاستشارية.

قاد بنجاح مهمتي تغيير شاملتين لمجموعتين حكوميتين كبيرتين، بإجمالي أصول بلغت مليارات الدولارات الأمريكية، كما نجح في تطوير خمس شركات ناشئة.

مؤسس البرنامج التدريبي، ومؤلف كتاب "إجراءات الإدارة الإستراتيجية – إستراتيجيتك: كيف تقيمها، وتصوغها، وتنفذها، وتحكم السيطرة عليها؟" المعتمد من قبل الجمعية الملكية للإدارة المعتمدة Chartered Management Institute بالمملكة المتحدة، وفق معاييرها المهنية لتطور قدرات المديرين والقادة على وضع الخطط الإستراتيجية وتنفيذها وترجمتها إلى واقع إجرائي يومي فعال.

أول خليجي، وأحد القلائل على مستوى العالم ممّن حصلوا على ترخيص من "المجلس الدولي لمعاهد الاستشارات الإدارية" (ICMCI)، وهو منظمة غير حكومية مرخَّصة من الأمم المتحدة، للعمل بصفة مستشار إداري في مجالات تشمل الإدارة الإستراتيجية وتطوير القادة والتطوير التنظيمي وأنظمة إعادة الهيكلة والأنظمة المالية والإدارية.

حصل على لقب "الزمالة" في الاستشارات الإدارية وهو أعلى مستوى من العضوية الاحترافية حيث يمنح لأولئك الذين يستطيعون إظهار دليل على تقديمهم إسهامات كبيرة في مهنة الاستشارات الإدارية. ومنحت تلك الصفة لأقل من ألف مستشار إداري في كافة أنحاء العالم (وفق بيانات عام 2010).

تم تخويله من قبل "الجمعية الملكية للإدارة المعتمدة" (CMI) بالمملكة المتحدة كواحد من بين اثنين فقط من الخبراء، خارج المملكة المتحدة لتعيين، وتقييم المدراء، المؤهلين للحصول على

لقب "زمالة الإدارة" العالمي (مدير مجاز) الذي يعد أقصى وسام دولي يمكن للمدراء المحترفين الحصول عليه. وقد تخرج على يديه قرابة 30 مدير مجاز.

قاد العديد من البرامج التدريبية الكبرى لتطوير المهارات الإستراتيجية والقيادية لمئات من المدراء والرؤساء التنفيذيين على مدار عدة سنوات، استنادًا إلى برامج الإدارة والقيادة الإستراتيجية الخاصة بالجمعية الملكية للإدارة المعتمدة (CMI) بالمملكة المتحدة.

قاد برنامج الإصلاح الإستراتيجي لواحدة من أكبر المجموعات التجارية والاستثمارية في السلطنة، تضمن تطوير القدرات الإستراتيجية للقيادات العليا للمجموعة (الرؤساء التنفيذيون) وذلك بالتنسيق بشكل وثيق مع كلية مانشستر للأعمال البريطانية، حيث شمل البرنامج 50 شركة في 6 قطاعات.

معني بمشكلة الباحثين عن عمل في سلطنة عمان منذ سنة 2003 ، حيث قدم دراسته الإستراتيجية "تعمين قمة الهرم الوظيفي" حينها لمعالجة هذه المشكلة، وقد كانت تتمركز على فكرة إنشاء مركز للتوجيه المهني، وتحسين مستوى المعروض من القوى العاملة الوطنية، لمجاراة الطلب المتزايد على أصحاب الكفاءات. ومنذ ذلك الحين قدم وطرح العديد من الدراسات الإستراتيجية، المواكبة للتغيرات العصرية، وشارك في الندوات والمؤتمرات لمعالجة هذه المشكلة.

قـام منطلقـاً مـن مسـؤوليته الاجتماعيـة بتوجيـه ومسـاعدة مئـات العمانييـن مـن مختلـف الخلفيـات المهنيـة على تخطيـط مسـاراتهم المهنيـة، وتطويـر مؤسسـاتهم الخاصـة، فـي ظـل التطـورات الاقتصاديـة والتقنيـة والاجتماعيـة والبيئيـة الجديـدة. كمـا قـام بعقـد مجموعـة مـن ورش العمل التطوعية في هذا المجال.

ألـف كتـاب "كيـف تخطـط طريقـك المهنـي – مدخـل لتطويـر محفظـة أعمالـك"، الـذي تـم اعتمـاده عـام 2009 مـن قبـل "الجمعيـة الملكيـة للإدارة المعتمـدة" بالمملكـة المتحـدة (CMI) كواحـد من المراجـع المعتمدة فـي مجالـي "تطويـر الـذات كمديـر وقائـد"، و"تخطيـط المسـار المهنـي"، وصنفته من ضمن الكتب الموص بقراءتها.

مؤلـف كتـاب "سـلطنة عمـان: وجهـة اسـتثمارية واعـدة - دليـل تأسـيس مشـروع تجـاري ناجـح فـي سـلطنة عمـان". يسـلط الكتـاب الضـوء على المجـالات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والقانونيـة والتنظيميـة الرئيسـية، ويقـدم ملخصًـا رفيـع المسـتوى للعوامـل المهمـة التـي يجـب أخذهـا فـي الاعتبار للاستثمار في السلطنة.

نـال العديـد مـن المـؤهلات الأكاديميـة والمهنيـة العالميـة، مثل "محاسـب معتمـد قانونيـاً" (CPA) مـن أمريـكا، و"مستشـار إداري معتمـد قانونيـاً" (CMC) مـن بريطانيـا، و"مديـر مجـاز" (CMgr) مـن بريطانيـا، و"محقـق اختلاسـات معتمـد" (CFE) مـن أمريـكا. عبـاس حاصـل على شـهادتي بكالوريوس، واحدة في المحاسبة والأخرى في الاقتصاد.

# كتب أخرى للمؤلف
## للتحميل المجاني

### كتاب صناعة الحياة

كتبته من أجلك. سواءً كنت رئيسا تنفيذيا، أو موظفا دون ذلك، أو باحثا عن عمل، أو رجل أعمال، أو ربة بيت، أو متقاعدا، او طالبا في المدرسة أو الجامعة، يُرجى أن يكون الكتاب عوناً لك في إدارة حياتك، وبلوغك الطمأنينة والسعادة والقوة التي تنشدها.

يقول **الدكتور مصطفى أبو سعد** في تقديمه للكتاب: "(صناعة الحياة) عنوان مؤلف ومدونة وكتاب للفاضل المبدع الذي راكم الخبرات والمهارات والمعرفة عبر سنوات من العمل والعطاء والجد والإنتاج... بين التأليف والمرافقة والتدريب والاستشارات... الأستاذ الكريم (عباس آل حميد) حفظه الله جسد في هذا المنتج المعرفي العلمي دليلاً عمليّاً يرافقنا خطوة خطوة نحو الوصول للغاية الكبرى وهي التمكن من صناعة حياتنا بذواتنا وبأيدينا لئلا نتركها بيد الغير يتلاعبون بها في عصر التلاعب بالعقول والنفوس والأذواق.

يبدأ المؤلف هذه الرحلة بأهم خطوة يبنى عليها أساس التغيير والبناء المعرفي المهاراتي وهي (بناء الذات) من خلال التمكن من معرفة أهدافنا في الحياة وكيف تتشكل ذواتنا وما هي العوامل المؤثرة على الذات لبناء معرفة عقلانية للنفس البشرية. وبعدها ينقلنا في رحلة لمواجهة الحياة وتحدياتها المستقبلية ببصيرة وعقلانية تحدد مساراتنا المهنية وكيف نتفهمها ونتمكن منها من خلال نماذج عملية يقدمها في مؤلف جمع الخبرة والمعرفة والتمكن من فهم الواقع واستنباط آلياته والتنبؤ المبني على المعرفة والبصيرة لمستقبل مهني متطور بسرعة هائلة". وقد جاء الكتاب مدعومًا ب 29 من الفيديوهات التعليمية وعدد من النماذج والرسوم التوضيحية للمفاهيم والتقنيات المعروضة لتمكين القارئ من استيعابها والتمكن منها.

## كتاب إجراءات الإدارة الإستراتيجية

يسعدني أن أضع بين يديك النسخة الثانية من كتابي "إجراءات الإدارة الإستراتيجية"، راجياً أن يكون الكتاب عونًا لك ليس في إدارة مشروعك أو حياتك المهنية فحسب، وإنما في إدارة حياتك كلها.

يقول **آلان د. ويتمان، رئيس مجلس إدارة شركة بيكر تلي العالمية** السابق في تقديمه للكتاب: "في كتابه "إجراءات الإدارة الإستراتيجية – إستراتيجيتك كيف تقيمها، وتصوغها، وتنفذها، وتحكم السيطرة عليها" يجسد عباس آل حميد خبرته الواسعة وبصيرته الثاقبة في دليل شامل وعملي لصياغة الإستراتيجية وتنفيذها.

من كليات إدارة الأعمال إلى الشركات الاستشارية الرائدة، توجد استفاضة في مفاهيم وتقنيات الإستراتيجيات. يزيح عباس الارتباك بطريقة متماسكة وقويمة من خلال نهج تدريجي خطوة تلي خطوة وأمثلة بعيدة جدا عن التنظير. يفعل كل هذا في سياق بيئة اليوم سريعة الخطى.

يمكنك قراءة وتطبيق الكتاب من الغلاف إلى الغلاف وأن تستخدمه كدليل إرشادي لا يقدر بثمن للتفكير النقدي وحل المشكلات."

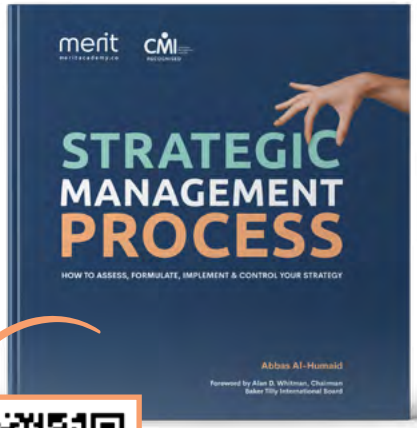

## كتاب عش سعيدًا

مع اضطراب الدنيا، وتسارع وقع الحياة، وتعاظم التحديات والصعوبات والتغيرات التي تعصف بحياة الناس، أضحى الناس في أمسِّ الحاجة إلى ما يخفف عنهم محن الدنيا، ويرشدهم إلى كيفية السعي فيها لبلوغ النجاح والطمأنينة والقوة. وقد أنزل الله عز وجل القرآن إرشادًا وهداية للناس لما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وشفاء لما في صدورهم وتزكية وتطهيرا لأنفسهم، لكن الثقافة السائدة في العالم باعدت بيننا وبين القرآن؛ فأصبحنا نقرؤه - حين نقرؤه - من دون تأمل في معانيه أو تدبر في آياته أو تصديقا لها.

وبدلًا من ذلك التففنا حول كتب ومحاضرات غير المؤمنين بالله، الجاهلين بحقيقة الحياة، نستلهم ونستمد منها دواء أزماتنا ومشكلاتنا النفسية، ونتعلم منها كيفية تطوير ذواتنا وإدارتها، حتى اتَّبعناها دون نقاش أو تدبر، وروَّجنا لها في مجتمعاتنا وبين أطفالنا وأسرنا، وانسقنا لها رغم اختلافها الشديد مع المنهج الإلهي، وتحولت بذلك أسرنا ومجتمعاتنا تدريجيًّا إلى مجتمعات مسلمة في ظاهرها غربية في ثقافتها، بالرغم من تفشي الأمراض النفسية في المجتمع الغربي، فمثلا يعاني واحد من كل ثلاثة أمريكيين بالغين حالة الاكتئاب في اي فترة زمنية.

هذا ما دعاني إلى محاولة قراءة القرآن بتأمل وتدبر واستيحاء في ضوء بعض تفاسير القرآن المعروفة لأستلهم من آياته الوعي والرشاد والدواء لواقع حياتنا المعاصرة التي نعايشها بكل جدلياتها واضطراباتها، ومن ثم كتابة هذه التأملات والاستيحاءات مع المحافظة على بساطة اللغة والقصد في المعاني قدر الإمكان بحيث لا تزيد عن بضعة أسطر لكل آية أو مقطع من الآية. يتناول الكتيب سورتي الإسراء والكهف. ولم أتناول جميع الآيات القرآنية في هاتين السورتين، بل اقتصرت منها على ما استطعت الاسترشاد منه مباشرة بما يتصل بواقع حياتنا، فإن غفلت عن آية أو معنى جميل في آية فإنما هو لمحدودية علمي وقصوري.

## كتاب المنظومة الفكرية الإسلامية

يسعى هذا الكتاب لتقديم إجابات منطقية ومطمئنة للعديد من الأسئلة الكبرى التي تلح على أذهان الكثيرين منا، ويشرح الفكر الإسلامي بلغة سهلة، كمنظومة متكاملة ومترابطة، في سياقها الإنساني العام.

**الشيخ خالد الملا، رئيس جماعة علماء العراق:** "هو كتاب بمستوى عالٍ جداً ومتميز والذي جعله متميزًا أنه يأخذ البعد الإسلامي ومنهجه السماوي الذي أراده الله تعالى من خلال إرسال سيدنا محمد (ص) والذي لا يستطيع الكثير من الناس أن يروا هذا المنهج إلا من خلال هذه الأطروحات البالغة في الأهمية في زمانها ومكانها في وقت تعددت السهام اتجاه الإسلام حتى من بعض أتباعه"

**الشيخ بدر بن سالم بن حمدان العبريّ:** "اطلعت على الكتاب فوجدته وحدويا يدعو إلى المشترك في الأمة وإلى صناعة الإنسان وهذا ما نرجوه في الوقت الراهن، وهو مترابط ومنهجي."

**الدكتور/ سالم بن سعيد البوسعيدي:** "لو قدّر لي أن أقدّم نصيحة لولي أمر يريد أن يقدّم فكرًا إسلاميًا رصينًا لأبنائه في هذا الزمن الصعب، في زمن الصراعات الفكرية والأخطبوطات التقنية والشبكات الإعلامية... لو قُدّر لي أن أقدّم نصيحة لمن يريد أن يحصّن أبناءه بفكر واعٍ وروح سامية وقيمٍ نبيلة، لن أتردد في ترشيح هذا الكتاب"

## كتاب رحلة كادح

"رحلة كادح" رواية عن شاب يتيم وفقير، لم تسمح له الظروف بالإنتظام في الدراسة الجامعية فيكافح بكل جهده ليحقق النجاح، مستفيدا من بعض تقنيات تخطيط المسار المهني، ومن المفاهيم الإسلامية لتطوير ذاته وقدراته.. فتواجهه الحياة بكل جبروتها وتعقيداتها، وكأنها تقصد تحديه.

**قال عنها الاعلامي العربي، الدكتور يحيى أبو زكريا:** "وقد استطاع عباس آل حميد وبلغة شيقة رقراقة وعذبة وصادقة أن يقدم لنا صورة مغايرة ...التقت بنيوية السرد عند الكاتب بصدق متوهج، وكثيرا ما كان الكاتب يستحضر الله تعالى الذي كان رفيقا للكاتب في رحلة البحث عن الفرج والمخرج من كل ما ألمّ به من ضيق وألم. رواية رحلة كادح لعباس آل حميد جديرة بالقراءة، وجديرة بأن تتحول إلى منهج دراسي في سلطنة عمان و في العالم العربي خصوصا ونحن في مرحلة عربية حرجة تبحث فيها الأجيال العربية عن نماذج و قدوات ننطلق منها للبناء الجديد ...".

**وقال عنها الدكتور كفاح فياض، مدرب ومستشار تنمية وتطوير المهارات البشرية:** "رحلة كادح كتاب فريد من نوعه، من كاتب تجرأ على طرح أسئلة قوية وجريئة في وجود الإنسان وخالقه، وأجاب عنها من خلال سلسلة مواقف عاشها وعايشها فجاءت من الصميم لتدخل إلى صميم القارئ، وتجعله يتبصر ويفكر من زوايا مختلفة. وما ميز الكتاب هو واقعية المواقف بأماكنها وبأسمائها، التي رواها بأسلوب سهل وسلس فتشعر وكأن الكاتب يرويها لك وجها لوجه، وتعيش الموقف وتتأثر به، فيجيب عن الأسئلة التي طرحها في بداية الكتاب، ويجيب عن الأسئلة التي تدور في ذهنك في لحظتها وكأنه يعرفها مسبقاً...

رحلة كادح يشكل إضافة مهمة في عصر الإنفجار المعلوماتي، فيسلخك من واقع، وينقلك الى واقع آخر عمقه كبير وأثره عظيم.. صحيح عنوان الكتاب هو "رحلة كادح " ولكن كاتبها بكدحه يصل بهذه الرحلة الى عقلك وقلبك".

رحلة
كادح
- رواية -
عباس آل حميد
www.alhumaid.org

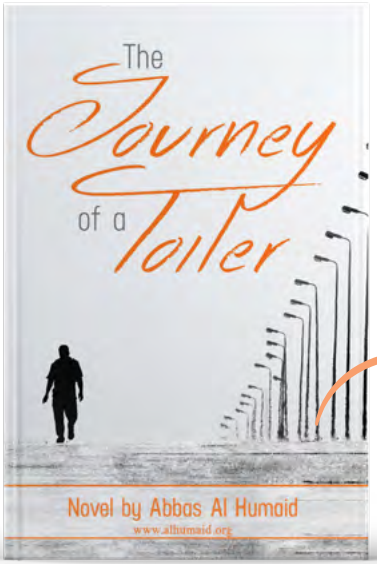
The
Journey
of a
Toiler
Novel by Abbas Al Humaid
www.alhumaid.org

تم تصميم هذا الكتاب بدقــة وعناية فائقة ليصبح مصدر إلهام وثــراء ثقافي لكل باحث عن جوهر المنظومة الفكرية الإسلامية. يجمــع الكتاب بين الغنــى العلمي والتطبيق العملي، مما يجعلــه مثاليًا للقراءة المباشــرة للمهتمين وكذلك كمرجع ضمن المناهج الدينية التأسيسية.

يهدف المنهــج إلى تقديم المنظومــة الفكرية الإسلامية بأســلوب مترابط وشــامل، مستخدمًا أســاليب البحث والتحليل والمناقشة بطريقة جذابة وبلغة معاصرة تتواصل مع الثقافة العالمية المعاصرة.

نال الكتاب إشادة نخبة من علماء ومفكري الأمة الإسلامية من مختلف المذاهب كالســنة، والإباضية، والشيعة، وهو ما يمكنكم التحقق منه في المقدمة الموثقة بداية الكتاب.

تم إثراء الكتاب بســبعة وعشــرين مقطع فيديو تعليمي بالإضافــة إلى العديد مــن الأمثلة التطبيقية والرســوم التوضيحيــة، مما يعزز من فهم القــارئ وإتقانه للمفاهيم المقدمة.

أدعوك لاستكشــاف صفحات هذا الكتاب، لتجد بنفسك الغنى والعمــق في المنظومة الفكريــة الإسلامية وكيف يمكنها أن تنير مســارك وتطبيقاتك العملية للإسلام في زماننا الحديث.

ISBN: 978-1-912275-39-7
9 781912 275397